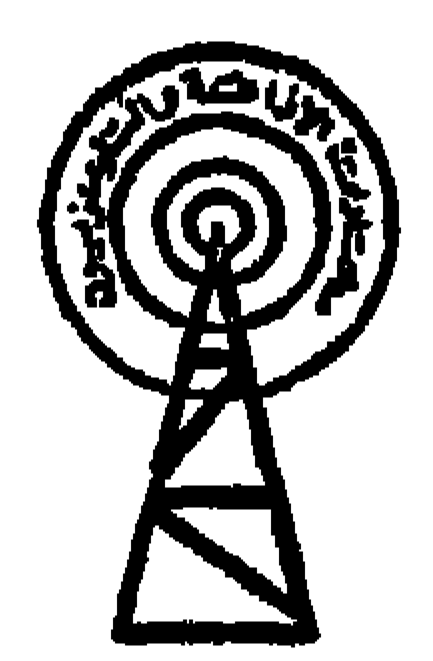
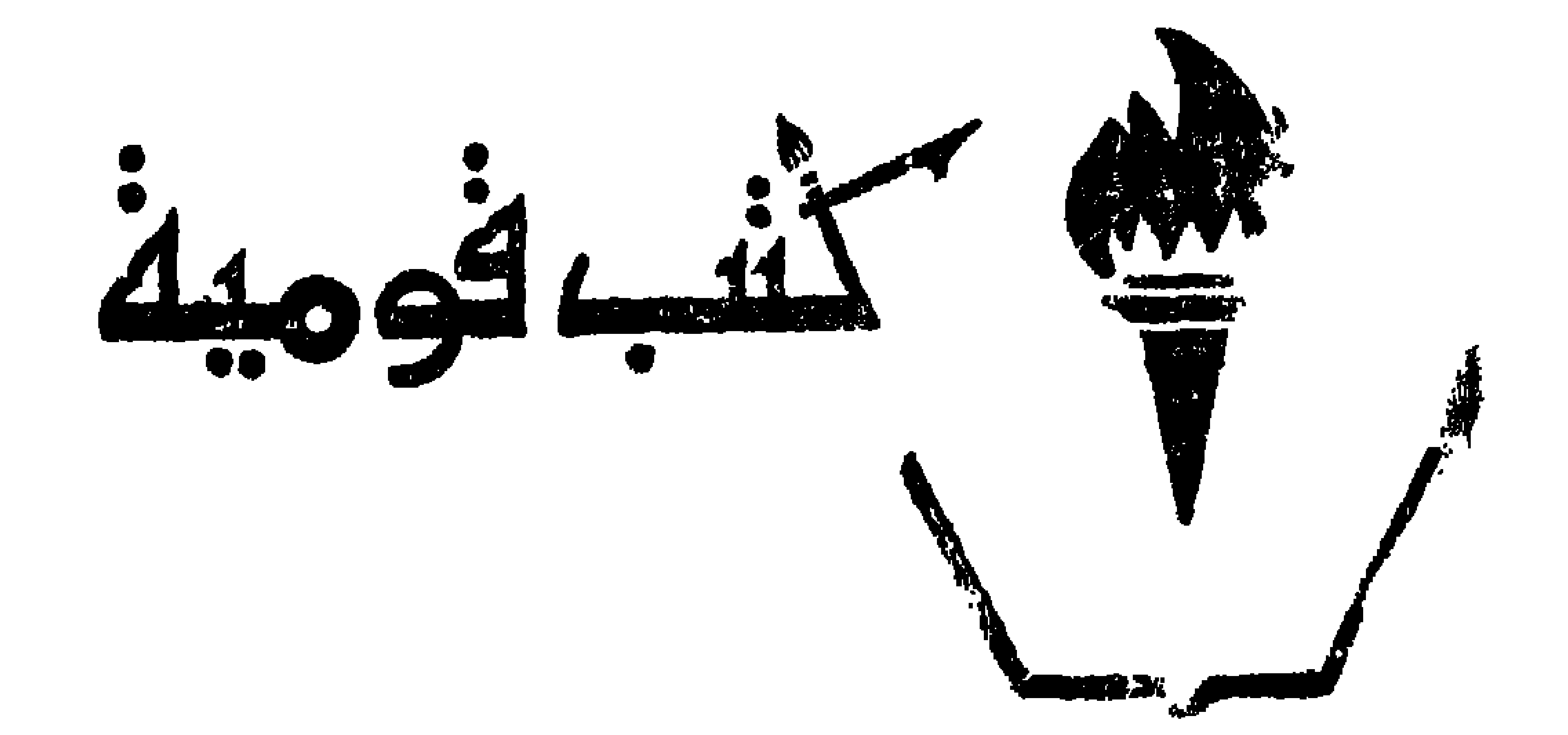
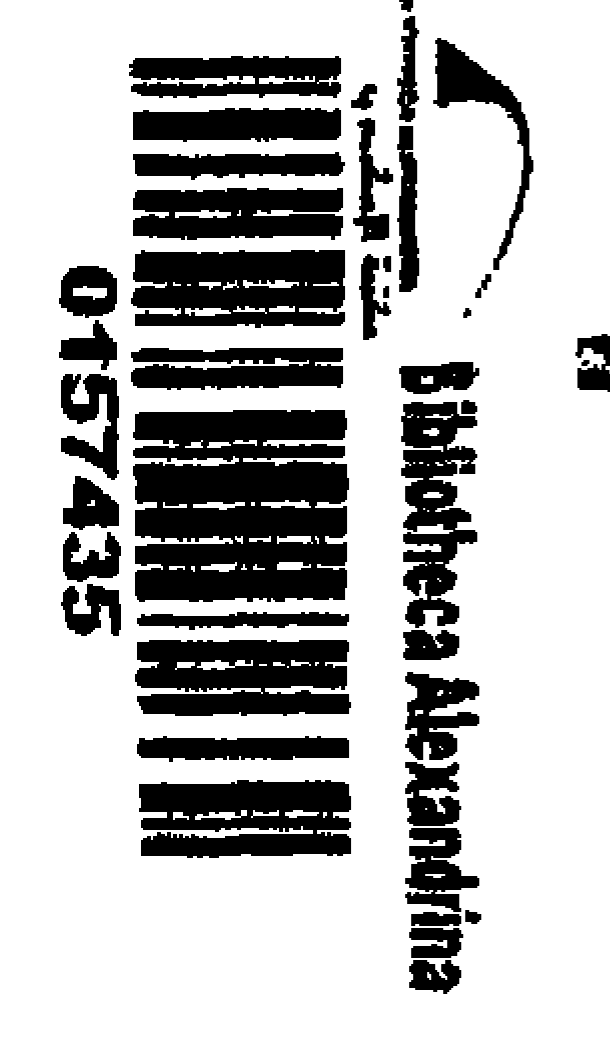




الايديولوجية العربية الجديدة

ووسائل تحقيقها

تأليف
عبد الرحمن محمد العيسوي





كتب قومية

الايديولوجية العربية الجديدة

ووسائل تحقيقها

تأليف
عبد الرحمن محمد العيسوي

الباب الاول

الايديولوجية العربية الجديدة

مقدمة تاريخية :

لقد قاسينا في العهود الماضية مرارة الاستعمار واستغلاله لخيرات البلاد ، وتدخله فى شئون الحكم ووقوفه حجر عثرة فى سبيل كل تقدم ، فهو الذى قاوم قيام الصناعة حتى يجعل من مصر سوقا رائجة لتصريف منتجاته ، ولكي يجعلها مزرعة لامداد مصانع لانكشير بالقطن المصرى على حساب شقاء الفلاح ٠

وكثيرا ماكان الاستعمار يستخدم الشعب ضد الحكومة ، فتقوم المظاهرات العدائية والتخريبية ، ويستخدم الحكومة ضد الشعب فتهمل مصالح الشعب، وتقوم القلاقل فيخلو له الجولكى يستذل الشعب كله ويخضعه لسيطرته ٠ وكان الاستعمار يشجع قيام الأقطاع والرأسمالية المتطرفة المستغلة ، وانقسام المجتمع الى طبقات متصارعة ٠ وكان يحلو للاستعمار أن يشجع هذا الصراع الطبقى بين فئات المجتمع المختلفة عملا بمبدأ «فرق تسد» ٠

كان مجتمعنا فيما قبل الثورة مجتمعا طبقيا اقطاعيا استغلاليا وكانت خيرات البلاد تحتكرها فئة قليلة دون السواد الأعظم من عامة الشعب ٠

وفى ميدان التربية كان الاستعمار يعمل كل مافى وسعه لامتهان كل ماهو عربى ، وتقديس كل ماهوأجنبى مستورد ، فكانت المناهج حافلة بتمجيد تاريخ أوربا واهمال تاريخنا القومى وماحتواه من انتصارات وأمجاد ومفاخر ٠

وكانت الحياة النيابية فاسدة ، وكان الاقتصاد جامدا منهارا

مبتورا ، وكان الفقر منتشرا ، والجريمة سائدة ، والمرض متفشيا بين ربوع الوطن . وعمت الرشوة والمحسوبية وشتى ألوان الفساد الحنفى والاستهتار والتواكل والسلبية . وتكونت عاطفة عدم احترام القانون ، وانعدمت صلة التعاون بين الحاكم والمحكومين .

وهكذا كانت الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى غاية السوء ، واستمرت الأمور تسير من سيىء الى أسوأ حتى قيض الله لمصر رجالا أحرارا هبوا ثائرين ضد الظلم والفساد ، والطغيان والاستغلال ، والاحتكار والعبودية ، وسيطرة راس المال على الحكم ، وتوجيهه الوجهة التى تخدم أصحاب الاموال وفساد الملك الطاغية . فقامت ثورتنا المباركة للقضاء على ثقافة مريضة ، ولتغيير طريقة الحياة التى كنا نرسف فى أغلالها ولتصحيح الفلسفة المتناقضة المتصارعة التى لم تكن الجماعة المصرية ترضى عنها اذ كانت ثقافية مليئة بالصراع مضطرمة بمشكلات ورثناها . فلم تكن الثورة ثورة ضد شخص أو ضد مجموعة من الاشخاص ، وانما كانت لتصحيح طريقة حياتنا الحافلة بالمشكلات التى ورثناها . وجاء الحل على هيئة فكرة جديدة (أو أيديولوجية جديدة) أو طريقة حياة جديدة هى التى سميناها الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، واعتناق فكرة القومية العربية والحياد الايجابى والتعايش السلمى .

اننا لم نكن نبحث عن فلسفة من الفلسفات ، وانما كنا نبحث عن حل لمشكلاتنا ، وجاء الحل على صورة اشتراكية ، فنحن لم ننقل عن أحد ، وانما واجهنا مشكلات ؛ وأعلنا فكرنا فيها .. وكانت الحلول العملية لتلك المشكلات على صورة هذه الايديولوجية

الفصل الأول

الديمقراطية

مقدمة :

ليس للديمقراطية معنى محدود يصدق عليها في كل زمان ومكان ، بل انها معنى نام متطور، يختلف من عصر الى عصر في مجتمع واحد بعينه ، كما أنه يختلف من مجتمع الى آخر على حساب ظروفه ومفهومه للديمقراطية ، وكذلك كانت الديمقراطية اليونانية تمنح الحقوق الديمقراطية الأحرار من المواطنين فقط ، وتحرم الاجانب والعبيد اياها ، ولدينا الديمقراطية الاسلامية القائمة على المبادىء الدينية الاسلامية السامية . وهناك ديمقراطية الغرب التى تموج بصراع الاحزاب وتناوبها مناصب الحكم . وكان يسود في ظل الديمقراطية نظام الاقطاع في ملكية الارض ، والاحتكار المالى فى شئون الصناعة والتجارة لمصلحة أصحاب رءوس الاموال . ونتج عن ذلك سوء حالة العمال واستغلالهم واحتكارهم . وهناك ديمقراطية الحزب الواحد فى البلاد الشيوعية التى لا تعدو فى الحقيقية أن تكون سيطرة هذا الحزب على الحكم واحتكاره لصناعته .

والديمقراطية ليست نظاما سياسيا كما قد يتبادر الى الذهن وانما هى أسلوب حياة ، أو طريقة حياة ، تتناول جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ،وأنماط سلوك الأفراد ، وطرق تعاملهم وعلاقاتهم وأساليب نشاطهم .

والنظرة ، التى تعتبر الديمقراطية نظاما سياسيا تقتضى أن يتولى الشعب حكم نفسه بنفسه لمصلحة نفسه ، ليست الا نظرة محدودة لمفهوم الديمقراطية .

ومع أن مفهوم الديمقراطية مفهوم متطور نام مختلف باختلاف

المجتمعات والجماعات البشرية التي يوجد فيها ، والعصور التي يقوم فيها ، فان هناك اجماعا على وجود عدة مبادىء لابد من توافرها فى ظل كل نظام ديمقراطى • ومن هذه المبادىء أن يشترك الشعب فى حكم نفسه بنفسه لمصلحة نفسه بوساطة تمكينه من انتخاب من ينوبون عنه فى المجالس النيـابية • وهنـاك مبادىء أخرى كمبـدأ تكافؤ الفرص فى التعليم والوظائف ، ومبدأ العدالة والمسـاواة للجميع أمام القانون ، والمساواة فى الحقوق والواجبات ، ومبـدأ الاخاء والحرية بأنواعها وألوانها المختلفة • حرية العقيدة ، وحرية العمل والاقامة وحرية التعبير عن الرأى فى حدود مايعنيه القانون ، وما يتطلبه النظام والمصـلحة العـامة للجماعة • ثم هنـاك مبادىء ديمقراطية أخرى كالاعتراف بقيمة الفرد كفرد ، واعتبار الفرد عضوا فى جسم الأمة ، لاوسيلة الى غاية • والعمل على تحقيق سعادة الفرد ورفاهيته ، والاعتراف أيضا بذكاء الفرد وقدرته على المساهمة فى حل مشكلاته ومشكلات غيره من المواطنين ، ولذلك تكون الديمقراطية قائمة على فكرة الأخذ والعطاء •

ويقولون : اننا نرجع الى الوراء لـكى نحكم وثبتنـا ، ومن ثم فاننا نرجع الى الوراء لكى نحكم فهم الديمقراطية فنعود اليها فى عصورها الأولى ، وهذا يعنى الديمقراطية فى العصر اليونانى •

والحزب الواحد فى الدول الشيوعية يعنى فقط سيطرة الامة بأسرها على شئونها حتى لايكون هناك تنـاحر بين الطوائف على حساب المصلحة العامة •

الديمقراطية فى بلاد اليونان :

كانت بلاد اليونان مقسمة الى مدن ، وتكون كل مدينة دولة قائمة بذاتها ، وقد قبل أفلاطون هـذا الوضع ، بل رأى أن المدينة هى المجتمع الطبيعى ، وان الامبراطوريات الكبيرة كالدولة الفارسية، هى مجتمعات غير طبيعية ، وساعدت الحالة الجغرافية على أن يسود بلاد اليونان هذا اللون من نظم الحكم ، اذ تخترق البلاد سلسلة من الجبال تحيط بها الميـاه فتقسمت الى وحدات سياسـية صغيرة مستقلة • وتمتع اليونان بالحرية فى التفكير المستقل المتحرر من

كل قيد ، فالمدينة هى المجتمع الطبيعى الذى يكفى نفسه بنفسه بسهولة ، ويدبر أموره بيسر • ولم ينصح أفلاطون اليونان بالاتحاد الا لصد غارات الأعاجم صونا لاستقلالهم • أما فيما عدا الدفاع فاليونان أحرار فى مدنهم • والسياسة عند أفلاطون هى تدبير شئون المدينة (الدولة) لتحقيق غاية الأفراد من فضيلة وسعادة • ويرى أفلاطون ان هذه الغاية لا تتحقق الا بحكام أفاضل يتبعون نظاما دقيقا ، ولا نحصل على هؤلاء الحكام الا بتربية طويلة ، ويقول أفلاطون : اننا اذا تأملنا مثال المدينة ، أو المدينة بالذات ، وجدنا أن لها وظائف ثلاثا :

الانتاج والادارة والدفاع :

لما كانت هذه الوظائف متباينة وجب أن تتألف مدينتنا من ثلاث طبقات ، كل منها معد لوظيفة بعينها • وهذه الطبقات هى : الحكام والجند والشعب • ويرى أفلاطون اننا يجب أن نميز ذوى الاستعداد الحربى من بين الصغار ، ونهتم بهم ، ونتعهدهم بالتربية • ويجب أن يكون الحكام فلاسفة لأن وجود أمثالهم ضرورى لصلاح حال المدينة ، اذ الفيلسوف هو وحده الذى يعلم الخير ويديره ادارة صادقة ، وهو وحده الذى يستطيع أن يتصور القوانين العادلة تصورا علميا واقعيا ثم يلقنها الآخرين بأصولها وبراهينها فتتأصل فى نظام المدينة •

وعلى ذلك فالفلسفة هى الوسيلة الوحيدة لوضع سياسة محكمة مستديمة للدولة ، والحكام فلاسفة يتأملون ويتناوبون الحكم ، يزاوله كل منهم بدوره ، أى أن أفلاطون ينادى بحكم الفرد العادل ، أو تتناوب الحكم جماعة بعد جماعة • على أنه يقرر برنامجا طويلا يمر فيه الفلاسفة حتى يصلوا الى الحكم • وهذا البرنامج الطويل فى التربية والاعداد للحكام لا يدع لهم سبيلا لكسب معاشهم ، لذلك يعيشون معا على نفقة الدولة ، ويحظر عليهم اقتناء الذهب والفضة سواء أكانت نقودا أم آنية أم حليا ما داموا فى غير حاجة اليها ، فتزول من نفوسهم شهوات الحياة العامة وشواغلها • كذلك تنتزع من نفوسهم عواطف الاسرة وشواغلها ، فيحظر عليهم

أن تكون لهم أسرة وانما يكونون جميعا للجميع · ويقيم الحكام كل سنة فى أسعد الأوقات الحفلات التى يعقدون فيها لكل كفء على كفئه من الجنسين زواجا مؤقتا الغرض منه الانسال فقط على قدر حاجة الدولة ، ويوضع الأطفـــال فى مكان مشترك يعنى بهـــم متخصصون ، وتأتى الأمهـــات فيرضعنهم دون أن يتعرفن عليهم ، فلا تظهر بين الحراس قرابة محدودة ، ولكنهم جميعـا أسرة واحدة يعتبر بعضهم بعضا مرتبطين بصلة القربى · ولمـا كان الزواج يتم بين الممتازين عقليا وجسميا فمن المرجح أن يجىء النسل ممتازا ·

هذه جمهورية أفلاطون التى تتضمن الشيوعية ، الا أن هذه الشيوعية فى الحقيقة مقصورة على الحراس فقط ، أما بقية الشعب فلهم حرية الامتلاك الشخصى ، ولهم أن يكونوا الأسر دون تقييد من الحكام الا بتحديد النســـل ، فان ولد للدولة أطفال فى غير الزمن المحدود أعدموا ، كذلك يعدم الطفل النـــاقص التكوين ، والولد الفاسد الاخلاق ، والرجل الضعيف العـــديم النفع والمريض الذى لا يرجى شفاؤه · على أن أفلاطون يرى أن ينزل الى الطبقة الثالثة من أبناء الحراس من يلحظ فيه انحطاطا منهم ، ويرقى الى الحراسة من يلمس فيه الأهلية من أبناء الشعب · واذن فطبقية أفلاطون من النوع المفتوح غير المغلق الذى يفتح مجـــالا للتفوق والنبوغ كى يرتقى الى الطبقات الأعلى من هو أهل لها ، ولذلك ليس هناك جمود يجعل أبناء الحراس حراسا ، بل ان من يظهر عليه الانحطاط ينزل الى طبقة الشعب · والحقيقة أن ارستقراطية أفلاطون وقصره الحكم على طبقة الفلاسفة لم تكن ارستقراطية دم ووراثة ، وانمـــا هى ارستقراطية فكرية ، فكل من يظهر نبوغا فكريا فهو جدير بالارتقاء الى طبقة الحكام ··

ولكننا نرى أفلاطون ينظر الى البشر وكأنهـــم آلات صـــماء لا عواطف لها ولا ميـــول ولا نزعات ، وهو يقضى على عاطفة الأبوة والأمومة مع أنها أساس عاطفة حب الوطن ، وفى سبيل بقاء مدينته فى الحدود التى رسمها لها لم يتورع عن القول باعدام الاطفـــال الزائدين على الحاجة والضعفاء والمرضى ، ولذلك فانه نظر الى كرامة

النفس وقدسيتها لا الى حق الانسان فى الحياة على قدم المساواة مع غيره .

والحق أن ديمقراطية بلاد اليونان كانت تختلف عما نعرفه عن الديمقراطيات فى العصر الحديث ، فالتمثيل النيابى فيها كان مباشرا ، بمعنى أن كل عضو من أعضاء المدينة كان يمثل نفسه فى مجلسها النيابى ، فلم تكن هناك انتخابات لصغر عدد سكان المدينة . كما أنها كانت ديمقراطية ناقصة لم تشمل كل سكان المدينة ، لأنها حرمت العبيد والأجانب الحقوق الديمقراطية ، بل ان أرسطو مثلا كان يبيح الرق ويعتبر الارقاء مساوين لأدوات الانتاج ، وهذه نظرة غير انسانية وغير ديمقراطية .

ويرى أرسطو أن السياسة مرتبطة بالأخلاق ، وانها يجب ان تستمد مبادئها من الاخلاق فتعمل على اسعاد الأفراد وتتعهدهم بالتربية والتعليم . ويؤكد ارسطو أن الاجتماع طبيعة فطرية فى الانسان لتحقيق كماله ، وأن الانسان مدنى بالطبع ، فهو لا يوجد بغير أسرة ترعاه وتتعهده حتى يبلغ أشده . ويرى أن المواطن الحق هو المواطن الحر وليس العبد ، كما يرى أن الطبيعة حبته بالذكاء والشجاعة ، فبنى لنفسه المدينة وتفرغ لسياستها ، فلا يتسع وقته للعناية بشئون معاشه ، وتأبى عليه كرامته أن ينزل للأعمال اليدوية يزاولها فيشوه يديه وخلقته ويظهر بمظاهر وضيعة ، فكان لا بد له ممن يتكفل بذلك دونه . وقد أوجدت الطبيعة شعوبا قليلى الذكاء أقوياء البنية فقدمت له منها آلات للحياة أو آلات حية فى صورة هؤلاء العبيد ، وأرسطو يقر الرق كما يقره أفلاطون ، ويلتمس له أساسا من الطبيعة الانسانية ويضع الشعب اليونانى فى موضع السيادة بالنسبة لباقى الشعوب ، والحقيقة ان ارسطو مسرف فى تعريفه للرق بأنه آلة حية ، اذ الحقيقة أنه انسان ، ومع هذا يقول ارسطو : ان ابن العبد لا يرث بالضرورة انحطاط أبيه .

أما غاية الدولة عند ارسطو فهى معاونة الأفراد حتى يبلغوا كمالهم العقلى والخلقى، وتتوافر لهم أسباب المعاش الحسن . ويقول ان رسم الحكومة الصالحة لشعب ما يجب أن تراعى فيه طبيعة هذا

الشعب ، ويرى أن خير حكومة هى المكونة من الطبقة الوسطى ، فهم أصحاب المصالح في المدينة ، ولا بد لهم من أن يحرصوا على عمـــل الخير .

والواقع أننا اذا تناولنا وجهة نظر ارسطو بالتمحيص نجد فيها الكثير مما يبعدنا عن الديمقراطية ، فالقول باعتبـــار العبيد آلات ووسائل انتاج يعتبر افتئاتا على حقوقهم كآدميين ، ثم هو بعد ذلك عدوان على الطبيعة الانسانية ، اذ الحقيقة أنهم آدميون قبـــل أن يكونوا أرقاء ، ففكرة الرق لا تستقيـم فى ظل الأنظمة الديمقراطية التي تقرر حقوق الانسان فى الحياة وحريته وكرامته ، ثم ان فكرته عن طبقة الأحرار ، وعن أن الطبيعة قدحبتها بقدر كبير من الذكاء فكرة لا يؤيدها العلم والتجريب الحديث ، اذ ثبت ان عقليات الاجنـــاس جميعا متساوية ، ولا توجد فروق فردية بين الأجنـــاس فى الذكاء تزيد عن الفروق الفردية بين أفراد الجنس الواحد ، بل اننا نجد كثيرا من العباقرة فى الاجنـــاس الزنجية والسامية التى يرميهـــا الغربيون بالانحطاط وعدم القدرة على التفكير الابتداعى والتركيبى ، ولكن الظروف الاجتماعية هى التى تحدد نمو أو انحطاط هـــذا الذكاء ، فالذكاء ولا ريب خلقة فطرية عند جميع البشر .

كذلك فكرته عن احتقار الاعمال اليدوية وترفع اليونانى الحر عن القيام بها أمر لا تقره الديمقراطية التى تنادى بالمساواة بين أفراد الامة ، وتمنع الاحتكار والاستغلال ، ولا تقر سيادة طبقة على طبقة ، على أنها لا تستقيم فى مجتمع ديمقراطى يسعى الى رفع مستوى معيشة أفراده عن طريق زيادة الانتاج ، بل أن الديمقراطية الحديثة تعتبر المواطن الصالح هو المواطن المنتج الذى يساهم بانتـــاجه فى بناء اقتصاد وطنه .

لقد استعرضنا فيما سبق لونا فريدا من ألوان الديمقراطية ، ولزيادة الايضاح نعرض صورة أخرى من صور الديمقراطية وهى : الديمقراطية الاسلامية .

الفصل الثانى

الديمقراطية الاسلامية

منذ بدأ الانسان يفكر كانت المشكلة المستعصية التى واجهها هي : كيف يستطيع أن يعايش غيره بحيث لا تتعـــارض الرغبات والمصالح، وبحيث لايكون فرد تحت رحمة آخر ينتقص من حريته ؟ وقد اصطلح الناس على ان كل حكم يهيىء الفرصة للشعب لكى يحكم نفسه بنفسه ، ويمارس مقتضيات سيادته بالطريقة التى يرتضيها انما هو حكم ديمقراطى ، ولذلك لا تسوغ الديمقراطية الحقة لطبقة أو طائفة من الناس أن تستحوذ على امتيازات لها على أساس الوراثة أو المال أو العنصر أو العقيدة ، لأنها تفترض أن كل فرد يعيش فى جماعة ينشد الحرية بكل مقتضياتها فى دائرة المجتمع الذى يعيش فيه بلا عنت ولا اضرار ٠

ولقد اختلفت الديمقراطية فى مظاهرها من عصر الى عصر ومن بلد الى آخر ، حتى لقد ابتعدت فى كثـــير من الاحيان عن جوهرها الأصيل فجمعت بعض المجتمعات بين الديمقراطية والرق ، مـــع أن الحرية هى لب الديمقراطية ، وكانت الديمقراطية فى بداية أمرها تعنى بالحقوق السياسية فقط حتى قيل انهـــا تعنى « أن كل شىء يدبر بوساطة الشعب » ولكن هذا المفهوم تطور وتعدى المساواة فى الحقوق السياسية وشمل المســاواة فى الحقوق الاجتماعية وبذلك عبروا عنها بأنها تعنى « أن كل شىء للشعب » ولعل أهم ما يتميز به القرن التاسع عشر أنه عصر الاتجاه الديمقراطى ، أما ما يتميز به القرن العشرون فهـــو انه عصر الصراع المرير بين الديمقـــراطية والدكتاتورية ، حتى لقد ظهر هذا الصراع فى شكل تحد خطير بدأته النازية سنة ١٩٣٩ ولحقت به الفاشية سنة ١٩٤٠ ٠ والحقيقة أن العـــالم العربى لم يستطع أن يتنسم عبير الديمقراطية ، لأنه ظل

تحت ظلم الاستعمار أعواما طويلة ، ولذلك لم يشهد العالم العربى ديمقراطية حقة ولكنه شهد مسرحيات مثلت فيها مشاهد من الديمقراطية أبعد ما تكون عن الواقع والحقيقة .

الديمقراطية في أحكام العرب :

لا تختلف فكرة العرب في اقامة وحدتهم عن فكرة الشعوب الجرمانية ورغبتها فى تكوين وحدة ألمانية . ولا تختلف عن فكره أبناء الامارات الايطالية المفككة في القرن التاسع عشر فى اقامة دولة واحدة ، ولا تختلف كذلك عن آحلام الشعراء والكتاب فى اقامة اتحاد لاتيني من خلفاء الحضارة الرومانية القديمة ، ومفكرى وساسة أمريكا اللاتينية في اقامة اتحاد من خلفاء الأسبان والبرتغال فى أمريكا اللاتينية .

وحضارة العرب ليست جامدة تقف عقبة كأداء فى سبيل التقدم ، وتؤدى الى اندثار مجتمعهم ، كما اندثرت مجتمعات الهنود الحمر ، ولكنها حضارة قابلة للنمو والتقدم والتطور ، بل انحضارة العرب هى التى مكنت أوربا فى العصور الوسطى من أن ترد مناهل الحضارة اليونانية القديمة عن طريق الأندلس العربية وجامعاتها بصفة خاصة ، وهي التي ساعدت على بعث العلوم في أوربا بوساطة بحوث وكشوف العلماء العرب وما جمعوه من كتب الحكمة القديمة .

وسياسة العرب الاقتصادية لا تشوبها شائبة من جمود أيضا، وانما هى سياسة تقدمية تسمح بالتفاهم والتعايش وحسن الجوار ، فتجارتهم كانت في رواج عظيم في ظل تبادل واسع النطاق ، كما جابت سفنهم البحار لكى تجلب للعرب حاجاتهم ، وكذلك انتشرت حضارتهم فى آسيا وافريقية وأوربا ، ونقلت أوربا كثيرا من الزراعات والصناعات عنهم .

والنظم الاجتماعية عند العرب كريمة سمحاء تقوم على المساواة والعدل باعتباره أساس الملك ، والرحمة بالضعيف ، ورعاية الجار ، وايواء المستجير ، والحنو على الأرامل واليتامى ، واحترام حقوق الغير ، ومساواة المرأة بالرجل ، واعطائها حقوقها المدنية

والاجتماعية ، ولا توجد بهـــا فوارق طبيعية كالتى توجد فى النظم الارستقراطية الحديثة ، فلم يعرف المجتمع العربى فوارق حاسمة بين الطبقات، فكثير من الموالى والعامة وصلوا بجدهم الى أعلى المراتب واستوزرهم الخلفاء ، وكثير من الخلفاء كانت أمهاتهم من الجوارى ، كالمأمون الذى كان من أعدل خلفاء المسلمين . وكثير من الموالى نجح فى مصاهرة السادة ، وهذا ما لم يعرفه المجتمع الاوربى . وهكذا عرف المجتمع العربى حقوق الانســـان وحرية المرأة والمبـــادىء الديمقراطية كافة قبل أن تعرفها أوربا ، وانتشرت العدالة ، فكان الخلفاء يجلسون في ساحات القضاء يستمعون الى شكاوى الجمهور .

وهذه الثقافة كانت قابلة للتطور والتقــدم ، وليست فكرة الديمقراطية الموجهة والتخطيط الاقتصادى غريبة على الفكر العربى ، فقد سبق أن نظم العرب أداة الحكم ، وأسسوا بيت المال ومصروا الأمصار ، وأنشئوا الدواوين ، ووزعوا الأعطيات والارزاق توزيعا عادلا ، وشقوا الترع وبنوا القناطر والجسور وشيدوا المســاجد والقصور ، وأحيوا موات الارض بين النهرين ، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليــكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هــم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينـات ، وأولئـك لهم عذاب عظيم » .

ومن قوله تعالى : « يأيها الناس انا خلقنــاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفو أن أكرمكم عند الله اتقاكم أن الله عليم خبير » .

ومن أحاديث الرسول عليه السلام « ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا ماتصنع ؟ فقال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء فان أخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا » .

ومن أقواله أيضا فى حجة الوداع « أيها الناس انما المؤمنون أخوة فلا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد، فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله وسنتى .. الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب .. ان أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ومن أقواله أيضا « يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب » .

وقوله أيضا «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وحديثه أيضا « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » .

ومن ذلك أيضا قول عمر بن الخطاب « أيها الناس : والله ما فيكم أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

هذه الأحكام تحض على التعاطف والتآزر واحترام كيان الانسان وشخصيته وماله ، ولا شك أن الاسلام دين وعقيدة وسياسة للدنيا والآخرة وطاعة لله ورسوله ، رسم الوسائل الكفيلة بازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفرد والمجتمع ، وفكرة العرب عن الوحدة والاتحاد وبناء المجتمع المتماسك هى فكرة قديمة قدم الديمقراطية اليونانية التى ظهرت بوادرها فى الفلسفة اليونانية ويعرفها ارسطو بأنها مساهمة الطبقات الشعبية أى العاملة فى انشاء الحكم وممارسته ، وظلت الديمقراطية معنى فى كتابات آباء الكنيسة بالعصور الوسطى حتى جاء القرن التاسع عشر فعرفها بأنها انطلاق فى طريق تحرير حقوق الانسان الفردية وثورة على القيود التى كبلتها ، ثم ظهرت الفكرة السياسية فى الديمقراطية عندما اندلعت الثورة الانجليزية فى القرن السابع عشر والامريكية والفرنسية فى

القرن الثامن عشر . وباقامة المصانع وزيادة النشاط التجاري نشأت مشكلات اجتماعية ظهرت بسببها نظريات جديدة أمكن حلها والتغلب عليها مثل الاشتراكيه والماركسية . وهكذا وجد أن الديمقراطيه الدستوريه تكفل حقوقا مبتورة ، وعندئذ نشأت فكرة الديمقراطيه الاجتماعيه والاقتصادية الشاملة التى لا تقتصر على حق التصويت . وهكذا تشعبت معانى الديمقراطية : الى ديمقراطيه تحررية قائمة على تقرير حقوق الافراد فى حرية التفكير وحرية العقيدة والتعبير ، وحرية العمل والاجتماع والانتقال وحرية التملك ، وديمقراطية سياسية مستمدة من حق المواطن فى تكوين أداة الحكم ومراقبتها ممثلة فى الحكومات البرلمانية والرياسية ، وديمقراطية اجتماعية تدفع نحو تطوير الطبقات الدنيا وتحريرها ورفع مستواها . ثم ظهرت الديمقراطيات السوفيتية الشعبية التى تهدف الى تحقيق الاشتراكية لتهيئة السبل أمام الشيوعية الصحيحة بقوة حزب واحد يعمل على قيادة سفينتها بوساطة دكتاتورية جماعية . وهذه النظريات الديمقراطية المختلفة بدأت تتسرب الى البلاد العربية ، وأول هذه النظريات هى الديمقراطية الدستورية .

ولا ريب أن الاسلام دستور للعمل والانتاج الى جانب كونه عقيدة روحية سامية تهدف الى اسعاد الفرد والجماعة . ولقد ضرب الرسول عليه السلام أروع الأمثلة فى التمسك بالمبادىء الديمقراطية ، ومن ذلك نزوله على رأى الاغلبية فى كثير من الاحوال العامة حتى لو خالف رأيها رأيه الخاص ، وذلك عندما أشار شباب المسلمين عليه بالخروج لملاقاة الكفار فى موقعة أحد ، وكذلك أخذه بمبادىء الشورى ، فكان يستشير كبار الصحابة فى الأمور العامة «وشاورهم فى الأمر» .. «وأمرهم شورى بينهم» . ولعل أروع الأمثله الديمقراطية التى ضربها الرسول عليه السلام هو تركه أمر خلافة المسلمين شورى بينهم ، وعدم تعيين من يخلفه على المسلمين قبل وفاته . وكذلك نرى أن الاسلام نظام اجتماعى ، فهو يحرص أشد الحرص على تحقيق التماسك الاجتماعى لأفراد المجتمع ، ففى ظله كفالة للفقراء والمحتاجين أن يعيشوا عيشة كريمة بما فرضه من زكاة يقدمها الاغنياء للفقراء ، ولعل هذه الفكرة هى بعينها فكرة الضمان الاجتماعى الحديث لأنها تعاون وتكافل بين الأغنياء والفقراء .

ومن الآيات والحكم المأثورة فى الاسلام التى تقرر المبـــادىء الديمقراطية الى جانب الاخذ بمبدأ الشورى : فكرة الاخذ من الاغنياء واعطاء الفقراء : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » واذا كانت الديمقراطية الحديثة تقرر حرية الفرد والاعتراف بكيانه وذاته واستقلاله وفرديته ، فان الاسلام قرر هذا المبدا ، اذ كان الفرد العربى تذوب شخصيته فى شخصية القبيلة ، فلم تكن له حقوق سياسية أو مدنية الا ماتسمح به العادة والعرف فى تلك القبيلة التى يقوم على توجيهها شيخ القبيلة المسن المجرب ، أما الاســـلام فقد إعترف بكيان الفرد واســـتقلاله كفرد فى حدود تجعل الفردية كريمة فى مجتمع تقدمى كريم ، وكذلك أتاح الاسلام للمرأة حرية واستقلالا لم تسمح بهما الانظمة الاوربية الا مؤخرا : منحها الاسلام حرية التصرف فى أموالها بما تشاء وكيف تشـــاء ، ومنحها حق الوصاية على أولادها القصر ، وظلت المرأة متمتعة بشخصيتها ونسبها واسم أسرتها حتى بعد الزواج . أما النظم الاوربية فان المرأة تفقد فيها اسم أسرتها بمجرد الزواج ، ويصبح اسمها منسوبا الى اسم زوجها على أنها قرينته .

ونادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة والعــدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص ، فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، والناس سواسية كأسنان المشط ، وكان المســـلمون عادلين فى سياستهم الديمقراطية حتى مع البلاد التى فتحوها ، فكانوا يتركون أمر البلاد الى أهلها ، كما كانوا يراعون الظروف الجغرافية فى تقدير الضرائب على المحصولات .

فقد غير الدين الاسلامى النظام الاجتماعى السائد فى شـــبه الجزيرة العربية التى كانت تنقسم الى طبقة ارستقراطية غنية لا هم لأفرادها الا شرب الخمر ولعب الميسر ، وطبقة الفقراء الأذلاء .. فغير الدين الاسلامى هذه النظم البالية وأكد وجود قوة عليا تهيمن على هذا العالم غير هذه الاوثان والاصنام ، وبشر بالاستمتاع البرىء بما فى الدنيا من خيرات ، ووعد الصالحين بالثـــواب ، والطالحين بالعقاب ، وحث على الاخاء والمســـاواة ، وجمع الامة العربية تحت راية واحدة .

ثم هضمت الايديولوجية الاسلامية الثقافات الأخرى المجاورة التى تأثرت بها ، كالثقافة الفارسـية واليـونانية ، والبيزنطية والرومانية حتى الصينية والهندية البعيدتين عنها ، وتفاعلت مـع هذه الثقافات وخرجت من ذلك كله ثقافة واسعة شاملة ٠

وأحرز العرب تقدما ملحوظا فى الرياضيات والطبيعة والفلك والطب والكيمياء ، وفن المعمار والتصـوير ، والادب والفلسـفة والشعر ٠ فى حين كانت أوربا غارقة فى الجهالة ، وعلى الجملة كان الدين الاسلامى حافزا للتهذيب الوجدانى والاثارة الفكرية ، بل ان الدين نفسه وعلومه كانا حافزين على البحث والدراسة ، ولهذا نجد الشواهد التاريخية تدللـا على أن الشخص العربى يميل الى التفكير المستقل والروح العلمى ، والتجديد المستمر والتطور والتقدم ٠

قوة النظام الديمقراطى :

الديمقراطية هى الركن الثانى من أركان الايدولوجية العربية الجديدة ، وهى تقر حريه القول والفكر والمساواة بين جميع الافراد والطوائف ، ونؤكد التسامح والرضا بحكم الاغلبية ، ونؤمن ايمانا عميقا بكرامة الفرد وحقوقه الانسانية ٠ والديمقراطية ليست نظاما للحكم فقط وانما هى أسلوب حياة يسير عليه كافة أفراد المجتمع فى تعاملهم واتصالاتهم ، وهى بذلك تستمد وحيها من المبادىء الروحية السامية كالمحبة والاخوة والعدالة والتسامح ٠ على أن اتباع هـذا الاسلوب فى الحياة أمر عسير صعب ، لأن الاقطاع والاستعمار غرس فينا العبودية ، ولذلك كان لزاما لنجاح هـذا الاسلوب العمل على نشر الوعى الديمقراطى ٠

فلا بد من كفالة حقـوق الافراد لا السياسية فحسب ، بل الحقوق الاجتماعية أيضا ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا بد من العمل على رفع مسـتوى المعيشة لأفراد المجتمع ٠ ونحن نرى أن الدستور المصرى لسنة ١٩٥٦ تضمن ألوانا من هـذه الحريات ، كالحرية الاقتصادية فى حدود المصلحة العامة ، وليس الامر مجرد دساتير ولكن العبرة بالتنفيذ ، والتنفيذ يتطلب الايمان بالمبـادىء

الديمقراطية ، والايمان بها يتطلب نشر الوعي الديمقراطي • فما هي اذن الوسائل التي تساعدنا على نشر الوعي الديمقراطي •؟

أولا : لا بـــد من أن يكون المواطن الذي يعيش في مجتمع ديمقراطي مثقفا ، لانه يكون أكثر تفهما وتسامحا ، وأكثر تعاونا والماما بحقوقه وواجباته ، وأقدر على التفاهم مع من يختلف معه في الرأي ، كما يكون أقدر على الحكم والتمييز الصـــائب بين الصالح والطالح ممن يتقدمون لعضوية المجالس النيابية • ولا بد من نشر التعليم ومحو الأمية • ويقرر « توماس مان » في كتابه الديمقراطية القادمة أهمية التعليم في الديمقراطية بقوله : (ان غاية الديمقراطية هي تعليم الشـــعب ، والديمقراطية الحقة أرض خصبة للقريحة والادب) ، والى جانب التعليم لا بد من رفع مســتوى المعيشة من الناحية المادية •

ويقول هارولد لاسكي : ان الرأي العام لايقوى بالتعليم فقط ، بل بترقية أحوال الناس الاقتصادية ، فان تنظيم الجماعات الحسنة الحال أسهل من تنظيم الجماعات الفقيرة •

ولكي تزدهر الديمقراطية لا بد من وجود حكومة قوية رشيدة ، ونواب عاملين ، ونظم وطيدة وفي ظل هذا النظام لابد أن يعمل الحاكم ـــ ملكا كان أو رئيسا للجمهورية ـــ على تحقيق مصالح الشعب ، والعمل على اسعاده حتى يضمن ولاء الشعب له وانتخابه ، واننا نرى أن النظم الديمقراطية تقرر مبدأ المســـئولية الوزارية أمام البرلمان الذي يملك سحب الثقة من الحكومة اذا حادت عن الطريق القويم ، ونرى بعض الدول تحرص على عدم سيطرة الاغنياء على مقاعد البرلمان بتقليل مبالغ التأمين المطلوب للترشـــيح ، وتحديد نوع معين من الثقافة للتقـدم ، كما تحرص على أن يمثـل النواب جميع الطوائف الشعبية من عمال وفلاحين وتجار وموظفين الى جانب رجال الاعمال والمال ، وقد عملت حكومة الثورة الرشيدة على تحديد نســبة من المقاعد تبلغ ٥٠٪ للعمال والفلاحين •

ولدعم النظام الديمقراطي لا بد من تكوين ادارات محلية على أســاس ديمقــراطي ، تقـوم بادارة المـرافق ودراســة المشروعات

الإجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية في المنطقة المحلية على أن تزودها الحكومة المركزية بالمال والخبرة اللازمة لها . وهذا ما تقوم به حكومتنا الرشيدة في نظام الادارة المحلية .

وفي ظل النظم الديمقراطية تصدر القوانين التي تحمي الاسرة وتصون الملكية الخاصة الفردية المعتدلة وتحمي الأمومة والطفولة ، وتيسر التعليم ، وتنظم العلاقات بين العمال وأصحاب الاعمال ، وترعى قواعد العدالة الاجتماعية وتحمي الشيخوخة باصدار قوانين المعاشات والتأمينات وحماية الاحداث والمشردين والمنحرفين . وتقترح لمصلحة النظام الديمقراطي تقصير مدة عضوية المجلس النيابي ، لأن طول مدة العضوية قد يجنح ببعض الاعضاء الى التواني والفتور في خدمة الوطن .

ويجب التقليل من عدد النواب الى الحد الذي يجعل المناقشة مثمرة وممكنة ، كذلك يجب أن يكون الدستور قابلا للتعديل والتطوير ، فلا تكون نصوصه جامدة ، بل تقبل التلاؤم مع الأوضاع التي تجد في المحيط العالمي أو المحلي . ويجب أيضا التخلص من عيوب المناقشات الطويلة وبطء الاجراءات في اصدار القوانين ؛ وذلك بوضع حدود لكل متكلم لا يتعداها كما تمنع العودة الى مناقشة الموضوعات التي تم التصويت عليها . والحقيقة أن الديمقراطية العربيه ستسير بخطوات سريعة لأن العوائق التي كانت تقف في وجهها قد زالت ، فقد رحل الاستعمار الى غير رجعة ، وانهار عرش الرأسمالية الزراعية الاحتكارية ، وقضى على الاحزاب المتصارعة ، والتنظيم السياسي لا يمكن أن يقوم دون تنظيم اقتصادي دقيق يشمل حاجات الامة ويدفع وعيها دفعا نحو الطريق الى النور . ومن بين هذه الفلسفات انبثقت فلسفة جمال عبد الناصر في السياسة والاقتصاد لتطوير المجتمع العربي ، وتحديد مستقبله عند انطلاقه في طريق البناء والتعمير . ولا شك أن السياسة الاقتصادية والاجتماعية يجب أن تنبعا من صميم مصلحة الامة بأسرها ، كما أن استعباد الطبقات والحد من حرية الفكر وتخطيط الواجبات الشعبية على أشكال يغاير بعضها بعضا يعد افتئاتا على كرامة الشعب ،

وهدما لحريته واستقلاله ، وبذرا لبذور خبيثة تنشر الفزع والخوف والكراهية بين طبقات المجتمع ·

ولما كانت الديمقراطية ضرورة من ضرورات الحكم السليم بل تكاد تكون الركيزة للنظام الاجتماعي العادل ، والحرية العامه . كان من الضرورى أن تكون الديمقراطية ركيزة المجتمع العربى الجديد ، وحجر الزاوية فى بنائه لكى تسهم – فى اخلاص – مع اشتراكية المجموع وتعاونه فى قيام مجتمع ديمقراطى اشتراكى تعاونى · والتعاون لا يكون أداة خير ورفاهية الا فى ظل النظم الديمقراطية ، على أن الفلسفة التى أخذنا بها غير مستوردة من الخارج ، بل هى مستخلصة من واقع الامة العربية ومن ماضيها ، وهى فلسفة فريدة فى بابها ، اذ وضعت رأس المال الخاص فى خدمة الاغراض الاجتماعية العامة بعد أن كان فى ظل النظم البائدة يهيمن على طاقات الامة العربية والدولة ، فجعلته تحت اشراف الدولة للعمل على أداء واجبه فى خدمة المجتمع واخضاعه لرقابة ترشده وتوجهه ، وترسم له طريق العمل الصائب ، ولقد حرصت هذه الفلسفة على ابعاد رأس المال عن السيطرة على الحكم وتوجيهه فى خدمة الوطن فلم يعد سيدا بطاع ، وانما أصبح خادما أمينا للأمة ·

الفصل الثالث

الديمقراطية الغربية

هنـــاك أناس يرون أن الديمقراطية الغربية قدوة للفـــكر الديمقراطى ، لأنها تهتم بالحرية الفردية والكرامة الانســانية والمساواة القانونية ، وتشجع الكشوف العلمية ، وتعمل على ازدهار الرواج التجارى والتقدم الصناعى ، ولكن هذه الايديولوجية اختلطت فيها نزعة التملك واستغلال الطوائف الشعبية من الفلاحين والعمال ، كما أنها دانت بفكرة استعباد الشعوب الصغيرة واحتلالها ٠

وقد تأثرت هذه الديمقراطية بنزعات فلسفية مختلفة كالفلسفة التجريبية ، والفلسفة العقلية والمثالية ، ثم بنزعات السيطرة والقوة واستبعاد الرحمة الانسانية ، كما جاء بها الفيلسوف نيتشة الألمانى الذى يرى أن التواضع من أدب العبيد ، ثم تدخلت فيها أيضـــا نزعات العنصرية على حد رأى فلاسفة الالمان الذين اعتزوا بالجنس الالمانى واعتبروه الجنس الممتاز ٠ ونزعات القوة هى التى سرت فى الايديولوجية الغربية ٠ وكان من نتائجها أن لاقت الطبقات العاملة الظلم من الطبقات الحاكمة ، كما ظهرت أيضـــا فى معاملتها للدول الصغيرة معاملة وحشية استغلالية واستنزفت خيراتها ، وذلك هو ماكان يحـدث معنا ، فقـد كانت انجلترا تستولى على القطن المصرى بأبخس الاثمان ، والنفط من الدول الغربية ، ثم ترتد هذه الاشياء الينا على هيئة مصنوعات بأغلى الاثمان وأفدحها ٠

ومن ذلك أيضا عدوان الدول الاستعمارية علينا فى ســـنة ١٩٥٦ ، عدوانا دل على أن الايديولوجية الغربية فقدت الاســـاس الروحى والاخلاقى الذى تقوم عليه الديمقراطية أصلا لأن الديمقراطية الحقة تقدس حقوق الانسان وتعمل على اسعاده ، ومع ذلك فاننـــا لا ننكر تأثرنا بثقافة الغرب الفكرية والسياسية والعلمية ، فقـــد

يكون من الخير لنا أن نعتنق الروح الديمقراطي النقي الذى يحترم كرامة الانسان اطلاقا والعربى بوجه خاص ويقر مبدأ الحرية والاخاء والمساواة وتكافؤ الفرص ، ويؤمن بقدرة العقل البشرى ، ويسمح له بالانطلاق يخترع ويبتدع ويعلل ويحلل ويجدد ، على أن الديمقراطية العربية تتمشى مع روح الدين الاسلامى ، لأن الدين الاسلامى روح متطورة تقر المصلحة العامة وهو لا شك عامل من عوامل التقدم وقوة روحية خلاقة لتغيير المجتمع وايجاد جماعة انسانية متآخية . ولا شك أيضا أن الدين الاسلامى منهل من مناهل أيديولوجيتنا العربية الجديدة .

ان الديمقراطية هى الترجمة الصحيحة الدالة على أن الثورة عمل شعبى . ان الديمقراطية توكيد لارادة الشعب العربى . ووضع السلطات كلها فى يده ، وتكريسها لتحقيق أهدافه ، والاشتراكيه هى الترجمة الحقيقية لكون الثورة عملا تقدميا ، وهى تقيم مجتمعا تتوافر فيه الكفاية والعدل والعمل وتكافؤ الفرص ، مجتمعا يكثر فيه الانتاج وتتفرع الخدمات . ومما لا شك فيه أن الديمقراطية تقرر الحرية السياسية والاجتماعية ، ولا يمكن الفصل بين الاشتراكية والديمقراطية اذ لا معنى للديمقراطية التى يعيش الناس فى ظلها جياعا أذلاء وليس هناك معنى للمساواة ان لم تكن عاملا على رفع مستويات الدخل ، ولذلك فان الديمقراطية تقضى بأن يكون هناك حد أدنى لمستوى المعيشة لا يجوز أن يهبط الآدمى الى ما دونه .

ولقد عشنا فى عصر ما قبل الثورة حياة ديمقراطية ، ولكنها كانت ديمقراطية اسمية فقط ، لأنها كانت تتناول الشكل وتهمل الجوهر ، وكانت أبعد ما تكون عن التطبيق الديمقراطى ، بل ان الحكومات كانت تصل الى الحكم بمشورة المستعمر حتى وصلت الحال الى أنها وصلت مرة الى مقاليد الحكم فوق رءوس حرابه . اذن لا معنى للديمقراطية السياسية بغير الديمقراطية الاقتصادية ، فاذا كانت القوة المسيطرة فى بلد من البلدان هى قوة الاقطاع فان الحرية فى هذا البلد لن تكون الا حرية الاقطاعيين ، تحرس مصالحهم وتحقق أطماعهم ، من أجل ذلك قاسينا مرارة الاقطاع وسيطرته على سياسة الدولة وتوجيهها توجيها يخدم المصالح الاقطاعية ، فقوانين

الضرائب التصاعدية ، وتحقيق حق العمـــال فى الارباح ، وحظر الاشتغال بأكثر من وظيفه فى عضـــوية مجلس ادارة اشركات ، وقانون الاصلاح الزراعي ، وتحـــديد الملكية الزراعية ، ثم تحديد ما يمتلكه الفرد من أسهم الشركات بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه — كل هذه القوانين وغيرها كانت فكرتها موجودة ، ولكنها لم تجد الطريق للخروج الى حيز الوجود ، لأنها كانت تتعارض مع مصالح الطبقة الحاكمة .

والى جانب طبقة الاقطاعيين والرأسماليين كانت هناك الاحزاب السياسية التى كانت تتهافت وتتصارع من أجل الوصول الى الحكم متحالفة مع الرأسمالية المتطرفة ، فاحتكروا الحكم وأخضعوا الشعب لســيطرتهم ودكتاتوريتهم ، وحتى هـــذه الديمقراطية الشكلية السياسية التى تمثلت فى دســـتور ١٩٢٣ اعتبرت منحة للشعب وليست حقا طبيعيا شرعيا له ، وكان حق التصويت فى انتخابات مجالس النواب هو اجبار للفلاح على أن يعطى صوته لسيده صاحب الارض والا كان مصيره الطرد والتشريد .

وفى المدينة كانت الاصوات تشترى بالمال المتوافر فى أيدى الرأسمالية المحتكرة ، وفوق ذلك كانت نتائج الانتخابات لا تنجو من التزوير والتزييف ، ولكى تتمكن الرأســمالية من السيطرة على كراسى البرلمان فرضت أداء تأمين نقدى باهظ ، وتحت ظروف الفقر والجهل كانت سرية الانتخابات أمرا لا يمكن تحقيقه ، اذ كان يعرض الناخبين لأخطار الاضطهاد والظلم ، ولذلك لم يكن هنـــاك تنظيم شعبى صحيح ، ولم تكن هناك مجالس نيابية تمثـــل كل قطاعات المجتمع وطوائفه وهيئاته ، فساءت حالة عمال التجارة والصناعة ، لأنها لم تكن تملك القدرة على حماية نفسها من سيطرة الرأســمالية المتحالفة مع الاقطاع ، وأصبح العمـــل سلعة من السلع فى عملية الانتاج يشتريها رأس المال تحت أحسن الشروط المتفقة مع مصالحه ، ولهذا لاقت الحركات النقابية التى كانت تتولى المطالبة بحقوق الفئة المناضلة الكثير من الصعوبات والعراقيل .

ولم تكن حرية التعبـــير والنقد والرأى مكفولة للمواطنين ، ووجهت الصحافة نحو خدمة المصالح الرأسمالية ، وانكمشت الحرية

العلمية ، فكانت الرجعية تعمل على تثبيت المفاهيم التى تحقق مصالحها ، وأصبحت مناهج العلم تزخر بشعارات الاستسلام والخضوع ، كالزعم بأن مصر بلد زراعى ، وزراعى فقط ، ولا يمكن أن تقوم للصناعة فيه قائمة ، ثم أغفل تمجيد التراث العربى بما أضاء التاريخ من مفاخر وانتصارات وعلماء ومفكرين ، وطمست شخصيات الاحرار العرب والابطال الذين جاهدوا فى سبيل تحقيق حرية بلادهم •

وكانت وظيفة وزارة التربية والتعليم فى مصر مقصورة على تخريج موظفين يتكدسون فى دواوين الحكومة ، ويخضعون للروتين وينفذون اللوائح والقوانين كما هى ، وانعدم فهم روح الابتكار والتجديد والنقد ، ولتحقيق الديمقراطية تعمل الحكومة على توفير الضمانات والكفالات المختلفة التى تضمن للمواطن الحياة الديمقراطية السليمة ، فالحقيقة التى لا مراء فيها أن الديمقراطية السياسية لا تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، ولا بد من تحرير المواطن من الاستغلال بجميع صوره وأشكاله ، وأن تهيأ له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية ، وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته ، على أن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق مع خضوعها لطبقة معينة من الطبقات ، وانما لا بد من اشتراك جميع طبقات الشعب ، ولا بد من اذابة الفوارق بين الطبقات بحيث تتعاون جميع قطاعات المجتمع فى بناء المجتمع السليم ، بتذويب الفوارق الوضعية بين أفراد الشعب لكى نجنب هذه الامة ويلات الصراع الطبقى وما ينتج عنه من تفكك فى المجتمع وتصدع فى أركانه • ومن توليد لعواطف الكراهية والحقد بين أبناء الطبقات المختلفة للطبقات المستغلة المحتكرة ، وهذا يتطلب تجريد الرجعية من جميع أسلحتها السياسية والمالية ، لأن مصالحها تتعارض مع مصالح جموع الشعب ، ولابد للقضاء على تحالف رأس المال والاقطاع واحلال تحالف قوى الشعب العاملة محله ، وهم الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية ، وهذه القوى الشعبية هى التى تكون الاتحاد الاشتراكى العربى ، وسيكون هذا الاتحاد هو السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانياته ، وستمثل فيه جميع قوى الشعب التى طالما ظلمت واستغلت واحتكرت •

ويتطلب تطبيق مبادىء الديمقراطية الصحيحة اعادة النظر فى مناهج التربية والتعليم وأهدافها ، فلم تعد وظيفة التربية فى المجتمع الديمقراطى هى تخريج موظفين لسد حاجة مكاتب الحكومة ، بل أصبحت مهمتها اعداد الانسان اعدادا يساعده على اعادة تشكيل الحياة ، وكذلك أصبحت اللوائح الحكومية فى حاجة الى أن تتغير تغيرا جذريا جوهريا حتى تكون قادرة على خدمة ديمقراطية الشعب .

وسوف تعمل الديمقراطية على تنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، معترفة بقيمة الانسان ، عاملة على اضاءة جوانب فكره وحسه ، وتحريك الطاقات الخلاقة المبدعة فيه حتى ينعكس ذلك على فهمه للديمقراطية وممارسته لها ، وفهمه لأصولها وقواعدها وجوهرها الصافى النقى .

الفصل الرابع

أسس النظام الديمقراطي

تقدم أن الديمقراطية ، كنظام اجتماعي ، ليست شكلا من أشكال الحكم ، وانما هي أسلوب حياة ، ومعنى هذا أن الثقافة والنظم السياسية والاجتماعية وانماط السلوك والعلاقات تدخل تحت هذا المفهوم ، وعلى ذلك فان الافراد الذين لم يتشربوا العادات الديمقراطية ، ولم يكتسبوا القيم والاتجاهات والروح الديمقراطية لا يمكن أن يكونوا جميعا مجتمعا ديمقراطيا ، حتى اذا كان شكل الحكم ديمقراطيا ، وهذا يدلنا على أن الديمقراطية عملية نمو في نطاق الفرد والجماعة ، وعلى هذا الاساس لا نستطيع أن نقول : ان مجتمعا وصل الى اكتمال الديمقراطية ، لأن معنى هذا أنه جمد عند حد منها وثبت عليه ولم يعد له مجال للنمو ، والثبات معناه القضاء على امكانيات التغير نحو الأفضل ، وهذا يستلزم اتخاذ اجراءات دكتاتورية وفرض الحلول القديمة على المشكلات الجديدة ، برغم ما بين الظروف القديمة والحديثة من فرق شاسع · وهكذا يصبح مفهوم الديمقراطية مفهوما يكتنفه الغموض ، لان الديمقراطية ليست وليدة اليوم ، وانما هي فكرة نشأت مع الانسان وتطورت معه تطورا سريعا ، ثم لأن الديمقراطية نفسها تحمل بين طياتها عامل المرونة ، الذي يجعل عسيرا علينا أن نفرض على الديمقراطية شكلا أو وضعا معينا ، فالديمقراطية تأبى القسر والانصياع للسلطة التي تأتي من الخارج ، وبالرغم من أن الديمقراطية يكتنفها الغموض وعدم التحديد فهناك بعض المبادىء العامة التي تشترك فيها جميع النظم الديمقراطية المثالية ، ومن هذه المبادىء :

١ ـ الايمان العميق بقيمة الفرد كفرد

٢ ـ الايمان بقدراته وامكانياته

٣ ـ الايمان بقدرة هذا الفرد على أن يصرف أمور نفسه وأمور الآخرين :

هذا اذا ما أتيحت له الفرصة الكافية لتنمية قدراته وذكائه على نحو يجعل هذا الاسهام فى تقرير شئونه وشئون الآخرين سليما ، وهذا يجعلنا نلمس بسرعه أهمية التربية في مجتمع ديمقراطى ، ويتطلب هذا أن تتــاح للفرد فرص تعليمية متكافئة لابراز مواهبه وقدراته ، ويتطلب الايمان بالفرد تحقيــق رفاهيته وســعادته ومصالحه ، واعتباره أصلا وليس وسيلة لتحقيق غايات غيره فى الدولة • على أن مصلحة الفرد لاتتعارض مع مصلحة المجموع باعتبار المجتمع مكونا من مجموعة من الافراد ، وهذا على عكس ما نجده فى المجتمعات الدكتاتورية التى تجعل السيادة للدولة والفرد مسمارا صغيرا فى جهاز هذه الدولة ، وترعى مصلحة الدولة حتى ولو كانت على حساب مصلحة الفرد •

٤ ـ مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات أمام القانون :

يعنى مبدأ المساواة اتاحة فرص متساوية للأفراد فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية ، فالناس سواسية فى الحقوق والواجبات ، ولكل فرد الحــق فى التمتــع بمختلف الخدمات التى تقدمها الدولة على قدم المساواة مع غيره ، كما أن جميع أفراد المجتمع متساوون فى أداء الواجبات كالدفاع وأداء الضرائب وغيرها •

على أن مبدأ المساواة هذا لا يعنى أن جميــع أفراد المجتمع متساوون فى كل شيء ، فهذه المســاواة المطلقة لا تتفــق مع الديمقراطية ، لان الديمقراطية تؤمن بالفرد كفرد ، وبحكم اختلاف الافراد فى مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم، فهم بالضرورة مختلفون فيما بينهم فيما يتمتعون به • أما المســاواة التى تهتم بتحقيقها الديمقراطية فهى المساواة فى الفرص وفى نقطة البداية فقــط ، فالناس كما ولدتهم أمهاتهم متساوون ينبغى أن تتــاح لهم فرص متساوية فى الحياة وفى التعليم ، والفرص التعليمية هى أول فرصة تتاح للفرد ، ولذلك ينبغى أن تكون متساوية بالنســبة للجميع وليس ضروريا أن تنتهى بهم جميعا الى نهاية واحدة •

ويخطىء بعض المفكرين عندما يعتبرون الديمقراطية مبـــادىء جامدة تطبق على اطلاقها ، لأنها طريقة مرنة قوامها التفكير العلمى . والأخذ برأى الاغلبية مع مراعاة احتـــــرام رأى الاقلية • وأسلوب الديمقراطية يقبل الأخذ والعطاء وتقليب الآراء وتمحيصها واعمـــال الفكر فى جوانب المشكلة ، وبعـــد اجراء هــــذا البحث والفحص والتمحيص يكون ما تقره الاغلبية هو الذى تسير عليه الجماعة • وما تراه الاقلية لا تعمل به الجمـــاعة ، وان كنا نحترمه • ومصدر هذا الاحترام هو أن الحقيقة نسبية وليست ثابتة ، فما هو صحيح اليوم قد يصبح خطأ فى الغد وعلى الاقلية أن تخضع لرأى الاغلبية •

٥ ــ مبدأ التعاون :

التعاون من المبادىء التى تنادى بها الديمقراطية ، وهناك تعاون قسرى لا ترضى عنه الديمقراطية ، وتعاون عن رغبـة وطيب خاطر ، قائم على فهم وايمان بقيمة التعاون • وهذا النوع الاخير من التعاون هـو الذى تنادى به الديمقراطية ، بل تعتبره ضرورة أســاسية فى تكوين الافراد ، لأن الفرد لا تكتمل شخصيته الا بوساطة الآخرين ، فالفرد ينمو بالتعاون مع غيره ، فعن طريق احتكاك الانســان بغيره وتعامله معه تنمو قدراته ومواهبـه ، فالفرد لا ينمو فى الفراغ ولا بالنسبة الى نفسه ، ولكن بالنسبة للجماعة التى يعيش معها ، وعن طريق العمل الجمعى التعاونى تجد هذه القدرات المجال الفسيح للنمو والتعاون يعنى أن يعمـل الفرد للمجموع والمجموع للفرد • الفرد لا يعيش الا فى وسط جماعة ، ويجب أن يتعاون معها ، وكما يقول أرسطو « الانســان مدنى بطبعه » أى أنه ميـال الى الاجتماع بغيره بفطرته والتعاون يكون دائما مرتبطا بمفهومات الديمقراطية ويتجدد بتجددها •

ومعنى التعاون أنه تنظيم للعلاقات بين أفراد الجماعة يستهدف تعبئة جميع القوى الموجودة فى المجتمع : تعبئة قوى الأفراد للاسهام فى نشاط الجماعة حتى تتوافر الظروف التى تؤدى الى نمو شخصيتهم الى أقصى حد تسمح به امكانيـاتهم ، ويستهدف التعـاون توصيل الفرد الى المستويات العليا التى لا يستطيع غيره أن يحققها بدونها ، وكذلك تحقيق سعادة الجماعة وتقدمها ، لأن شخصية الفرد شخصية

فريدة ، لانه يمر بظروف وخبرات ، ويتعلم مهارات خلاف ما يمر بهـا غيره من الافراد ، واذن فكل فرد يستطيع أن يسهم فى خدمة الجماعة بشكل لا يتحقق لغيره من الناس ، ويصبح النظام التعاونى هو النظام الذى يسمح لكل فرد بأن يظهر قدراته المميزة • وهو النظام الذى يوائم بين القدرات الخاصة لجميع الافراد ليعود النفع على الجماعة كلها ، وبالقدر الذى يسمح به للفرد أن يساهم فى خدمة الجماعة ، ويجب أن يكون التعاون قائما على أساس الاعتراف بذكاء الفرد •

ولقد دلت أبحاث علم النفس الاجتماعى على أن ذكاء الجماعة أعلى من ذكاء الفرد بمعنى أنه اذا قام فرد مرتفع الذكاء بعلاج مشكلة ما ، وقامت جماعة متوسطة الذكاء بالعمل نفسه فان الارجح أن الجماعة تكون أقدر على الوصول الى مستويات أعمق فى العلاج بشرط أن تكون الجماعة قادرة على استخدام ذكائها الجمعى •

فمهما كان ذكاء الفرد عاليا فانه نتيجة لمروره بنوع معين من الخبرات قد يهمل بعض جوانب المسألة عند نظرها ، وقد يتأملها من زاوية معينة ، أما عندما يتناولها ذكاء مجموعة من الافراد فان كل واحد منهم يتناولها من زاويته الخاصة ، كما أن التفكير الفردى قلما يتخلص من الافكار والميول والاهواء الخاصة الذاتية • والحقيقة أن عملية احتكاك الفكر بالفكر تؤدى الى وضوح الموضوع وجلاء الحقيقة فالفرد يعرض فكرة ويأخذ أخرى ليصبح لديه فكرتان ، ولذلك وجب أن تتاح الفرصة لكل فرد لكى يعبر عن رأيه ، ولكى تكون عملية التعاون أكثر نجاحا ينبغى أن تكون هناك أهداف مشتركة للافراد المتعاونين حتى توجد لديهم اهتمامات ايجابية موحدة •

ولكى يثمر التعاون ثمارا طيبة لا بد من الحرص على توفير التماسك الاجتماعى ، ويكون ذلك بتحقيق الاهداف العامة والاهداف الخاصة ، ويجب أن يكون التعاون منذ بداية العملية فيشترك جميع الافراد فى اختيار الاهداف ورسم الخطط والتنفيذ ثم تأتى عملية التقويم المستمر مصاحبا للعمليات من بدايتها الى نهايتها ، والتغيير فى الاهداف والخطط والتنفيذ يجب أن يكون أمرا ممكنا •

٦ ـ مبدأ تحقيق تكافؤ الفرص :

لا يعنى هذا صب جميع الافراد فى قالب واحد ، وانما يعنى أن تهيأ الفرص للجميع ، لأن النشاط الاجتماعى متنوع ، ومن ثم يتطلب خبرات مختلفه ، وشخصيات مختلفة واتاحة الفرص المتكافئة لا يعنى اتاحة الفرص المتساوية ، لأن هذه الأخيرة تعنى أننا نفترض أن جميع الافراد متساوون ، ويعنى مبدأ تكافؤ الفرص أننا لا نميز بين طفل وطفل بالنسبة لفرص التعليم بسبب مركز أو جاه أو قدرة مادية أو نحوها ، وانما تتاح الفرص للجميع فى حدود امكانيات الجميع ، وعن طريق ما يظهره التلاميذ من قدرات واستعدادات يوجهون الى مراحل التعليم المختلفة • فلا نميز سلفا بين تلميذ وتلميذ آخر، ويعنى مبدأ تكافؤالفرص كمبدأ من مبادىء الديمقراطية باتاحة الفرصة لكل فرد ليسهم بالشكل وبالقدر الذى تسمح به استعداداته فى نشاط الجماعة بما يمكنه من النمو المتصل المستمر ، أى اتاحة الفرصة أمام جميع الافراد فى ميدان العمل والوظائف لكى يسهم كل فرد فى خدمة الجماعة • ومن الناحية التربوية يعنى ألا يقف المال أو الجاه أو الطبقة الاجتماعية بين التلميذ وبين الوصول الى أعلى المستويات التعليمية التى تؤهله لها قدراته واستعداداته الخاصة •

ولقد كان من أثر اعتراف الدول الحديثة بمبدأ تكافؤ الفرص أن عملت على تعميم التعليم فى المرحلة الاولى ، لأنها مرحلة التطبيع الاجتماعى والتنشئة الاجتماعية ومرحلة اكتساب الثقافة المشتركة للمجتمع ، وتمتد المرحلة الاولى الالزامية بحسب امكانيات الدولة المادية ، ثم ان هذه المرحلة هامة لأنها مرحلة يمكن فيها اكتشاف الميول والقدرات حتى يمكن توجيهها الى أنواع التعليم المختلفة •

على أننا نرى فى تاريخ الفكر التربوى من يعارض فكرة تعميم التعليم وتهيئة الفرص لجميع أفراد الشعب ، ويرى قصر الفرص التعليمية على القلة من القادةوالمتخصصين • وهؤلاءالمفكرون همأنصار « سياسة الكيف » وهناك آخرون يرون أن الديمقراطية تحتم علينا تعميم التعليم ، فالتعليم كالماء والهواء ، ويجب الاهتمام بجميع أفراد الشعب وان كان مستوى التعليم سينخفض اذا زاد عدد أطفال المدارس لأن ماينفق على عدد كبير هو نفسه الذى يصرف على عدد قليل •

٧ ـ مبدأ الحرية :

يتضمن التنظيم الديمقراطى تحديدا معينا لمفهوم الحرية وعلاقاتها بالنظام أوبالقانون. ويختلف المفكرون والفلاسفة فى تحديد مفهوم الحرية، والتاريخ يحدثنا أن كثيرا من المآسى الانسانية ارتكبت باسم الحرية ، وكثيرا من ألوان الظلم والاستبداد اقترفت باسم الحرية . واختلف الفلاسفة فى تعريفهم للحرية . ومن التعاريف الشائعة عن الحرية « أنها تحلل من القيود والالتزامات والتكاليف » ولكن هذا التعريف تعريف سلبى لا معنى له فى الواقع . وبعض الناس يرون أن الحرية لا تتحقق الا عن طريق الارتباط بكيان أعلى ، كما هو الحال فى الرهبنة والتصوف والعزلة عن المجتمع وتحقيق الحرية الروحية ، ولكن هذا الاتجاه اتجاه سلبى يضر المجتمع ، ولذلك وسمت حركة التصوف بأنها حركة ضد المجتمع ؛ لأنها انسحاب من المجتمع وهروب من الحياة الاجتماعية الى جوف الصحراء، بل الى التعطل وبذلك لايكون الفرد عضوا فى المجتمع، ولايشارك في النشاط الاجتماعى كعضو عامل فيه وكذلك الحال فى الرهبنة ، ولو ساد نظام الرهبنة لا نقرض المجتمع البشرى ، لأنه نظام لا يسمح بالزواج والانسال .

ولكن الحقيقة أنه مادام الانسان يعيش فى مجتمع، وهو يعيش فى مجتمع بالضرورة ، فانه لايستطيع أن يتحلل من القيود الاجتماعية وفى مقابل هذا الرأى القائل بالحرية المطلقة نجد نوعا آخر من الفكر ينكر الحرية اطلاقا ويقرر الحتمية المادية ، فيرى أصحاب هذا الرأى أن الانسان مسير ، وأن سلوكه محتوم عليه ومقدر ؛ وان الانسان محكوم بالعوامل الداخلية والخارجية التى تملى عليه نوعا معينا من السلوك ، وهذا ما يعرف باسم الحتمية السيكولوجية ، وهذا الرأى ينكر الحرية اطلاقا، ومن ثم يقرر أن الانسان غير مسئول عن سلوكه، ولكن هذا الرأى يتنافى مع ما نلاحظه من امكانية الفرد على التخطيط للمستقبل والتحكم فيه ، وعلى ما نلاحظه من حرية فى اختيار موقف معين من بين المواقف المتعددة التى يكون الانسان بازائها .

ولكن مفهوم الحرية كاختيار ينقصه الجانب الايجابى ، فالانسان لايستطيع الاختيار الا اذا كانت لديه القدرة المادية والعقلية والمهارات

لتى يتطلبها الأداء ، فتصبح الحرية عديمة المعنى حيث يكون الانسان نادرا على الاختيار من الناحيه النظرية ، وعاجزا عن التنفيذ من الناحية الواقعية • وقد تعرف الحرية بأنها القوة، ولكن قوة الانسان قد تملى عليه نوعا معينا من السلوك ، وعلى ذلك لا يكون للحريةمعنى اذا لم ترتبط بالاختيار • وفى الاطار الاجتماعى نستطيع أن نعرف الحرية بأنها التحلل من القيود المعطلة لامكانية الاختيار أو لممارسة الاختيار ، ولا بد من وجود القوة والقدرة : فمثلا ، قد تكون حرا فى شراء سيارة ، ولكنك لا تملك المال الذى تشتريها به •

ومواقف الحياة متنوعة ، فقد تكون لك الحرية فى موقف دون بقية المواقف ، وإذن فالحرية موقفية • وهناك أنواع من الحريات ومن العبث أن نتكلم عن الحرية بالمعنى المطلق الشامل ، وعلى هذا النمط تكون الحرية الاجتماعية •

أمافيما يختص بعلاقة الحرية بالنظام أو بالقانون فاننا نجد أن الدولة فى كثير من الاحيان تفرض بعض القوانين التى تحد من حرية الاختيار في مجالات معينه وقد تمنح فرص الاختيار فى مجالات أخرى • ولا بد من تدخل الجماعة لتنظيم علاقات الافراد بما يضمن تحقيق العمل التعاونى ، واستغلال مصادر الثروة •

والواقع أن الحرية بهذا المعنى لا تتعارض مع وجود النظام لأن أى عمل اجتماعى يتطلب نوعا معينا من التنظيم ، أى أنه يتطلب القواعد والقوانين ، فمثلا لا بد فى لعب الكرة من وجود القوانين التى تنظم اللعب ، ولكن التنظيم المطلوب هو أقل درجةمن التنظيم الذى لا يمكن أن يؤدى النشاط بدونه ، والتنظيم الأفضل هو الذى يتيح أكبر فرصة لاكبر عدد من الافراد للتمتع بالحرية والنمو ، ويعبر عن النظام المناسب بأنه الذى يتضمن الحد الادنى من القواعد والقوانين المحدودة للنشاط • والواقع أنه لاحرية بلا نظام ، على شرط ألا يعطل هذا التنظيم امكانيات النمو ، وكما يقولون عن الحرية الشخصية انها تنتهى حيث تبدأ حرية الغير ، فالحرية فى اطار ونطاق حدودك الشخصية ، فأنت حر على شرط ألا تضر الآخرين ، وهناك حرية العقيدة ، وحرية العمل والاقامة والتعبير عن الرأى وغير ذلك •

« الديمقراطية في نظر جون لوك »

بينما يبدو « هوبز » نصيرا للملكية ، منكرا لحق الشعوب فى الثورة على الملوك يبدو « لوك » على العكس منه نصيرا لحق الشعب فى الثورة على الملوك الذين يحيدون عن خدمة شعوبهم ، ويضرون بحرية أفرادها • وقد حاول لوك تنفيذ فكرة الحق الالهى المقدس الذى يدعيه الملوك ، ومن ثم الحق المطلق فى حكم الشعوب ، وحاول اثبات أن الملوك مسئولون أمام شعوبهم . وأن الغرض من الحكومات هو تحقيق مصالح شعوبهم وتوفير السعادة لاكبر عدد من أفراد الأمة •

ويرى لوك أن الانسان فى المجتمع البدائى الخالى من القوانين يسير وفق القانون الطبيعي الاخلاقى الذى فطر عليه الانسان كحيوان عاقل يستطيع بعقله أن يميز بين الخير والشر وأن يعرف حقوقه وواجباته بازاء الآخرين •

فحياة البشر قبل نشأة الحكومات كانت حياة سلام وحسن طوية ، وتبادل للمعونة والحماية • ومن أهم حقوق الانسان التى عرفها الانسان البدائى حق الحياة وحق الحرية وحق الملكية ، فكانت حياة الناس تسير على حسب الاخلاق الطبيعية فى الحرية والمساواة لا على أساس القهر والقوة والفتك ، ولم يفهم الانسان معنى حريته على أنها اعتداء على الآخرين ، بل على أنها استقلال وتحرر من سيطرة الآخرين ، وفى ظل الحياة البدائية ساد التعاون والتضامن •

ويرى « لوك » أن الحكومة لم تخلق التعاون خلقا بحيث يحق لها بهذا الصنيع الحكم المطلق ولكنها فقط نظمت التعاون الموجود أصلا . وهو يرى كذلك أن القانون الوضعى يتمشى مع الاخلاق . ولكنه لا ينشىء الاخلاق ، لانها سابقة عليه • فالافعال اما خطأ واما صواب بذاتها ، والعقل البشرى يستطيع الوصول الى معرفة الخطأ والصواب بنفسه •

ويؤكد « لوك » كذلك أن الانسان ولد مزودا بمجموعة من الحقوق الطبيعية الفطرية التى لم يكتسبها من الحياة فى الجماعة ومن أهم هذه الحقوق حق الملكية الفردية الخاصة ، لأنه يرى أنه كان كل شىء فى الاصل شائعا ، وكان لكل فرد حق الحصول على ما يحفظ

عليه حياته ، ولما ارتقى الانسان أصبح من حق كل فرد أن يمتلك ما أنتجه بعمله الخاص وبما أن الانسان يولد مالكا لجسمه وقوته العضلية والعقلية ، فان ما ينتج عن نشاط ذاته أيضا مملوك له ، فما يصنعه الفرد هو امتداد لذات الفرد لا يمكن حرمانه منه .

أما فيما يتعلق بفكرة التعاقد الاجتماعي ، فان « لوك » يجعل الملك طرفا فيه مع الجماعة فلا يقصره على الجماعة وحدها حتى يكون الملك مسئولا عن سلوكه أمام هذه الجماعة على عكس ما ذهب اليه « هوبز » .

الفصل الخامس

الاتحاد القومي أو الاتحاد الاشتراكي العربي
كمظهر من مظاهر الديمقراطية

مقـــدمة :

لقد قاسينا كثيرا من ويلات الاستعمار فى العهود البائدة . ورأينا كيف كان الاستعمار يستعين بالاحزاب على تحقيق مآربه وبسط سلطانه وتنفيذ سياسته ، ورأينـــا فى تاريخنا السياسى المرير كيف كانت الأحزاب تتناحر وتتنافس فى الوصول الى الحكم واستمر الحال هكذا يسير من سيىء الى أسوأ حتى قيض الله لنا رجالا أحرارا قاموا ليحرروا البلاد من الظلم والفساد والطغيان ، ومن الاستعمار البغيض وأذنابه ، فحطموا القديم الفاسد البائد وأصبح لدينا فراغ سياسى ، لذلك انتظم جميع أفراد الجمهورية العربية المتحدة وانبثقت من روح الشعب العربى الكريم صيحة مدوية : «الوحدة الشاملة» وقام الاتحاد القومى ليكون الدرع الحصينة التى تقى مكاسبنا الثورية ، وتصون أهدافنا من العبث والانحراف .

وبقى علينا أن نبنى من جديد ونشيد صرح مجتمع اشتراكى وديمقراطى تعاونى ، مجتمع لامكان فيه للاحتكار والاستغلال ، ولا لسيطرة رأس المال على الحكم أو على الافراد ، مجتمع يحترم الملكية الفردية الخاصة على الا تستخدم الا لخير الجماعة ، مجتمع متحرر من الظلم الاجتماعى والنفوذ الاستعمارى ، ومن الرجعية والانتهازية ، حتى يصير الوطن وأبناؤه جبهة واحدة وطنية متعاونة لا انقسام فيها ولا كراهية بينها .

« ان معركة البناء فى كل أمة من الأمم هى أكبر معاركها مع الزمان والمكان، وهى معركة دائمة دائبة .. بل هى ملحمة مستمرة الحلقات ما دام للانسان وعى يدرك ، وايمان يدفع وعزيمة تمضى » .

وهذا هو النداء الموجه الى القادة والبنائين للمجتمعات فى

الوطن العربى · وما دام البناء هو أكبر معارك الامة فالواجب أن تعبىء له جميع قواها المادية والبشرية وأن تشترك الامة بأسرها فى خوض غماره ·

هذا ولا تقوم للاصلاح قائمة ولن يؤتى أكله المرجوة الا اذا أحس الافراد أولا بمشكلاتهم واقتنعوا بحاجتهم الى الاصلاح ووثقوا ثقة أكيدة ، وآمنو ايمانا راسخا بجدوى أساليب الاصلاح الحديثة وبرامج التعمير التى تخطط لرفع مستواهم ، بل لابد من مساهمتهم مساهمة فعلية ايجابية فى تنفيذ برامج الاصلاح ومشروعات التعمير والاصلاح · والاتحاد القومى سبيلنا الى تحقيق هذه الاهداف لذلك أصبح شعارنا هو « أننا جميعا بناءون..وأننا جميعا مسئولون·· كلنا ايجابيون ·· كلنا مشتركون فى بناء صرح الوطن ·· ليس فينا من يعمل ومن يقف موقف المتفرج ، اننا كلنا عاملون فى بناء المجتمع الجديد المتحرر من براثن الفقر والجهل والمرض » .

واذا كان لابد للاصلاح أن يؤتى ثماره الطيبة باشتراك جميع أفراد الامة فالواجب أن توجه العناية الى القاعدة الشعبية ، لأنها الطاقة البشرية الهائلة التى يقوم عليهـا البناء وتوجه العناية الى اصلاحها وحمايتها من الآفات ، وزيادة مقدرتها وكفايتها الانتاجية من حيث الكيف والكم، ومن حيث الانتاج والاتقان والكمية، حتى تسهم مساهمة فعالة فى بناء الاقتصاد القومى المتين ، وتستلزم تعبئه القوى الشعبية توجيها سليما وتنظيما دقيقا ، وخير من يقوم بهذا التوجيه هم القادة من أهل المجتمعات نفسها لانهم أكثر الناس احساسا بمشكلات مجتمعاتهم ، وأقدرهم على حلها · ثم انهم أكثر الناس اكتسابا لثقةأهل المجتمع المحلى وتحقيقا لهذه الغاية ينبغى أن يتم اختيار هؤلاء القادة بطريقة ديمقراطية . وتحقيقا لمبدأ اشتراك أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع فى تنفيذ مشروعات الاصلاح رأت لجان الاتحاد القومى أن تضيف الى نشاط أعضائها لافادة من خبرة كل من تدفعه حماسته للمساهمة فى التيار الاجتماعى بعلمه وثقافته ، كما روعى تحقيق التعاون التام بين مختلف لجان الاتحاد القومى فى تنفيذ برامجه .

بعد هذه الاشارة العابرة الى أهمية المشاركة ، والمساهمة فى

تنفيذ وصيانة مشروعات الاصلاح وضرورة توثيق الصلة بين الافراد وحكامهم نشير الى الهيئة الموكول اليها هذا النشاط وهى الاتحاد القومى ٠

لقد كان الاستعمار قديما يستعمل الشعب ضد الحكام ، وكان يبدو هذا واضحا فى السلوك العدوانى ، ومظاهر التخريب المختلفة لممتلكات الحكومة والمظاهرات العدائية المتعددة ، وكان يستخدم تارة أخرى الحكام ضد الشعب أو الاحزاب ضد بعضها بعضا لينشر الفساد والفتن والنزاع والصراع بين قوى الشعب المختلفة حتى تنصرف تلك القوى عن مهاجمته وحتى تضعف ويقوى هو على اذلالها واخضاعها لسلطانه ونفوذه ، وكان النظام القائم فى البلاد يمثل الاقطاع والسيطرة والاستبداد والاحتكار ، ولهذا جاء الاتحاد القومى لتلافى هذه المآسى ، لصيانة مبادىء القومية العربية والحياد الايجابى والتعايش السلمى ، ولتسليم قضية الشعب الى صاحبها أعنى الى الشعب ، ممثلا فى الاتحاد القومى ٠ ولقد صدق زعيمنا المحبوب حين عبر عن اتحاد الأمة تعبيرا صادقا بقوله « ان اتحاد أمتنا هو أول سبيل أمننا فى اتحاد وطننا ، ان الاتحاد هو الدعامة الرئيسية التى يمكن أن يتركز عليها بناؤنا ، ولم يكن الاتحاد القومى الا الاطار الذى يحيط بهذا الاتحاد ويرسم شكله العملى : لا فرقة بيننا ولا فتن ولا أحقاد فان الامة فى حاجة الى أن تعبىء نفسها وتحشد مواردها وامكانياتها حتى تستطيع أن تفسح لنفسها مجالا تحت الشمس ٠

التعريف بالاتحاد القومى

لقد نص دستور الشعب فى مادته ١٩٢ على ما يأتى « يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ولحث الجهود على بناء الأمة بناءسليما من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الامة » ونحن اذا ما أمعنا النظر فى هذا التعريف الذى جاء به الدستور استطعنا أن نؤكد ان الاتحاد القومى ليس حزبا من الاحزاب ، لان الحزب انما يقوم ليمثل فئة معينة من فئات الأمة انما الاتحاد القومى يمثل الأمة بأسرها ، بل انه الوسيلة

الوحيدة لتجنب أخطاء الماضي التي ارتكبتهـا الاحزاب السياسية المختلفة كما ان الاتحاد القومي يختلف عن نظام الحزب الواحد. لان الحزب الواحد يمثل فئة قليلة من الناس تحتكر لنفسها السياسة وهو بذلك تعبير عن الديمقراطية الحقة .. الديمقراطية السياسية المتجلية فى فتح باب العضـوية ، وفى سهولة شروط الترشيح لعضويته» والديمقراطية الاجتماعية» باعتباره يعمل على رفع مستوى المعيشة للافراد وتقليل الفوارق بين الطبقات ، وهو بذلك نظام فريد فى بابه نبـع من ظروفنا الاجتماعيـة والسياسية من تجاربنـا ومن الدروس التى تلقيناها فى الماضى .

واذا ما أردنا ان نشرح مضمون المادة (١٩٢) نجد أنهـا تضمنت الاشارة الى ثلاث نواح قام من أجلها الاتحـاد القومى الى جانب الظروف السياسية السابقة :

١ ـ تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها الثورة :فما هى تلك الاهداف ؟

هى أولا : تخليص البلاد من الظلم والفساد والطغيان والرشوة والمحسوبية والوساطات .

ثانيا : الغاء الملكية واعلان الجمهورية .

ثالثا : تقريب الفوارق بين طبقات الشعب والقضـاء على الاقطاع .

رابعا : اقامة حكومة صالحة تعمل لمصلحة الشعب بأسره .

خامسا : تكوين جيش وطنى قوى .

سادسا : طرد المستعمر من أرض الوطن .

٢ ـ حشد الجهود لبناء أمة متماسكة من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، أى لبناء المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى .. المجتمع المتحرر من الخوف والعوز ، المجتمع الـذى تسوده الرفاهية والمحبة والتعاون بين جميع قطاعاته وأفراده فلا احتكار ولا سيطرة ولا استغلال ولا انتهازية . بل مساواة وعدالة اجتماعية واشتراك فعلى فى الادارة والحكم والعمل الايجابى البناء .

وتلك الاهداف هي من صميم ما تهدف اليه التربية الحديثة لأنها تعمل على اعداد المواطنين الصالحين ، وعلى خلق مجتمع قوى واع مستنير ، والى بناء جيل عربى مستنير يؤمن بالله وبوطنه العربى ويثق بنفسه وبأمته ، ويستهدف المثل العليا فى السلوك الفردى والاجتماعى ، ويتمسك بمبادىء الحق والخير ويملك ارادة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الايجابى ، متسلحا بالعلم والخلق لتثبيت مكانة الامة العربية المجيدة ، وتأمين حقها فى الحرية والعزة والحياة الكريمة ٠

٣ ـ انه يتولى الترشيح لعضوية مجلس الامة ، لانه القاعدة الشعبية التى يرتكز عليها البناء ، وهذا يحقق مبدأ الديمقراطية فى اختيار ممثلى الشعب ولقد فكر القادة والمفكرون فى ايجاد حل ديمقراطى سليم مع الاعتراف بواقعنا المادى والثقافى ، فرأى بعضهم أن يكون الانتخاب على درجات ، ورأى البعض الآخر أن يميز الأمى عن المتعلم فى الانتخابات باعطاء الأخير أصواتا أكثر فى الانتخابات ولكن الانتخاب الحر الذى يتساوى فيه جميع المواطنين ، الانتخاب المباشر ، هو جوهر الديمقراطية ، فالانتخابات المباشرة وسيلة لتهذيب الرأى العام ، كما أنها تشعر المواطن بذاتيته ، وقد انتهى التفكير بفكرة الاتحاد القومى ، وتولية الترشيح لعضوية مجلس الامة من ذوى الصلاحية والامتياز والكفاية وهذا الاسلوب اداة طيبة للتغلب على عدم قدرة الناخب وضعف حكمه على مستويات المرشحين للمجالس النيابية ٠ ومهمة الاتحاد القومى هى خلق جماعة متوازنة منسجمة ذات ميول تقدمية وطنية وأول واجباته النظر فى تفادى العيوب التى كانت متفشية فى حياتنا النيابية السابقة باختيار الاقدر والاصلح من المتقدمين للمجالس النيابية على أن يراعى فى هذا الاختيار تمثيل جميع الطوائف من العمال والفلاحين والصناع والتجار وأصحاب المهن الحرة ، وابعاد أنكسالى من الراسماليين القدامى ، وضعاف الكفاية والتجربة ومحبى الشهرة والظهور واستبعاد ضعاف الخلق ، ولا شك أن عملية الانتخاب من شأنها أن تسفر عن اختيار اكفأ وأقدر وأنزه المتقدمين ٠

نظم الاتحاد القومي وتشكيلاته

(أ) يوجد فى مجال القرية الاعضاء الذين انتخبوا فيها وهم يكونون اللجنة التنفيذية التى تتابع تنفيذ السياسة العامة للاتحاد القومى ، ويجدر بنا أن نشير الى شروط عضوية الاتحـــاد القومى المفتوحة لكل مواطن فقد اشترط ألا يقل سن العضو عن ١٦ سنة وأن يقدم طلبا للموافقة على أهداف الاتحاد القومى وأن يكون محل اقامته أو عمله أو مصالحه الرئيسية فى مكان عضويته وأن يؤدى اشتراكا قدره ١٢ قرشا سنويا ومن هذا يتضـح أنهـا شروط ميسورة .

(ب) هيئة المكتب : وتنتخبها اللجنة التنفيذية من بين أعضائها وتتكون هيئة المكتب من السكرتير وأمين الصندوق .

(جـ) اللجان الفرعية في القرية : يوزع أعضـــاء اللجنة التنفيذية أنفسهم على لجان فرعية تقوم كل منها بنوع معين من النشاط وتضم اللجان الفرعية أعضاء آخرين حتى تمثل فى هـذه اللجان جميع عناصر مواطنى القرية . كل فى ميدان تخصصه كما يراعى أن تمثل فى هذه اللجان جميع المؤسسات العامة والخاصة الكائنة فى القرية كالمدارس والمستشفيات والمراكز الاجتماعية والاندية الريفية والجمعيات التعاونية والمجلس القروى .

وتشكل بالقرية اللجان الفرعية الآتية :

(أ) لجنة التعاون والزراعة والصناعات الريفية والعمل .

(ب) لجنة الشباب .

(جـ) لجنة الثقافة والتعليم .

(د) لجنة الخدمات الاجتماعية والمصالحات .

(هـ) لجنة الخدمات العامة والصحة والمرافق العامة

(و) لجنة النشاط النسائى .

(ز) لجنة الادارة المحلية والشكاوى والمقترحات .

اللجنة العامة فى القرية : وتتكون من مجموع أعضاء اللجان الفرعية وتتولى رسم الخطط التى تقوم اللجان الفرعية بتنفيذها ، والتنسيق بين أعمال اللجان ومتابعة التنفيذ .

فى المركز :

(أ) اللجنة التنفيذية : تتكون من سكرتيرى اللجان التنفيذية فى القرى ومن عضو واحد عن كل خمسة من أعضاء اللجنة التنفيذية فى البندر ويراعى أن يكون أعضاء هيئة المكتب من هؤلاء الاعضاء .

(ب) هيئة المكتب : تتكون من رئيس ووكيل وسكرتير وأمين صندوق تنتخبهم اللجنة التنفيذية .

(ج) اللجنة العامة : وتتكون من سكرتير كل لجنة تنفيذية فى القرية وأمين صندوقها ، وعضو ثالث تنتخبه اللجنة التنفيذية من بين أعضائها ، واثنين عن كل خمسة من أعضاء اللجنة التنفيذية وتضم كذلك أعضاء هيئة مكتب اللجنة التنفيذية للمركز ، كما تضم عددا من المواطنين بحيث تمثل جميع عناصر مواطنى المركز والهيئات العامة والخاصة ، وتشكل فى المركز اللجان الفرعية المماثلة للجان القرية .

وأربعة لجان أخرى هى :

(أ) لجنة العمل والعمال
(ب) لجنة الشئون الصحية .
(ج) لجنة الشئون الاقتصادية
(د) لجنة التوجيه القومى

وتشرف اللجنة الفرعية فى المركز على اللجان الفرعية فى القرى والبندر التى تباشر نوع النشاط نفسه ويكون نشاط اللجنة الفرعية والعامة تحت اشراف اللجنة التنفيذية وبطرق مماثلة قائمة على الانتخاب والاختبار يتم تكوين المنظمات العليا للمحافظة والجمهورية كلها ممثلة فى اللجنة التنفيذية العليا فى الاتحاد القومى ، وكذلك اللجنة العامة للاتحاد القومى والمؤتمر العام ومدة العضوية فى الاتحاد القومى لم تحدد بعد تحديدا قاطعا .

أهداف الاتحاد القومي

ذكرنا آنفا ان الاتحاد القومي قام لتحقيق أهداف اجتماعية وقومية ، منها تحقيق الاهداف التي قامت من أجلها ثورة التحرير المباركة وأهمها القضاء على الاقطاع وتحقيق عدالة اجتماعية وتكوين جيش وطني قوي ، وتكوين المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني وطرد المستعمر وأنصاره .

كذلك يهدف الاتحاد القومي الى حث الأمة على بناء مجتمع سليم من النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضاء على الوان الصراع التي كانت تنشب من أجل الوصول الى الحكم ، وكذلك يهدف الاتحاد القومي الى رفع مستوى المعيشة لأفراد الامة وتحقيق الرفاهية ، والحياة الكريمة لاكبر عدد ممكن من أفراد الامة ومن أجل ذلك يتولى الاتحاد القومي مناقشة مشكلات المجتمع وحلها كمشكلة الفقر ، أو الجهل أو المرض ويهدف زيادة على ذلك الى ارساء قواعد الديمقراطية السليمة والاشتراك في ادارة المرافق العامة في المدن والقرى كالمستشفيات والمدارس والجمعيات التعاونية والمراكز الاجتماعية والوحدات المجمعة .

ومن رسالة الاتحاد القومي أيضا تعريف الحكومة بمشكلات المجتمع حتى تعمل على حلها ويعمل هو أيضا على حل ما يستطيع حله من المشكلات ، كقيامه بمكافحة الامية ومكافحة الامراض المتوطنة كالبلهارسيا . ومن بين وظائفه أيضا أن يقنع الناس بقيمة العمل اليدوي وانه لا يقل شأنا ولا شرفا عن أي عمل آخر ... وأن العمل سبيل بناء المجتمع ، وتلك وظيفة من أهم الوظائف التي تضطلع بها التربية الحديثة في بلادنا .. فنحن عندما نقلنا نظام التعليم عن الغرب أخذنا نظاما واحدا هو الذي يعني بتخريج مستهلكين ولا يعني بتخريج منتجين . ولقد ورثنا هذا عن النظرة الاغريقية التي كانت تمتهن العمل اليدوي وتحتقره وتحترم العمل العقلي والتأملي ، ومن ثم ترك العمل اليدوي للعبيد والعامة ، واختص الخواص من الناس بالعمل العقلي الفكري التأملي ، ولذلك امتهن أفلاطون الفن . وتعني التربية الحديثة أشد العناية بالتعليم الفني

العملى الذى يخرج صناعا مهرة منتجين لأن من وظائف التربية أن تعلمك كيف تكون منتجا بقدر ما تكون مستهلكا .

ويقوم الاتحاد القومى بحث الافراد على الاشتراك فى المشروعات النافعة والاسهام فى الجمعيات التعاونية ، وانشاء الطرق الزراعية والقيام بتنظيف القرية أو الحى . وهذه كلها من وظائف التربية التى تهدف الى تكوين الاتجاهات السليمة النافعة لدى أفراد الأمة كالاتجاه نحو التعاون وتحمل المسئولية ونحو النظافة وحب البحث العلمى والتأنى فى الحكم وعدم التسرع فى اصداره ، والايجابية .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الاتجاهات السليمة لا تتكون لدى الافراد بطريق الوعظ والارشاد والتلقين والالفاظ ولا بد لتكوينها من الممارسة العقلية والاشتراك الفعلى فى المشروعات والجماعات التى تمارس هذه الانواع من النشاط .

كما يقوم الاتحاد القومى بتكوين الوعى السليم ازاء مشروعات الحكومة والمرافق العامة للقضاء على العادات السيئة المتعلقة بهذه الناحية : عادات السلوك العدائى والتخريبى لكل ماهو ملك للدولة كالقطارات والحدائق ودورات المياه ، ولذلك يعمل الاتحاد القومى على تطهير الناس من السلبية ، أو بالاحرى من السلوك التخريبى الذى ورثناه عن أيام المماليك والاتراك الذين لم يكن لهم هم سوى استنزاف أموال الشعب حتى نشأت عاطفة عدم الثقة والشك والريبة فى كل من يمثل الحكومة ، والسلوك العدائى نحو ممتلكاتها والسلبية تجاه مشروعاتها ووظيفة الاتحاد القومى فى هذا الصدد هى تكوين الاتجاهات السليمة الايجابية لصيانة المرافق العامة واحترامها ، وللاشتراك فى مشروعات الحكومة وهذه أيضا من أهم وظائف التربية .

ويقوم أيضا بدراسة المشكلات وتقديم الحلول والمقترحات لحل هذه المشكلات الى الجهات المختصة كما يعمل على بث روح المحبة والاخاء بين أبناء الشعب وهو بذلك دليل الترابط والتماسك والاتحاد ، وفى هذا حماية من الفرقة والانقسام . كذلك من وظائفه محاربة الشائعات والاكاذيب المغرضة التى يشيعها الاعداء ، وتبصير

الشعب بمصالحه الفردية والقومية ، وبذلك يكون الاتحاد القومى تنظيما يضم الحكام والمحكومين ليعاونهم على علاج جميع المشكلات المحلية والقضايا العـــامة ، ويجمع جميع أفراد الامة صفا واحدا وارادة واحدة وقلبا وحدا ، وهو يعتبر حلقة الاتصال بين المواطنين والحكومة ، وبذلك تكون أهم الادوار التى يقوم بها الاتحاد القومى بالتعاون مع الحكومة هى تخطيط السياسة العامة للبـــلاد • ومن مظاهر التعاون بين الحكومة والاتحاد القومى أن رئيسه هو رئيس الجمهورية والوزراء أعضاء فيه ، كذلك يقوم الاتحاد القومى بتصفية الخلافات التى قد تنشأ بين الافراد واحالة العداء الى محبة وتعاون •

نشاط لجان الاتحاد القومى ودورها التربوى :

تعبر اللجنة عن رأى مواطنى الوحدة التى تمثلهم فى المسائل المحلية والعـامة ، وتقوم بتحقيق أهداف الاتحـاد القومى وبرامجه للمواطنين وحثهم على تنفيـذ هـذه البرامج ، واقتراح التشريعـات ورفعها الى الجهات الحكومية .

كما تقوم بملاحظة قيام الاجهزة الحكومية والهيئات العامة بواجباتها على الوجه المرضى، وعلاوة على ذلك فان اللجنة التنفيذية فى المحافظة تختص بالترشيح للمناصب الاقليمية وعلى اللجـان الفرعية أن تقوم بتنفيـذ سياسة الاتحاد القومى فى فرعها ، كمـا أن عليها أن تشجع المواطنين على المساهمة فى مشروعاتها والافادة الصحيحة من ثمار هذه المشروعات ، ومضغ جميع الاقتراحات التى من شأنهـــا أن ترفع مستوى المعيشة من النواحى الاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية وتنمى الوعى القومى فى دائرتهـــا وتمكن للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، وتدرس المشكلات وتضع الحلول العملية لعلاجها ، فتعمل مثلا على رفع مستوى دخل الفرد عن طريق نشر الوعى التعاونى ، وحث المواطنين على انشاء جمعيات تعاونية والمساهمة فيها •

ولها أن تتصل بالجهات المختصة للحصول على المســاعدات اللازمة لزيادة الانتاج وتنمية الثروة القومية ، وتعمل كل لجنـة فرعية فى ميدانها على النحو التالى .

١ ـ اللجنة الفرعية في الميدان الزراعي :

تعمل على ارشاد المواطنين الى انسب المحصولات للارض ، وتسهل لهم الحصول على التقاوى الجيدة والبذور المنتقاة والاسمدة والمبيدات الحشرية ، وتمدهم بآلات الرى والصرف والرشاشات والعفارات ، وتيسر لهم تسويق محصولاتهم تسويقا تعاونيا . وبذلك تحميهم من جشع التجار والوسطاء . وتبصر الاهالى بقيمة القوانين والارشادات الزراعية فى خدمة الآنتاج الزراعى القومى ، وترشدهم وتقنعهم باتباع الطرق الفنية الحديثة فى الزراعة ، كما ترشدهم الى أنجح الطرق لتنمية الثروة الحيوانية ، بادخال سلالات جيدة ، وتهجين السلالات الحالية واتباع الوسائل العلمية فى الوقاية والعلاج والتربية والتغذيةللنهوض بمستواها وزيادة الانتاج الحيوانى من لحم ولبن وبيض وكذلك تعمل علىتشجيع تربية النحل فى الخلايا الحديثة وتربية دودة القز وصناعة منتجات الالبان واستغلال الثروة السمكية ، وتعمل أيضا على أكتشاف أنواع الخامات المحلية واستغلالها اقتصادياً ، وتعمل كذلك على استغلال القوى العاملة والعناية بانتاج الخضراوات والفاكهة والنباتات الطبية والعطرية والاشجار المختلفة .

وتقوم كذلك بتنظيم عملياتهجرة الاهالى من الاماكن المزدحمة بالسكان الى جهات استصلاح الاراضى الزراعية ، وتشجع صناعة السلال والفاكهة والسجاجيد ، كما تعنى بالاتصال بالجهاتالمختصة لتدريب الفلاحين تدريبا مهنيا لزيادة كفايتهم الانتاجية ،وهذه هى وظائف احدى اللجان الفرعية ، ونلمس فيها الادوار التربوية التى تقوم بها فى نشر الوعى الديمقراطى ، وتكوين الاتجاه نحو التعاون وتبصير الاهالى بقيمة القوانين والارشادات الزراعية وارشاد الاهالى الى اتباع الاساليب الحديثة فى الزراعة وتربية الحيوان والصناعات الريفية ، كما تعملعلى تدريبهم تدريبا مهنيا وهذه كلها وظائف تربوية أصيلة .

٢ ـ لجنة الثقافة والتربية والتعليم :

تهدف لجنة الثقافة والتربية والتعليم الى نشر الثقافةالقومية

وتشمل تعريف المواطنين بمعنى القومية العربية وأهدافها ، ومعنى الحياد الايجابى ، ومعنى التعايش السلمى وتعمل على تدعيم عاطفة الولاء والاعتزاز بالقومية العربية والوعى بقضايا العرب ، وكذلك تعمل على تبصير المواطنين بأهداف الاتحـــــاد القومى ووظيفته فى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، وتعريف الاهالى بأن الامر يتطلب منهم أن يحسنوا فهم الرقابة الشعبية والمشاركة الايجابية فى حل المشكلات وادارة الاعمال والشعور بتحمل المسئولية واتقان العمـــل والاخلاص فيـــه ، ويتم ذلك عن طريق القـــاء المحـــاضرات والاحاديث وعقـــد الندوات والمناظرات والمؤتمرات لتيسر تداول الـكتب والنشرات والصحف والمجلات واقامة التمثيليات والعروض السينمائية وتتعاون هذه اللجنة مع المدرسة وغيرها من المؤسســات التربوية كمؤسسة الثقافة الشعبية فى حل مشـــــكلات التربية والتعليم فى المنطقة المحلية وتعمل على استكمال المبانى لاستيعاب الاطفال الذين اتموا سن الالزام أى سن السادسة . ولدينـــا نحو اربعة ملايين طفل ولا تتسع مدارسنا الا لنحو مليونين فقط ، ويتم ذلك بحث الاهالى على التبرع بالجهد والمال ، وبعقد الاجتماعات مع المسئولين . كما تقوم هذه اللجنة بتعليم الأميين ومساعدة أنصاف المتعلمين على استكمال تعليمهم . ويتم ذلك بفتح فصول لمكافحة الامية ، وحث الاهالى على التبرع لها ، وحث الشباب المثقف على التعليم فيها تطوعا ، وتيسير الحصول على الكتب اللازمة لها ، وبهذه المناسبة تقوم الحكومة بمجهود كبير لمحو الامية ، ومن ذلك أنهـــا استصدرت قانونا يلزم أصحاب المصانع والشركات والمؤسسات التى يزيد عدد العمال فيها على الثلاثين بفتح فصول لمحو أمية عمالها .

كما تعمل اللجنة على نشر الثقافة العامة بتشـــجيع متعلمى القرية على القراءة والاطلاع والاتصال بمصادر المعرفة ، وتعمـــــل أيضا على تبصير المواطنين بأهم المشكلات التى تواجه الجمهورية العربية المتحدة والمشروعات التى وضعت لعلاجها ، وتعمل على تبصير الأهالى بالعادات والتقاليد السائدة الصالحة لتقويتها والفاســـــدة للخلاص منها ، وتعمل كذلك على تنمية الذوق السليم والســـلوك الاجتماعى المهذب ، وتشجيع المتازين من أبناء القرية على استكمال تعليمهم ومساعدة الفقراء منهم على مواصلة الدراسة ، كما تعمـــل

على تمجيد المتعلمين من أهل القرية وتشجيع انشـــــاء المكتبات والمتاحف والمعارض لنشر الثقافة العامة ، وتعمل على مســـــاعدة المؤسسات التعليمية وصيانتها ورعايتها والمحافظة عليها ، وتقوم بتشجيع التعليم الفنى والعملى وتعمل على نشر الفنون الشعبية.

وغنى عن البيان أن هذه الأهداف هى أهداف التربية الحديثة الديمقراطية بعينها ، من حيث العناية بالنواحى القومية ومعـــرفة مقومات المجتمع وتكوين المواطن الصالح المنتج ومحو الامية .

٣ ـ لجنة الخدمات العامة والخدمات الصحية والمرافق العامة :

ان الغرض من هذه اللجنة هو حث الاهالى على التطوع للعمل في مشروعات الخدمة العامة ، والمعاونة على رفع المستوى الصــحى بطريق التثقيف الصحى ، فتدرس احتياجات القرية الى وسائل مقاومة الحشرات كالبعوض والذباب ، والعمل على توفير المـــياه الصالحة للشرب والانارة في القرية . وتيسير وسائل الاســـعاف والاغاثة ورعاية الأمومة والطفولة والشيخوخة وتوفير وســـائل الوقاية من الأمراض ، كالتطعيم ضـــد الامراض وعـــزل المرضى بأمراض معدية ، ومراقبة الاغذية والألبان ، والتخلص من الفضلات، وفحص الحيوانات المذبوحة وتطهير الترع والمصارف، ومقاومة الآفات وتعميم الفحص الطبى الشامل وتساعد الجهات المختصة على تسجيل المواليد والوفيات، والعمل على الافادة من الخدمات الطبية التى تقدمها المؤسسات الحكومية كالمستشفيات والمراكز الاجتماعية والوحدات المجمعة ، والمجموعات الصحية ، وتشجع تعميم المراحيض الريفية داخل البيوت ، وتعبئة الجهود للقيام بالنظافة العامة فى المنازل وفى الطرقات ، والعمل على توفير المبيدات الحشرية ، وحث الناس على ردم البرك والمستنقعات ، وتقديم الارشادات الصحية فيما يعرف باسم التثقيف الصحى والخلاص من العادات الضارة بهم ، والقضاء على الخرافات الســـائدة فى العلاج بالأســـاليب البلدية والدجل والشعوذة ، والعمل على نشر الوعى الصحى بالزيارات المنزلية ، وعقد الندوات ، وعرض المتاحف الصحية السمعية والبصرية ، والاستعانة بالمدرسة وبمجالس الآباء والأمهات فى مجالات التثقيف الصحى ، وتبصير الاهالى بما تقدمه لهم المؤسسات العلاجية والافادة

منها الى أقصى حد ، كما تتولى شرح القوانين الصحية وبيان آثرها في رفع المستوى الصحي .

وهذه الوظائف أيضا هي من صميم ما تهدف اليه التربية الحديثة ، لأنها أصبحت تعنى بعقل التلميذ وجسمه على السواء ، فتعمل على بث العادات الصحية السليمة وعلى تنمية أجسام التلاميذ بتشجيعهم على الاشتراك في النشاط الرياضي والترويحي ، وكذلك تقوم الحكومة بتقديم وجبة غذاء لتلاميذ المرحلة الأولى والثانوية لمواجهة النمو المطرد السريع في هذه المرحلة، وكذلك تعمل التربية على رفع المستوى الصحي بين التلاميذ لزيادة الانتاج لان الشخص السليم المعافي ينتج أكثر مما ينتجه الشخص المريض الهزيل ، كما تهدف التربية الحديثة في ظل الديمقراطية الى ربط المدرسة بالبيئة، فيساهم تلاميذها في مشروعات الخدمة العامة كأسبوع النظافة وشهر المرور ، كما تدعو رجال الاعمال والمتخصصين من أهل المنطقة لالقاء المحاضرات على تلاميذ المدرسة ، كل في ميدان تخصصه . ولبحث ودراسة مشكلات المجتمع ، وتعمل على مكافحة الامراض الخطيرة المتفشية في ربوع الريف التي تسبب خسارة في الدخل القومي قدرها ١٠٠ مليون جنيه سنويا ، وليس هذا غريبا اذا علمنا أن الاصابة بمرض واحد كالبلهارسيا تبلغ نسبة المصابين به من السكان نحو ٧٥٪ ، وتبصير الاهالي بالاساليب الطبية الحديثة وفائدتها في العلاج هو من صميم الوظائف التربوية .

٤ ـ لجنة الخدمات الاجتماعية والمصالحات :

وتعمل هذه اللجنة على مساعدة المحتاجين من أهل القرية والعمل على ازالة أسباب الخلافات حتى يعيش الاهالي في سلام ووئام ، وتعمل على التعرف على المشكلات الاجتماعية بالقرية وايجاد الحلول لها ، ومن واجباتها تنظيم الافادة من برامج المساعدات الاجتماعية كحصر الحالات التي تحتاج الى مساعدات وتحديد نوع المساعدة ، وتيسير حصول الحالات على المساعدات المختلفة ، وتتبع الحالات لمعرفة مدى افادتها من المساعدات وتنمية قدرتها على التحرر من العوز .

وتقوم بالدعوة الى أداء الزكاة ، كما تعمـــــــل على زيادة المساعدات التى تقدم للمحتاجين وتنويعهاوزيادة مصادرها ، وهذا عمل من صميم ماتهدف اليه الانظمة الديمقراطية الحديثة من حيث حرصها على كفالة الضمانات الاجتماعية ، والعمل على تماســـك المجتمع وتوفير أكبر قدر من السعادة لافراده ، وتعمل أيضا على ازالة الخلافات التى تهدد كيان المجتمع الريفى بالتفكك ، وفى سبيل ذلك تقوم بدراسة الاسباب الحقيقية للخلافات ، وتعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها ، وتعقد جلسات الصلح اللازمة ، كما تقـــوم بنقل آراء الاهالى الى المؤسسات ، كما تقدم أعمـــال المؤسسات وخدماتها الى الاهالى ، وتشجع الاهالى على الاشتراك فى مشروعات الخدمة الاجتماعية ، وهذه الاهداف من بين ماتهدف اليه التربية ، ثم انها تعمل على خلق مجتمع متماسك متعاون يساعد فيه الاغنياء الفقراء ، وتنتفى فيه الصراعات والمنازعات ، ويشترك التلاميذ فى المشروعات الاجتماعية كأسبوع السل ، وجمع التبرعات للجمعيات الخيرية المختلفة ، كما أن التربية الحديثة تهدف الى رفع مســـتوى المعيشة لاكبر عدد ممكن من أفراد الشعب ، وتهدف كذلك الى التخفيف من وطأة العصبية ونشوب الخلافات بسببها ، وتدعو الى التريث وارجاء الحكم واتباع الاسلوب العلمى فى التفكير وعـــدم الانسياق وراء الاهواء والعصبيات ونحوها مما يؤدى الى عـــــدم نشـــوب الخلافات ، ودعوة التربيـــة الى الاتجاه نحو التعـــاون وحب العمل الجمعى خير دليل على أنها تعمل على زيادة تماسك الجماعة والمحافظة عليها ، وعلى تنشئة أفراد المجتمع تنشئة صالحة ،وهدفها اعداد الافراد وتهيئتهم للاندماج فى الجماعة .

٥ ـ لجنة الشباب :

تهدف هذه اللجنة الى حسن استغلال أوقـات الفراغ لدى الشباب فى القرية ، بحيث تشبع حاجاتهم وتنمى مواهبهـــــم ، وتمكنهم من الاسهام الايجابى فى النهوض بمجتمعهم المحلى ، وتعمل على رعاية الشباب رعاية صالحة فى ضــوء الاهداف القومية ، ويتم ذلك باعداد قادة الشباب وتدريبهم على أنواع النشاط المختلفة من رياضية وترويحية وثقافية واقتصادية ، وتعمل على توفير الأماكن

اللازمة لعقد الاجتماعات واقامة المباريات وتنظيم الرحلات الثقافية والترويحية والمهرجانات ، والاشتراك فى معسكرات العمل ، وفى البطولات الاقليمية ، والاشتراك فى الاحتفالات بالاعياد القومية والوطنية ، وتعمل على انشاء الاندية الريفية واتاحة الفرص أمام الشباب للاسهام فى خدمة المجتمع القروى ، وتشجيع الفنون الشعبية والالعاب الرياضية كالتحطيب والفروسية والاغانى الشعبية ، ومن واجبها أيضا تكوين اتحاد لشباب القرية ، وهى تعمل كذلك فى ميدان التثقيف العام فى القرية على محو الامية والقاء المحاضرات وعقد الندوات .

وواضح أن التربية تعنى بالشباب ، لان الشباب ذخيرة الوطن فى حاضره ومستقبله ، والشباب دائما يكون فى طليعة الزحف المقدس بكل زمان ومكان ، ولذلك وجهت العناية الفائقة لرعايته ، وأنشىء المجلس الاعلى لرعاية الشباب ، وتشجع التربية الحديثة الهوايات والفنون العملية فيما يسمى بالدراسات العملية للافادة من مواهب التلاميذ الكامنة ، ولشغل أوقات فراغهم فيما يعود عليهم وعلى الامة بالنفع العام ، فتعمل التربية كما تعمل هذه اللجنة على تنمية المهارات وتنمية المواهب والقدرات الخاصة ، وتهتم أشد الاهتمام بالنشاط الترويحى ، لانه يزيل الملل والسآمة التى يسببها العمل الموصول ويجدد النشاط ويعيد الحيوية ، ويساعد على زيادة الانتاج وحسن الاداء والاتقان . ويعتبر وسيلة من وسائل مكافحة الجريمة ، ويساعد على حسن تكييف الفرد مع الجماعة وانسجامه واندماجه فيها ، وينمى روح التعاون والتضحية ، وحب النظام وتحمل المسئولية ، كما يعمل على تهذيب الغرائز الجنسية النظرية واعلائها ويعمل على رفع المستوى الصحى ، وعلى مقاومة الامراض ، وتساعد الهوايات المثمرة على زيادة الدخل كما تحقق تكامل الشخصية ، ولذلك تعنى بها التربية الحديثة أشد العناية .

والترويح منه الموجه ومنه الحر غير الموجه كالتنزه مشيا على الاقدام والقراءة ومشاهدة الافلام، ومنه الموجه الذى يخضع لتوجيه وارشاد المختصين كالانضمام الى الاندية والمعسكرات والمنظمات والجمعيات وهى تعمل على خلق المواطن الصالح .

٦ ـ لجنة الشئون الاقتصادية :

تعمل هذه اللجنة على دراسة واقتراح المشروعات التى تؤدى الى تنمية الدخل المحلى أو الاقتصاد القومى ، وتعمل على كفالة تطبيق النظام الاشتراكى ومبادىء العدالة الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة وزيادة الانتاج ، كما تساعد المنشآت المختلفة للحصول على القروض المالية بأحسن الشروط وأسهل السبل ، وذلك بتوفير وسائل الائتمان ، وتقوم بتكوين رأى عام تعاونى يدرك ادراكا واعيا متزايدا فائدة التعاون والعمل الجمعى فى خدمة المجموع والدأب على تنمية الانتاج الزراعى والحيوانى ، وزيادة الكفاية الانتاجية للفلاح ، واستغلال جميع مصادر الانتاج على طريقة المستوى الافقى القائم على اضافة وحدات جديدة الى مصادر الانتاج كاستصلاح الاراضى البور ، وعلى طريقة المستوى الرأسى القائم على استخراج كل مافى باطن الارض من خيرات بزيادة المقدرة الانتاجية للفدان ، واستخدام الاساليب الحديثة فى العمليات الزراعية من حيث توفير التقاوى الجيدة والتسميد الجيد واتباع الدورة الزراعية وخدمة الارض خدمة جيدة وغير ذلك من مقاومة الحشرات والامراض النباتية ونشر زراعة الخضر والفاكهة والاشجار والنباتات الطبية والعطرية وتحسين سلالات الماشية والدواجن والاغنام ، والوقوف على أحدث الاساليب فى التربية والتغذية والعلاج والوقاية ، وتربية دود القز والنحل ، وتسويق المحصولات تسويقا تعاونيا ومد الفلاحين بالقروض اللازمة وكذلك النهوض بالصناعات الريفية وزيادة الدخل عن هذا الطريق ، واستغلال جميع حاصلات وخامات القرية والمهارات والايدى العاملة بها ، وعلى الجملة كل مامن شأنه زيادة دخل القرية .

والتنمية الاقتصادية والاقتصاد الموجه يدخل ضمن المبادىء والاتجاهات الحديثة التى تستهدف التربية الحديثة فى مجتمعنا نشرها فى ظل الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، فمسألة أن تشترى ماتشاء وتنفق ماتشاء لاتتفق مع سياسة التنمية الاقتصادية والتصنيع التى نستهدفها . ان مجتمعنا الحديث يقوم على أساس احترام الملكية الفردية الخاصة وصيانتها ولكن طرق استغلال الثروة يجب أن توجه نحو المشروعات الانتاجية التى تعود بالنفع

العام على المجموع ، فمثلا اذا أردت أن تؤسس مصنعا جديدا فلا تعمله لانتاج الروائح والعطور ، ولكن اعمله لانتاج الحديد والصلب، كذلك بدلا من انشاء العمارات والقصور الفخمة الغالية التكاليف والايجار فان الافضل انشاء المساكن الشعبية ٠

وكذلك الحال في الاستيراد ، فلا بد أن نستورد ما تحتاج اليه البلاد حتى لانثقل كاهل الاقتصاد القومي وتزيد المديونية في سلع غير انتاجية أى سلع استهلاكية ٠ والتربية الحديثة تهدف الى ماتقصد اليه هذه اللجنة من حيث رفع مستوى الدخل للافراد بالعمل على زيادة مقدرتهم الانتاجية والعمل على تخريج أناس منتجين أكثر منهم مستهلكين ، كما تبث روح التقشف والادخار في النفوس بهذه المرحلة الحاسمة من تاريخ تطورنا الاقتصادى التى نبنى فيهـــا اقتصادا قويا متينا ، وتشجع التربية الحديثة كما تشجع هـــذه اللجنة الاتجاه نحو التصنيع وتبصير الشباب بقيمة العمل اليدوى، وبأنه لايقل شأنا وشرفا عن العمل النظرى ٠

ولقد أخذت حكومه الثورة على عاتقها النهوض بالتعليم الفنى المتوسط ، فرفعت مستوى خريجي هذه المدارس ، ومســـــتوى مدرسيها بأن زادت الاعتمادات المرصودة لهذا النوع من التعليم ، وامدته بالآلات والماكينات المختلفة ، وشجعت التلاميذ على دخول هذه المدارس الفنية التجارية والصناعية والزراعية والنسوية لسد حاجة البلاد ولتحقيق الهدف من تصنيع البلاد ٠

ديمقراطية الاتحاد القومي

لعل الاتحاد القومي هو أهم مظهر من مظاهر الديمقــراطية العربية ، ذلك لانه ثمرة من ثمار تطبيق الديمقراطية الســـليمة المتطورة التى تحتم اشتراك الشعب فى ادارة شئونه بنفســــه ، وتنادى بأن يسهم كل فرد من أفراد الامة فى بناء صرح الوطن وفى المساهمة فى حل مشكلاته والافادة من خبرات أفراده وذكائهم ٠ والاتحاد القومي بما يشمله من لجان يضم أبناء الوحدات المحلية والمختصين فى شتى ميادين العلم والمعرفة والاصلاح ، فهــو اذن نتيجة من نتائج الديمقراطيه ، وهو مظهر من مظاهرها التى تكل

الى الشعب حق رقابة المشروعات وأعمال المؤسسات ، وتجعله شريكا في ادارة مصالحه ، وتتجلى الروح الديمقراطية في طريقة تكوين الاتحاد القومي باعتباره القاعدة الشعبية التى تضم جميع المواطنين على مختلف قطاعاتهم ، وتتجلى فيه أيضا الروح الديمقراطية من حيث سيادة الشعب ، فالاتحاد القومى له حق الموافقة او الرفض على المتقدمين للترشيح لمجلس الأمة . واننا اذا نظرنا الى سهولة شروط عضويته نلمس الروح الديمقراطي فى قصر شروط العضوية على من تجاوز سن ١٦ سنة ودفع اشتراك يسير جدا كل عام .

هذه طبيعة الاتحاد القومي الديمقراطية ، وهذه هى دوافع تكوينه الديمقراطى وتلك هى وظائفه ورسالته الديمقراطية من حيث انه يعمل على حل مشكلات المجتمع .

والحقيقة أن الديمقراطية الحقة هى التى تضع السيادة كلها في يد الشعب . ويرى جون لوك أن الملك يصل الى الحكم عن طريق التعاقد ، وأن الاصل في التعاقد هو الرغبة في تنظيم العلاقات والتعامل بين الافراد ، فبدلا من أن يستعمل كل فرد حقه الحتمى فى رد العدوان المحتمل على حياته وأملاكه ، اقتنع الناس بضرورة وجود شخص محايد يعهد اليه بالفصل بين المتخاصمين ، وكذلك اتفق الجميع على أن ينزل كل واحد منهم عن هذا الحق لواحد مختار ، ويتولى هذا الشخص نيابة عنهم حق العقاب أما بقية الحقوق فليست من حقه وكذلك تحديد الجرائم ، فان سلطة التشريع تظل فى يد الجماعة نفسها ، وعلى الملك أن يقوم بوظيفته لخير الجماعة، وعليهم أن يخضعوا له ، فاذا أخل أحد الطرفين بالتزاماته أصبح العقد كأن لم يكن ، وهكذا يكون من حق الشعب التخلص من الملك اذا تحلل من قيوده ومارس الحكم المطلق ، فمن الجائز ألا يكون الملك محايدا بالمعنى الكامل ، بل قد يكون طرفا فى الخصومة هو نفسه ، أو قد يكون عدوانيا بطبعه ، فكيف تصان حقوق الطرف الآخر حينئذ ؟؟

والشعب على ذلك هو مصدر السلطات وصاحب الكلمة العليا ، ولما كان من الصعب اتفاق جميع أفراد الشعب على أمر من الامور ، فاننا نأخذ برأى الاغلبية ومن المبادىء الديمقراطية مبدأ

فصل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية حتى تصبح الحرية والنزاهة فى مأمن حصين ·

الديمقراطية باسم المساواة عند جان جاك روسو :

لقد تأثر روسو بما شاهده على الفقراء من ضنك ، وبما عاناه هو نفسه من حرمان ، وقارن ذلك بما شهده لدى الاغنياء الذين عاشرهم من ترف واسراف بالغ ، فامتلأت نفسه بالمرارة والسخط على الحياة الاجتماعية التى حجرت قلوب الحكام والاغنياء ، فسمحوا لأنفسهم بأن يعيشوا فى تخمة ولاخوانهم أن يعيشوا على الكفاف والحرمان ، وقارن مالاحظه على الفقراء من بساطة وبراءة وقناعة بما شهده على الأغنياء والمفكرين والفلاسفة من أنانية وغرور ودهاء وأدب متكلف ، ونظر الى نفسه فوجدها صافية تفيض شفقة على الفقراء ، فقرر أن حياة الفطرة هى أطهر حياة وأسعدها ، وأن الشر والفساد مردهما الى المدنية وحياة المجتمع ·

فالانسان البدائى لايعرف الملق والكبرياء والتخمة والطمع والحسد مادامت المساواة بين الافراد عامة ، فكل هذه الرذائل وليدة المجتمع الذى تحالف أقوياؤه على أن يكبلوا اخوانهم بالقيود ، فسلبوهم حريتهم ، وسخروهم لاطماعهم ، ولذلك هب روسو ينادى باصلاح مفاسد المجتمع ، واشاعة الاخاء والعدل ، بايجاد نظام سياسى يكفل الحرية والعدل والمساواة بين الجميع ، ثم بتربية الاطفال تربية حسنة ·

ولقد نادى روسو بتعاقد الافراد بالصورة الآتية :

ان يضع كل عضو شخصيته وحقوقه تحت تصرف الادارة العامة ، معتبرا كل عضو من الاعضاء جزءا لايتجزأ من المجموع وعلى ذلك يتنازل كل فرد عن حقوقه للجماعة لا لشخص معين ، ويرى بذلك أنه يحقق نوعا من الحرية الاجتماعية الراقية للانسان، لانه يخضعه للارادة العامة للجماعة ، وهى حرية ليست فجة ، ولكنها خاضعة لعوامل المدنية والرقى ·

ويبدو أن تحقيق المساواة هو أهم ماعنى به روسو ، فان أكبر

شرور المجتمع تأتى من التفاوت بين الطبقات وامتيازات الطبقات وفى سبيل تحقيق المساواة ضحى بالحرية الفردية وقال باخضاع الفرد لرأى الجماعة على اعتبار أن الجماعة عالمة بمصالح هذا الفرد أكثر منه هو .

وأفضل أنواع الديمقراطية فى نظر روسو هى الديمقراطية المباشرة على غرار ديمقراطية المدن اليونانية ، فقد كان المواطنون فيها يبدون رغباتهم مباشرة لابطريق النواب عنهم ، ولهذا يحدث أن يظل الشعب محتفظا بسيادته وبحقه فى اصدار التشريعات ولا يعطى هذا الحق لنوابه .

أما فيما يتعلق بآراء روسو فى التربية فانه ينصح بأن يسمح للطفل بأن يستكشف الحقائق بنفسه من الطبيعة والاشياء ، وليس من الكتب والدروس ، وأن تحترم حرية الطفل وميوله فلا يقسر على تعلم مالا يتفق واستعداداته وميوله ، وينصح بأن يراعى المربى أن منطق الطفل يختلف عن منطق الكبار ، فلا يحاسبه على أساس أنه رجل ، ونصح بأن يبذل المتعلم جهدا فعالا ايجابيا فيما يتعلم وأن يقلع المدرس عن عملية التلقين .

أما فيما يختص بأصل هذا الاصلاح ومعناه (وأعنى به الديمقراطية) فانه مكون من كلمتين يونانيتين هما Demos: ومعناها الشعب ، وكلمة Kratos ومعناها السلطة فيكون المعنى الكلى للفظ هو «شعب يحكم نفسه » أو حكم الشعب ، أو هى كما يقول هيرودوت حكم الكثرة ، فيكون الشعب صاحب السلطة والسيادة ومعنى ذلك خضوع السلطات الحاكمة للارادة الشعبية وحق الشعب فى مناقشة الحاكمين ، وفى مراقبة أمور الدولة ،وهى تقر حقوق الافراد .. كحق التمتع بالحرية السياسية والاجتماعية، وحرية التملك ، وحرية العقيدة ، وحق المساواة ، يقول ملتون الشاعر الانجليزى « ولد الناس أحرارا بالطبيعة ، وهم خاضعون

لنظام طبيعي يعمل من تلقاء نفسه على سعادة بني البشر وتحقيق رغباتهم الخيرة بدون ضغط أو الزام أو استبداد من الملوك، ولهم مطلق الحرية في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، او يختاروا ممثليهم بحرية كافية ويناقشوا القوانين التى يخضعون لها ».

ومن المبادىء الديمقراطية أن الملك يملك ولا يحكم ، وذلك حتى لاتتعرض الديمقراطية للانهيار بسبب طغيان الملوك ، والحكومة الصالحة هى التى تستطيع ان تحقق السعادة لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع ، والحكومة الشعبية الديمقراطية هى التى تكون أقدر على تحقيق هذا الهدف .

الفصل السادس

اشكال الديمقراطية

١ - الديمقراطية المباشرة :

هى أقدم اشكال الديمقراطية واقربها الى المعنى السياسى المقصود من لفظ ديمقراطية ويتحقق هذا الشكل فى الحالة التى يتولى الشعب فيها كل خصائص السيادة لنفسه ويباشر بنفسه بدون وكلاء أو نواب أو ممثلين الاشراف على شئون التشريع ، وهذا لايمكن تحقيقه عمليا الا اذا كان من الممكن اجتماع جميع أفراد الشعب فى هيئة جمعية واحدة لمناقشة شئون الدولة ، ولصوغ القوانين واختيار الهيئة التى يوكل اليها التنفيذ ، وانتشر هذا اللون من الديمقراطية فى بلاد اليونان ، وفى هذا العصر تسير المقاطعات السويسرية بمقتضاه، وهو أقرب الإشكال الى الديمقراطية الصحيحة ، ولكنه متعذر التنفيذ نظرا لزيادة عدد السكان وصعوبة مناقشة أمور الدولة مناقشة جدية اذا اجتمع جميع أفراد الامة ، هذا فضلا عن أن أمور الدولة أصبحت من التعقيد بحيث أصبحت تحتاج الى المزيد من التخصص والخبرة الفنية ، مع استحالة اجتماع الملايين فى مكان واحد

٢ - الديمقراطية النيابية :

يقوم هذا النظام على أن الشعب صاحب السيادة ، لايمارس سيادته بنفسه بل ينيب عنه غيره فى ممارسة هذه السيادة ، فالنواب يتولون هذه السلطة باسم الشعب وارادتهم هى ارادة الشعب ، ومن ثم كل عضو من أعضاء هذه الهيئة النيابية يعتبر نفسه ممثلا للامة بأسرها بغض النظر عن كونه منتخبا لدائرة معينة .

ويجب أن يتمتع العضو بقدر من الحصانة طوال فترة نيابته، ومما يجعل هذا الشكل ضروريا أن معظم أفراد الشعب لايزال يرسف في أغلال الجهل ، فلا تبلغ نسبة التعليم فيه نسبة تساعده على تفهم أمور الدولة وادراك شئونها المعقدة ، ولذلك يكون من الاسلم أن يختار ممثلين عن الشعب قد يمتازون عن المستوى العادى كفاية وقدرة •

٢ـ الديمقراطية شبه المباشرة :

تقف الديمقراطية شبه المباشرة موقفا متوسطا بين الديمقراطية المباشرة والديمقراطية النيابية فلا يقف الشعب مكتوف الايدى بازاء هذه الهيئات النيابية فيتركها تبرم ما تبرمه وتنفذ ماتشاء ، بل يتدخل في التشريع ويراقب الهيئات النيابية ، ويكون له حق حل هذه الهيئات واجراء انتخابات جديدة ، ولذلك يعتبر الشعب في ظل هذا النظام سلطة رابعة قائمة بذاتها بجانب التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وقد أخذت بهذا النظام بلاد كسويسرا والولايات المتحدة ، وساعد على ذلك انتشار التعليم فى هذه البلاد، ويقظة الشعور القومي • ويقوم النظام الديمقراطى شبه المباشر على وسائل كالاستفتاء الشعبى ، والاعتراض الشعبى ، والاقتراح الشعبى ، ويقصد بالاستفتاء عرض التشريعات التى يضعها البرلمان على الشعب ليقول بصددها كلمته قبولا أو رفضا ، ولا تصبح التشريعات واجبة التنفيذ حتى ان أقرها البرلمان الا اذا أقرها الشعب ووافق عليها ، وأحيانا يكون الاستفتاء اجباريا يلزم الدستور البرلمان بعمله ، وأحيانا أخرى يكون اختياريا يجوز للبرلمان عمله أو العزوف عنه ، وأحيانا يكون رأى الشعب استشاريا فيستنير البرلمان فقط بوجهة نظر الشعب دون أن يكون ذلك ملزما للحكومة أو للبرلمان •

ويقصد بالاعتراض الشعبى : حق الناخبين فى أن يعترضوا على قانون أصدره البرلمان ، وهذا الحق محدود بوقت معين ، فاذا لم يعترض الناخبون فى اثنائه سقط حق الاعتراض وأصبح القانون واجب النفاذ •

أما الاقتراح الشعبى فهو حق سياسى دستورى يتمتع به

الشعب ، وبمقتضاه يستطيع أن يجبر البرلمان على التشريع فى موضوع معين ، والطريقة المتبعة فى هذا أن يقوم عدد من الناخبين بوضع مشروع القانون المرغوب فيه ، ثم يوقع عليه العدد الذى ينص عليه الدستور ، ويقدم للبرلمان وهو ملزم بمناقشته وصوغه نهائيا ، ويعرض على الشعب للاستفتاء فيه ، وهذا النظام وسيلة ناجحة لمحاربة الاستبداد البرلمانى ، ولا فرق بين استبداد الملك واستبداد الهيئة البرلمانية • ويعمل هذا النظام على خلق المواطن الصالح الذى يعتز بشخصيته ، ويميل ميلا شديدا الى المساهمة مساهمة ايجابية فى توجيه الرأى العام والمطالبة بسد مافى القوانين من نقص ، كما أنه يحد من قدرة الاحزاب على السيطرة والتأثير فى شخصيات الافراد •

« الفرق بين الديمقراطية والدكتاتورية »

يوجه بعض المفكرين الانتقادات التى يرون أنها نقطة ضعف فى الديمقراطية وأصولها ، فمنهم من يرى أن نظرية التعاقد الاجتماعى ـ وهى أساس سيادة الشعب ـ ليس لها أساس من الواقع أو التاريخ ، فلم يخبرنا التاريخ أن ثمة تعاقدا كهذا قد أبرم •

كما وجه النقاد انتقاداتهم الى نظرية الحقوق الطبيعية وهى النظرية التى تستمد منها الديمقراطية مبادىء كالحركة والمساواة والعدالة ، وقالوا ان هذه النظرية ميتافيزيقية تفترض أن الكون يسير على نظام ثابت رتيب ، وأن قوة قاهرة توجه حركاته ، وطبقوا هذا القانون على أحوال الانسان المفكر ، ومن ناحية التطبيق العملى لمبادىء الديمقراطية لوحظ أن الديمقراطية فى بعض الاحيان قد تؤدى الى الاستبداد البرلمانى ، ومن ناحية التطبيق العملى كذلك قد يكون الشعب غير مزود بالامكانيات التى تؤهله لاختيار أفراد ذوى كفاية ممتازين ، وقد ينساق الشعب وراء الاحزاب أو النفوذ المالى ، أو السلطات المحلية ، ومعنى هذا أن الديمقراطية تفضل الكم على الكيف ، وتفضل السوقة على العناصر الصالحة • ومهما كان من أمر الانتقادات التى توجه الى الديمقراطية فانها مازالت الشكل الأمثل للحكم •

والدكتاتورية أيضا ليست نظاما حديثا ، بل ترجع الى عصور قديمة ، وفى ظل الدكتاتورية تدخل الدولة فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية بحيث لاتكون للفرد فى الغالب حرية العمل والانتاج وفق رغباته ، بل تكون حريته مقيدة ، ومعنى هذا أنها طريقة يتنازل الناس فيها عن حقوقهم الى شخص يتولى السلطة ولا يسمح بمعارضته • ورئيس الدولة يكون مطلق السلطان غير مقيد ، وللدكتاتورية بعض المبادىء كاعتبار كل فرد ملكا للدولة وجزءا مندمجا فيها ، ولا تكون له أهداف غير أهداف الدولة ، ولا يتمتع بالحرية • وتشرف الدولة على أعمال الافراد وتفرض عليهم الآراء والاتجاهات ، وتجبر الافراد على تنفيذها ، وتعمل الدولة على تشكيل عقول الناس فلا تتحقق مبادىء المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص، وهذا يجعل الفرد أداة فى يد الدولة التى يمثلها الدكتاتور .

هذا وتذوب شخصية الفرد فى شخصية الدولة ، ولا يكون له كيان مستقل ، بل هو يعتبر مسمارا فى آلة كبيرة هى الدولة ، وبذلك يخلق النظام الدكتاتورى شخصيات سلبية مهمتها التنفيذ، كما لو كانت آلات صماء ، لان التفكير والنقد مما يهدد الحاكم الدكتاتورى •

أما الديمقراطية فبرغم أنها قد تبطىء فى اصدار القوانين فانها أمثل النظم الانسانية قاطبة •

الباب الثانى

الاشتراكية العربية

الاشتراكية نظام اجتماعى غير محدود تحديدا دقيقا كما هو الحال فى مختلف المفاهيم الاجتماعية على غرار الديمقراطية التى تعتبر أسلوب حياة يشكل النظم السياسية والاجتماعية السائدة فى المجتمع ويحدد نوع العلاقات السائدة بين الحاكم والمحكومين وبين الأفراد وبعضهم بعضا ، وكذلك الحال فى الاشتراكية التى ليست الا أسلوب حياة بمعنى أنه ليس هناك لون واحد من ألوان الاشتراكية، بل هناك أنواع مختلفة منها : فهناك الاشتراكية الغربية والاشتراكية الشرقية واشتراكية أفلاطون فى العصر اليونانى ، ويجدر بنا أن نشير الى بعض هذه الالوان من الاشتراكية لكى نحكم فهم الاشتراكية العربية التى تمتاز عن غيرها من الاشتراكيات بايمانها العميق بالقيم الدينية والروحية واعتبار الدين دافعا قويا للجماهير نحو الخلق والتقدم ، وبعدم الغائها للملكية الخاصة بل على العكس من ذلك توسع قاعدة الملكية الخاصة بتمليك آلاف المعدمين واعطائهم أنصبة عادلة من مصادر الثروة ، وباتخاذها منهاجا عادلا فى تحويل الملكية الخاصة الى ملكية عامة هى التأميم ، وبتعويض أصحاب الأعمال تعويضا عادلا عن مؤسساتهم الى غير ذلك من المزايا التى امتازت بها الاشتراكية العربية .

ويجدر بنا هنا أن نشير اشارة عابرة الى النظام الرأسمالى المتطرف وعيوبه التى أدت الى ظهور الفكر الاشتراكى حتى تتعمق الفكرة الاشتراكية بمسبباتها ونتائجها وأصولها .

الفصل الأول

النظام الرأسمالي المتطرف وعيوبه

مذهب الحرية الفردية المطلقة :

يرى أنصار مذهب الحرية الفردية المطلقة أن العلاقات الانسانية القائمة بين الناس تخضع لقوانين طبيعية كتلك التى تتحكم فى الظواهر الطبيعية والكيمائية فالتاجر الجشع مثلا لا يقبل عليه الناس ، فيعتريه الافلاس ، والتاجر الامين يقبل عليه الناس من تلقاء أنفسهم فيزداد ربحه ويستمر فى الوجود • فعلاقات الناس تتحكم فيها قوانين طبيعية مثلى ومادام الأمر كذلك فلا يكون هناك داع لتدخل الدولة ، لان تدخل الدولة يؤدى الى الانحراف عن السير على حسب القانون الطبيعي ويقولون ان شقاء الانسان راجع الى خروجه عن قوانين الطبيعة وطبقوا هذه القوانين على الأحوال الاقتصادية ، فالسلعة التى يقبل عليها الناس يرتفع ثمنها تلقائيا ولكن اذا زاد انتاج هذه السلعة عن الحد اللازم انخفض سعرها فأسعار السلع يحددها قانون طبيعى •

وأصحاب هذا المذهب يمنحون الفرد الحرية المطلقة لاظهار مواهبه وقدراته واستعداداته ، ويحصرون دور الدولة فى تشجيع الافراد على تحقيق أهدافها وحجتهم في ذلك أن نشاط الفرد الحر فى الميدان الاقتصادى يعود عليه وعلى المجتمع كله بالنفع ، ويدعون الى عدم تقييد الفرد بأى قيد ويعتبر هذا المذهب الدعامة الرئيسية للمذهب الرأسمالى •

أما النظام الرأسمالى نفسه فهو النظام الذى يسمح للافراد بامتلاك أدوات الانتاج ملكية خاصة وتتركز هذه الملكية فى فئة قليلة يستطيعون أن يعيشوا بدون عمل اذا أرادوا اعتمادا على استثمار أموالهم ، ويتحكم أصحاب الاعمال فى تحديد أجور العمال الذين يعملون فى مصانعهم •

ويقوم النظام الرأسمالي على عدة مبادىء وقواعد عامة :

١ ـ قيام المشروعات الاقتصادية الكبرى من تجارية وصناعية وزراعية .

٢ ـ اتاحة الفرص لانتاج ما يحتاج اليه الناس من السلع بوفرة وبأثمان رخيصة .

٣ ـ رفع مستوى معيشة الأفراد المالكين لمصادر الثروة .

٤ ـ القضاء على الصناعات الصغيرة والصناعات اليدوية .

٥ ـ تشجيع كفايات الأفراد ومواهبهم والعمل على تنمية ثرواتهم الخاصة فتتقدم بالتبعية الدولة .

٦ ـ تشجيع الطموح عند الأفراد وتشجيع المنافسة والابتكار والاختراع الفردي .

مساوىء النظام الرأسمالي المتطرف

١ ـ من مساوى النظام الرأسمالي تفشي البطالة وخفض الأجور ، أما اذا تضخمت الرأسمالية فانها تقضي على الصناعات اليدوية والمشروعات الصناعية الصغيرة . فيضطر أصحاب الصناعات الصغيرة الى ترك مصانعهم الصغيرة والعمل أجراء في المصانع الكبيرة وتنخفض الأجور وتزداد الثروة في أيدي الرأسماليين ويزيد عدد العمال عن احتياجات العمل ، فتتفشى فيهم البطالة ، لأن الآلات الكبيرة تكتفي بعدد محدود من العمال ، ووجود عدد وفير من العمال المتعطلين يساعد الرأسماليين على تشغيلهم بأجور زهيدة وبدافع الخوف من الجوع والحرمان يقبل العمال على العمل بأي أجر .

٢ ـ كذلك يؤدي النظام الرأسمالي الى خفض مستوى المعيشة بين طبقات العمال ويترتب على تعطل العمال وهبوط أجورهم انخفاض مستوى معيشتهم . ولهذا الانخفاض أسوأ الأثر على العمال وأسرهم لأنه يؤدي الى انتشار الفقر والجهل والمرض والجريمة .

٣ ـ خلق فوارق شاسعة بين طبقات المجتمع يؤدي الى وجود فئة قليلة من الاثرياء الذين يستثمرون رؤوس الاموال في المصانع والاراضي والمؤسسات التجارية فتتاح لهم فرصة السيطرة على السواد الاعظم من الافراد العاملين واستغلالهم ، ولهذا يتقسم

المجتمع الى طبقتين : طبقة الاغنيـاء ، وطبقـة الفقراء ولا شـك أن مصالح الطبقتين متعارضة ٠

٤ ــ ومن نتائج شيوع النظام الرأسمالي أيضا تأخر النهوض بالقرية على حساب تقدم المدينة ، ذلك لان المشروعات الكبرى التى تتركز في المدن غالبا تحدث تقدما سريعا في المدنية وتنشط الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها ، وبذلك تسبق المدينـــة القرية في مضمار التقدم والرقى ، وتتسع الهوة بينهما فترتقى المدينة وتجمد القرية على حالها ، وتحرم من المشروعات وفرص العمل والخدمات لانعدام التخطيط الشامل المركزى الذى تقوم به الدولة وتراعى فيه تكافؤ الفرص في العمل والدخل والخدمات الصحية والثقافية بين سكان المدينة وسكان القرية على حـ‍ـ‍ـواء ، فلا يترك الامر يسير خبط عشواء بدون تخطيط ٠

٥ ــ المساوى السياسية للرأسمالية : ان الطبقة صاحبةالمال والاعمال تصبح ذات سلطان كبير على جماهير الشعب ، فتتحكم فى الحكم وتسيطر عليه ويحصل الاقطاعيون على أصوات أجرائهم من الفلاحين والعمال ، فيفوزون بعضـوية المجالس النيابية بالضغط والارهاب والانذار بالطرد والتشريد أو بطريق الرشـــوة وشراء الاصوات وتزييف الانتخـــابات ، فتكون الاغلبية في البرلمان من الرأسماليين ، ومن أجل ذلك تتعثر مشروعات المصلحين فى البرلمان تلك المشروعات التى تستهدف رفاهية الشعب ، لان فيها اضرارا بمصالح كبار الملاك ، فلا تصدر مثلا قوانين لتحديد الملكية أو تقدير الضرائب التصاعدية أو تحديد الأجور ٠

٦ ــ **الاحتـــكار :**

تكون المنافسة بين الرأسماليين وأصحاب الحرف والمشروعات الصغيرة غير متكافئة ، لعدم تناسب المقدرة المالية عند الطرفين ٠ فالأولى تستطيع أن تستفيد من الاختراعات العلميـــــة والبحوث العلمية ، والثانية لا تستطيع ، وبذلك تكون السيطرة والسيادة لسلع رأس المال ، فتسيطر على الاسواق ٠ وقد يتجمع الرأسماليون فى اتحادات تحمى مصالحهم ومنتجاتهم ويرفعون أسعار منتجاتهم بعد القضاء على المنافسين ٠

٧ ــ **قلة الانتاج وانتاج الكماليات قبــل الضروريات** : ان الرأسمالى لاهم له الا انتاج ما يعود عليه بالربح الوفير بصرف النظر عن مدى ضرورة هذا الانتاج لمصلحة الأغراض الوطنية ، فهو لذلك ينتج الكماليات قبل الضروريات ، لان الكماليات تنتج لاصـحاب الاموال الوفيرة الــذين يستطيعون شراءها ، أما حاجات جماهير الشعب فلا يعنى بانتاجها الرأسمالى الا ما يعود عليــه بالربح ، ويقل الانتاج لسوء حالة العمال ولعــدم وجود دوافع وحوافز لديهم للعمل لأن الربح يستأثر به الرأسمالى ، فتفتر همة العامل ويضعف الحافز لديه على الانتاج .

٨ ــ كــذلك يؤدى النظــام الرأســمالى الى حدوث التفــكك الاجتماعى ، ووجود الصراع الطبقى وانتشار عواطف الكره والحقد والاستغلال بين الطبقات .

فقد كانت الطبقة المتوسطة فى أوربا تنادى بمبــدأ الحرية الاقتصادية ورفع القيود عن التجارة والصناعة ، وتنادى بأن يكون تقدير أجور العمال بنــاء على العرض والطلب ، ولهــذا زادت أرباح أصحاب الاموال من الاعمال ، وساءت حالة العمال حتى عجزوا عن الحصول على الضروريات ، وسادهم شعور بالسخط والكراهيــة ، ولذلك بدأت بذور الاشتراكية تظهر فى أواخر القرن الثامن عشر ، فكان «كونت» ينادى بأن المجتمع يجب أن يكون تعاونيا يهتــم باستغلال الطبيعة لا باستغلال الانسان ، ونادى بعض العمــال باصلاح حال العمال ومنحهم أجورا كافية وتهيئة مساكن صحية لهم وانشاء مدارس لأبنائهم ونادى بعضهــم بتوفير فرص التعليم للشعب والاهتمام بالجمعيات التعاونية والاصلاحات العمالية .

ثم جاءت الاشــتراكية الماركسية المتطرفة التى رأت أن جميع السلع ينتجها العامل ، وأن القيمة الحقيقية للسلعة تقدر بقدر كمية العمل الذى بذل فى انتاجها وأوصت بأن يحصل العامل على قيمة انتاجه وعلى العمال أن يستولوا على وسائل الانتاج بالســلم أو بالعنف .

هذا على أنه من الصعب تعريف النظام الرأسمالى تعريفا جامعا شاملا ، لأنه يختلف بين بلد وآخر ، كما انه يختلف لدى المؤيدين له

والمعارضين ، فيعرفه المؤيدون بأنه نظام الملكية الخاصة والحرية الاقتصادية والابتكار الفردى ، على حين يعرفه خصومه بأنه تملك أقلية لوسائل الانتاج واستغلال حفنة ضئيلة من السكان للأكثرية الكادحة ، والى جانب هذا يمتاز النظام الرأسمالى بهذه الخصائص العامة بصرف النظر عن صعوبة تعريفه تعريفا جامعا مانعا .

فالعمل ينفصل عن رأس المال ، لان العمال لايستطيعون أن يكونوا ملاكا لرأس المال فى يوم من الايام ، ولذلك يظلون عمالا لا يملكون شيئا الا قواهم واستعداداتهم للعمل يبيعونها نظير أجور زهيدة لاصحاب الاعمال ، كذلك يمتاز النظام الرأسمالى بالحرية الاقتصادية وعدم تقييد نشاط الافراد الاقتصادى ، ولذلك لايسير الانتاج فى ظل هذا النظام على حسب برنامج موضوع وخطة مدروسة شاملة مقدما .

ويمتاز أيضا بسعى الرأسمالى لتحقيق أكبر قدر ممكن من الكسب ، ويسعى المنتجين للحصول على أكبر قدر ممكن من الربح ولذلك فانهم يهتمون بانتاج السلع التى تباع بأثمان غالية بل انهم ينتجون السلع التى لا ضرورة لها ويستهلكها القادر على الدفع ، فتندفع عجلة الانتاج الى انتاج السلع الترفيهية والكمالية التى يدفع فيها الاغنياء الكثير من الثمن على حين تظل كثير من السلع الضرورية دون اهتمام .

ويمتاز هذا النظام أيضـا بعدم وجود التكافؤ بين الانتاج والاستهلاك لعدم تدخل الدولة وتخطيطها لحاجات الاسواق، وينتج من عدم الموازنة بين الانتاج والاستهلاك أزمات افراط فى الانتاج أو قلة فيه ، فضلا على كساد الأعمال وافلاس المشروعات وتدهور الاسعار وانتشار البطالة ، وتؤدى المنافسة الحرة الى حدوث نكسات اقتصادية كبيرة لانعدام الخطة العامة التى تضمن التوفيق بين كميات الانتاج والكميات المطلوبة كذلك يتعرض المنتج لازمات ، لانه لا ينتج بناء على طلب مستهلكين معينين بالذات ، كذلك لا يجد مرشدا له فى تحديد انتاجه سوى ما يتكهن به من تقلبات الاسعار واحتمالات الطلب على سلعته فى المستقبل فان صدق تكهنه كسب كسبا كبيرا وان خاب تحمل خسارة جسيمة هو والمجتمع بأسره . كذلك تؤدى

المنافسة الحرة الى القضاء على بعض المشروعات التى بذلت فيهـــا الجهود والاموال .

واستخدام الآلات أدى الى الاستغناء عن عدد وافر من العمال فضلا على أن ظروف العمــل الآلى وسط الماكينـــات والآلات يعرض العامل للخطر فأصبح أمرا محتوما أن تتدخل الدولة لحماية العمال ولمنع الاحتكارات والاستغلال والعمل على توجيــه الاقتصاد توجيها وطنيا .

- ٢ -

سياسة التوجيه الاقتصادى

سياسة التوجيه الاقتصادى تعتبر احدى الوسائل التى لجأت اليها بعض الدول للحد من غلواء الرأسمالية وللتخفيف من عيوبها .وتعمل الدولة على وضع رقابة على الصرف بالتعويض ، بمعنى اعطاء المالك شيئا نظير أخذ شيء آخر ممـــا يمتلكه وتحتاج اليه الدولة وتشبه هذه الطريقة نظام المقايضة : سلعة بسلعة أخرى بدلا من مقايضة سلعة بعملة من العمـــلات بوساطة تحديد سلع العمـــلات الوطنية بما يناظرها من عملات الدول الأجنبية التى تتعامل معها الدولة اقتصاديا. وتعمل الدولة كذلك على أن تتساوى صادرات الدولةمع ماتستورده ، حتى يتساوى ميزان مدفوعاتها معمدفوعات الدول الاخرى التى تتعامل معهاتجاريا ، وتعمل الدولة علىتشجيع تصدير السلع التى ليست فى حاجة اليها ، وتستورد السلع التى هى فى حاجة اليها كما تضع الدولة رقابة على الصرف ، وذلك من أجل منع تهريب رءوس الاموال الى الخارج ، فقد يفقد الأفراد الثقة فى العملة المحلية فيلجئون الى تهريبها وتبديلها بما يساويها من عملة أخرى حتى تظل محتفظة بقيمتها ، كذلك تعمل الدولة على زيادة ايراداتها بوساطة بيع العملات الأجنبية بسعر أعلى ممـــا اشترت به ، ويمثل الفرق ربحا صافيا للدولة .

وفضلا على ذلك فان الدولة تعمل من أجل حماية الصناعات المحلية من المنافسة الخارجية ، كما تعمل للحصـــول على الآلات والخامات والخبراء اللازمين للصناعة وتشجيع المصدرين على تصدير المنتجات المحلية وتشترى الدولة العمـــلات الصعبة التى فى يد

الأفراد وتستخدمها فى شراء مايلزمها من الضروريات كما تعمل على فرض الضرائب الجمركية على السلع التى لها نظير فى الانتاج القومى حتى تحميها من منافساتها ، كما تصدر الاعفاءات الجمركية للسلع الضرورية وللآلات والخامات اللازمة لقيام الصناعة وكذلك الخامات التى تدخل فى الصناعات المحلية .

ومن صور التوجيه الاقتصادى أيضـــا تلك المعونات التى تمنحها الحكومةلتشجيع الانتاج ، وقد تكونهذهالمعونات غير مباشرة كالاعفاء منالضرائب للشركاتالجديدة ، أو قصر شراء لوازم الدولة على المنتجين الوطنيـين فقط وقد تكون مكافآت تمنح على الانتـاج والتصدير .

وتستهدف هذه العمليات صيانة الاقتصاد القومى من الانهيار فى الحالات الآتية :

- ✻ (أ) اغراق الأسواق ببضائع أجنبية سعرها أقل من تكاليف الانتاج المحلى .
- ✻ (ب) تشجيع الصناعات الضرورية للاقتصاد الحربى .
- ✻ (جـ) تشجيع التصدير الى خارج الدولة .
- ✻ (د) اعانة الحكومة للمشروعات ذات النفع القومى .

هذا ومن صور التوجيه الاقتصادى أيضا انفاق الدولة على المشروعات العامة فىأوقات البطالة ، وتشجيع زيادة القدرة الشرائية للأفـراد حتى يمكن زيادة الانتاج وتصريفه . وتســاهم الدولة بأموالها فى المشروعات الكبيرة التى لا يقوى رأس المال الفردى على القيام بها وحده كصناعة الحديدوالصلب ، واتخاذ الدولة لسياسة ضريبية مرنة لتزداد الضريبة على السلع التى تدر أرباحا كبيرة وتقل على الضئيلة الربح . ومن مظاهر التوجيه الاقتصادى أيضـا اتباع سياسة التأميم ، وهو تحويل الملكية الخاصة الفردية الى ملكية جماعية ، ونقل ادارة المشروع من أيدى فرد أو مجموعة معينة من الأفراد الى يد الدولة على أن تمنح الدولة تعويضا لأصـحاب الشركات المؤممة .

ومن ذلك أيضا تجميع فروع الصناعة الواحدة أو الصناعات المتشابهة فى شكل حزمة تشرف عليها ادارة أو هيئة معينة ،

والعمل على تنظيم الائتمان بتأميم البنوك حتى يمكن أن تمول هذه البنوك المشروعات الصناعية الوطنية ، وتحقق أهداف الوطن .

ويمكن تلخيص فوائد اتباع سياسة تأميم المرافق فيما يلى :

(أ) تأميم الصناعات الحربية أدعى الى حفظ أسرارها ، والى تحقيق سيادة الدولة ، وتأمين جيشها ضد تقلبات العرض بالسوق فيما يتعلق بالسلع التى يستهلكها .

(ب) تأميم السلع التى تكون الدولة نفسها أكبر مستهلك لمنتجاتها يوفر عليها الفرق بين تكاليف الانتاج والسعر الذى تشترى به ، وتقضى على الرشوة فى المناقصات العامة ، ويحبط اتحاد المنتجين واتفاقهم على سعر معين لا يقل عطاؤهم عنه .

(ج) تأميم المصادر الطبيعية للثروة التى قد يؤدى الاسراف فى استغلالها الى الاضرار بالحاجة المستقبلة للدولة كمناجم الفحم ، أو غابات الأخشاب حتى تحقق التوازن بين الانتاج والاستهلاك .

(د) تأميم المرافق العامة ادعى الى زيادة كفايتها الانتاجية فضلا على أنه يؤدى الى زيادة الخدمات وخفض أسعارها ، والعمل على امتداد هذه المرافق فى المناطق الفقيرة كالمواصلات والمياه والانارة .

(هـ) تأميم الشركات الاحتكارية وشبه الاحتكارية يحمى المستهلك من سوء الاستغلال .

(و) تأميم الائتمان أدعى الى تنظيمه والتحكم فى الاستثمار المفيد عن طريق الدولة .

(ز) تحقيق التعاون بين الصناعات الكبيرة وتحقيق عدالة التوزيع والتمتع بمزايا الانتاج الكبير بالجملة والتنظيم العملى والانتاج الواسع والتجديد والتخطيط واستبعاد المنافسات الضارة .

هذه مزايا وأهداف سياسة التأميم وهى لاتدل على أن الدولة تتجه وجهة اشتراكية فقد تؤمم الدولة بعض المرافق ذات النفع العام ، ومع ذلك تظل دولة رأسمالية كما هو الحال فى انجلترا ، فانها

أممت السكك الحديدية والتلغراف والتليفون والمستشفيات والمدارس وأصدرت كثيرا من القوانين العمالية التى تحدد ساعات العمل والأجور وغيرها ومع ذلك فانها لاتزال رأسمالية .

- ٣ -

اشتراكية أرسطو وأفلاطون

ان الفكر الاشتراكى قديم يرجع متوغلا فى القدم الى أفلاطون فيلسوف اليونان الأكبر الذى عاش فيما بين ٤٢٧ ، ٣٤٧ ق٠م ، وكان هذا المفكر الكبير من أنصار فكرة الدولة ، كما كان ممن عظموا شأنها وإعتبروها الغاية القصوى من الاجتماع الانسانى لذاتها ، ولهذا قلل من شأن الحرية الفردية ، واعتبر مصالح الدولة تتضمن مصالح الأفراد ، وأشاد بعظمة الدولة ومجدها ، وهو أول من وضع نواة النظم الشيوعية ، ودعا اليها ودافع عنها ٠

وجاء بعده تلميذه أرسطو ، فاعتنق مذهبه ، وذهب الى القول بأن الطبيعة الانسانية مؤهلة بصفة تلقائية الى الحياة السياسية المدنية ، وأن الانسان حيوان سياسى بالطبع ، وذكر أن الدولة نظام طبيعي ضرورى يضمن للفرد تحقيق كماله المادى والمعنوى ودولة المدنية فى نظره ــ كما كانت فى نظر أستاذه أفلاطون ــ أكمل الوحدات السياسية تكفى نفسها بنفسها ، وتضمن للأفراد الذين يعيشون فى كنفها أكمل وسائل العيش وأيسر السبل للحصول على حياة سعيدة ، فوظيفة الدولة فى نظره هى اسعاد الشعب وبدونها لايمكن أن يسعد ، وقد ذكر أرسطو أن الانسان اذا أراد أن يعيش فى ظل النظام السياسى ، أى فى ظل دولة فهو اما حيوان واما اله : حيوان لانه ليس فى حاجة الى أن يعيش فى مجتمع منظم تسوده العدالة ويحكمه القانون والنظام ، واله لأنه بلغ جميع كمالاته القويمة ، وليس فى حاجة الى من يكمله ، فالفرد وان كان أول خلية فى بناء الدولة فان شخصيته تذوب فى شخصية الدولة المعنوية ، والدولة هى التى تعطى الفرد وجوده الحقيقى ، لأن الانسان الفرد فى الكون ليس له وجود ، وبلغة أرسطو نفسه : « الدولة هى الصورة ، والفرد هو الهيولى ، ولا وجود للهيولى بعيدا

عن الصورة ، والصورة هى الكمال الذى يضفى على الهيولى الوجود والمعنى » .

ويذكرنى قول أرسطو هذا بنظرية الجشطلت الألمانية التى تضع الاعتبار كله للكل وللمجموع ممثلا فى الدولة ، فالجزء ليس له معنى بدون الكل ، والكل هو الذى يعطى الأجزاء المكونة له معناها ومغزاها . والجزء فى كل يختلف معناه عنه فى كل آخر فالفرد فى الدولة الشيوعية غيره فى دولة رأسمالية ، فالصفر فى الرقم (١٠) له معنى مختلف عن النقطة تحت الحرف (ب) مع أن صورة الصفر واحدة فى كلتا الحالين .

ولعل فكرة الوحدة الألمانية والقومية الألمانية هى الاطار الثقافى الذى ظهرت فى أرجائه النظرية الكلية أو نظرية الجشطلت . فاعطت الاعتبار للكل وأهملت الأجزاء ، وهى كذلك تمجد الدولة أو المجموع ولو كان على حساب الأفراد .

ولقد أخذ الرومان هذه الفكرة عن اليونان ، ونظروا الى الدولة نظرتهم الى شخصية حية تفنى فى ذاتها ذوات الأفراد وشخصياتهم ، واعتبروها وحدة قانونية أى شخصية قانونية مستقلة عن أفرادها .

ثم تلقى فلاسفة الألمان المثاليون هذه الافكار وأيدوها ولاسيما أنهم تأثروا بالنظريات القومية فى القرن التاسع عشر ، ولقد حمل لواء هذه الحركة « فخته » و « هيجل » و « سفنى » فقال هيجل : ان الفرد انما يكتسب بقاءه ووجوده من الدولة ، هذا والمواطن يعيش للدولة وليست الدولة هى التى تعيش للافراد لتحقيق أنانيتهم ، ولذلك يجب أن تكون سيادة الدولة مطلقة ، بمعنى أنه يجب على جميع المواطنين أن يخضعوا لسيادتها كما يجب ألا تخضع الدولة بدورها فى داخل حدودها أو خارجها .

وكان هيجل يرى أن المبادىء الأخلاقية محدودة بدون اطلاق ، فلا تتعدى الدولة نفسها ، أما خارج الدولة فلا تراعى المبادىء الأخلاقية .

ولهذا يجب الا تعالج العلاقات الدولية فى ضوء المبادىء الأخلاقية .

وهكذا نجد أن فلاسفة الألمان مجدوا الدولة وأغفلوا حقوق الانسان ، وكذلك مجد هؤلاء الفلاسفة الألمان القومية الوطنية وعظموا من شأن الشعب الألمانى ، واعتقدوا أنه أكثر الشعوب رقيا وامتيازا ، ولقنوه روح القومية والقوة ، ويرى أولئك الفلاسفة أن الدولة يجب أن تحقق أهدافها بالقوة والعنف ، ولا يرون أن هناك شيئا اسمه الحق المطلق او العدل المطلق أو الخير المطلق ، لأن ماهو حق فى زمان ما قد يكون باطلا فى زمان آخر فى البقعة الواحدة من الأرض • وما هو خير فى مجتمع قد يكون شرا فى مجتمع آخر ، وهذه نظرة تشككية فى المبادىء الخلقية • والدولة هى التى تحدد النظام الحق ، ولذلك نادوا بتقوية الدولة معنويا وماديا ، وهاجموا المبادىء الاقتصادية المتحررة مثل « اتركه يعمل ••• اتركه يسير » La issez Passer, Laissez Faire.

وقد ساءت حالة العمال من جراء هذا المبدأ ، وارتفعت الأصوات بالشكوى مطالبة بحماية الفقراء والطبقات العاملة ، وطالبوا الدولة بحمايتهم من عسف أصحاب رءوس الأموال وأصحاب الاقطاعيات ، ومن أجل ذلك مجدوا الدولة ونادوا بسيادتها وسموا بها فوق الفردية وفوق الطبقية • وحاول هؤلاء الفلاسفة القضاء على فكرة الصراع الذى كان متوهما أنه ينشأ بين الأفراد والدوله ، ورأوا أن الادارة الكلية الممثلة فى الدولة ترعى جميع رغبات الأفراد الذين ينضمون تحت راية الآدارة الكلية •

ووصف هؤلاء الفلاسفة الدولة بأنها مركب عضوى لابد له من جهاز مركزى يوجهه ويسيطر عليه وعلى تصرفاته ليحقق له السلامة ودوام البقاء • وهذا الجهاز هو الحكومة أو الهيئة المنفذة لرغبات الدولة • والدولة فى نظرهم هى أسمى وأكمل التنظيمات الانسانية ، وعرفوها بأنها أسمى نظام فى المجتمع الانسانى الخالد ، كما قارن الفلاسفة الذين تأثروا بنظرية التطور والنشوء التى نادى بها دارون بين الدولة وبين المركب الحى من حيث النشأة والخضوع لقواميس التطور والصراع والتنازع من أجل البقاء ، ونظروا الى الدولة على أنها تطور تاريخى فى التنظيم الانسانى ، وهو أمر لا مفر منه ، ولهذا أوجبوا خضوع الفرد للدولة •

وفضل أصحاب الفلسفة النفعية فكرة المصلحة العامة أو أكبر

قسط من السعادة لأكبر عدد ممكن من الأفراد على المصلحة الخاصة الفردية . والدولة لكى تحقق هذا الهدف لا بد لهـا من أن تتدخل تدخلا فعليامباشرافى كثيرمن الأمور لكى تستطيع القضاء على الاتجاهات الفـردية العنيفة التى تنبعث عن الأنانية المسرفة وحب الذات ، وتتجاهل الرغبات العامة . وتدخل الدولة أمر ضرورى لايجاد حالة التناسب بين الميول الفردية والميول الجماعية . ويقول بنثـام : « ان الحكومة لا تستمد سلطانها من رضاء المحكومين وانما من المنفعة التى تحققها للأفراد بصرف النظر عن شكل هذه الحكومة » .

وهكذا هاجم أصحاب الفلسفة الاشتراكية مذهب الحرية الفردية المطلقـة والحرية الاقتصـادية والمبـادىء الفردية ، ونادوا بتدخل الدولة لاصلاح كل ما هو معتل من الشئون السياسـية والاجتماعية والاقتصادية ، لأن المجهود الفردى أثبت عجزه عن القيام بالمشروعات الانتاجية والعمرانية المستحدثة ، كما أن الدولة يجب أن تتدخل لتنظيم هذه الحقوق والواجبات ، فتفرض على الاغنيـاء من الضرائب مايتناسـب مع ما يتمتعون به من مزايا اجتماعية ، على أن تنفق حصيلة هـذه الضرائب فى المشروعات العمرانية ورعاية الفقراء ونشر التعليم وتأمين الطبقات الكادحة ضد الأخطـار التى يتعرضون لها ، وضـد الأمراض التى تنشب فى كيانهم .

وأخذت الدعوة الى اقامة جمعيات تعاونية ونقابات للعمال تتغلغل الى غـير ذلك من المنظمـات التى تحـارب الروح الفردية وتشـد أزر التيارات الاشتراكية وتشـجع الحكـومات وتدعوها للتدخل ، وتوسع اختصاصاتها ثم ظهر فريق آخـر من المفكرين ناشد الكنيسة أن تتدخل ، وأن تتعاون مع الدولة فى بسط نفوذها وسن القوانين التى تحارب النزعة الفردية .

ويجب أن تحل الدولة محل المجهود الفردى وأن تتقوى وتتوكد صفتها فى نفوس الأفراد بفضل القوة السياسية التى يجب أن تتمتع بها الدولة ، وبفضل تغلغل الروح القومى فى نفوس المواطنين .

وقد نادت هـذه النزعات بسيادة الطبقات العاملة التى تكون السواد الأعظم من الشعب ، وبسط رقابتها على المشروعات ، وذلك

بقصد تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وتقريب الفوارق بين الطبقات ، وكفالة حصول الفرد على حاجاته بفضل تنظيم الدولة وتخطيطها .

ويذهب غلاة المذهب الاشتراكى الى تقرير حق الشعب فى الثورة على الحكومة اذا ماتوانت فى اصلاح المعتل ، واعطائه الحق فى الثورة على الأوضاع المقبلة واصلاحها بنفسه .

- ٤ -

دعائم النظرية الاشتراكية ومميزاتها

ما الدور الذى يجب أن تقوم به الحكومة وما الذى يجب أن تتركه للفرد . ؟ هناك من المفكرين من يرى أنه لاداعى لتدخل الدولة ، بل انه لا داعى لوجود الدولة اطلاقا ، وهؤلاء هم أصحاب المذهب الفردى ، وهناك من يؤكد ضرورة تدخل الدولة فى كل الأمور بحيث تحل محل المجهود الفردى ، وهؤلاء هم الاشتراكيون . ولقد اعتقدت النظرية الكنسية أن الملكية الجماعية هى المظهر الطبيعى الأصيل لظاهرة التملك ، وهى النظام الاقتصادى الأمثل ، وحتى اذا كان هناك ملك فردى فيجب أن يستغل لمصلحة المجتمع ، وأن يحقق لأفراد المجتمع رغباتهم وحاجاتهم الضرورية .

ثم أكد هذه النظرة التفكير « اليوتوبى » فى العصر الحديث حتى أطلق عليه اسم « الاشتراكية الخيالية » .

ولقد أدى التقدم العلمى والصناعى فى القرن التاسع عشر الى تغيير النظم الاقتصادية القديمة ، فقد جمع أصحاب الأموال أرباحا طائلة وثروة عريضة ، وحدثت زيادة هائلة فى السلع المنتجة . ومع ذلك فان الناس كانوا يعيشون عيشة الكفاف ويقاسون شظف العيش وسوء المصير ، لأن أصحاب العمل استغلوا العمال المساكين ، هذا الى جانب افلاس الصناعات الصغيرة ، والقضاء على الصناعات اليدوية ودخول أصحابها فى زمرة العمال الأجراء ، وأخذت الصناعات الكبيرة تقوى وتتمركز ، وأخذت رءوس الأموال تتركز كذلك فى أيدى فئة قليلة واشتد التذمر بين الطبقات ، وساد الحسد وساءت العلاقات ، وعم التفكك فى كيان المجتمع وتماسكه .

ويمكن تلخيص المبادىء العامة للنظام الإشتراكى فيما يلى :

(أ) توجيه رأس المال وجهة جماعية ٠

(ب) تحديد نطاق الملكية الخاصة الفردية .

(ج) تدخل الدولة تدخلا فعالا مباشرا لانقاذ العلاقات الفردية من الاضطراب والفوضى ، ولاسيما تلك العلاقات التى تقوم بين أصحاب رءوس الأموال والعمال ٠ والسيطرة على عناصر الانتاج والتوزيع ضرورية حتى يكون رأس المال فى يد القوة الجماعية التى يهمها أن تعمل على خلقه وتنميته ، ولا يصح أن تكون ملكية رأس المال فى يد فئة قليلة أسعدها الحظ بامتلاكه ، واستحوذت عليه ، ويجب أن تحل ملكية الدوله محل الملكية الفردية ، لأن الدولة أقدر على رعاية مصالح المجموع ، كما يجب أن تتدخل الدولة لتنسيق الجهود وتراقب القوى الانتاجية لتقضى على الأنانية الفردية لتتمكن الدولة من تحقيق الرفاهية لمجموع الشعب بدلا من أن تتمتع بها قلة معدودة ٠

فالاشتراكية اذن تحقق العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأفراد ، كما تحقق التنمية الاقتصادية ٠ والغاء الملكية الفردية غير كاف لتحقيق أهداف الاشتراكية ، بل من الواجب تدخل الدولة للاشراف على الحياة الاقتصادية دون أن تقيم للمجهود الفردى وزنا٠ والاشتراكية لا تقضى على حرية الأفراد ، بل ترى أن تدخل الدولة يصون هذه الحريات كما يصون المصلحة العامة للمجموع .

وتعتبر النظرية الاشتراكية عونا للطبقة الفقيرة ، ولذلك اعتمدت فى قيامها على الطبقة العاملة ، وانتشرت الدعوة الاشتراكية فى المجالات العمالية ، ووجدت بينهم مرتعا خصبا ، وانتشرت فى محيطهم انتشارا واسعا ، فتكونت أحزاب من العمال عملت على تحقيق اغراض الاشتراكية من حيث تقويض دعائم الدولة الرأسمالية لاقامة دولة اشتراكية على أنقاضها ٠

هذا وتختلف النظرية الاشتراكية بين مدرسة وأخرى كما هو الشأن فى مختلف المذاهب الفلسفية والاجتماعية، ولكنها وان اختلفت

فى التفاصيل تتفق فى الجوهر والأساسيات التى تلتقى عندها جميع المدارس الاشتراكية ، وهذه الأساسيات الاشتراكية هى :

١ ـ تحقيق المساواة الفعلية بين الأفراد :

ويقصد الاشتراكيون بهذه المساواة ، المساواة الاقتصادية ، وهى المساواة فى وسائل الانتفاع ، ويحملون على النظم التى تؤدى الى التفاوت بين الناس فى الثروات ، لأنها تحمى الغاصب وتصون له حقه .

٢ ـ الغاء الملكية الفردية الغاء كليا أو جزئيا :

ان أصحاب النظرية الاشتراكية يرون أن نظام الملكية هو بيت الداء الذى يشيع الفساد ، ولذلك يرون أنه يجب أن تحل الدولة محل الأفراد ، على أن تتولى هى الاشراف على ادارة المشروعات كافة ، كما أن نظام الملكية الخاصة قد أيد الحكم المطلق واتخذه سندا له يحمى ظهره ويصون حقوقه . والأنظمة الرأسمالية قتلت فى نفوس الأفراد كل معنى للحرية السياسية ، وحصلت منهم على الأصوات فى الانتخابات ، وجعلت منهم عبيدا وأرقاء فى ميدان السياسة والاقتصاد ، والفكر والأخلاق .

٣ ـ تنظيم الانتاج والتوزيع بوساطة الدولة :

هو أن تحل الدولة محل المجهود الفردى ، ويتحول رأس المال من قوة فى يد فرد الى قوة جمعية تسخرها الدولة لخدمة المجموع ، وتشرف بنفسها على ادارة كل كبيرة وصغيرة بحيث تنتج ما يلزم لجماهير الشعب الغفيرة قبل انتاج الكماليات .

٤ ـ تقديم المساعدات والخدمات الانسانية :

مثاله العمل على محو الأمية ونشر التعليم وتقرير المجانية وتأميم العلاج الطبى وكفالة العجزة والمرضى والشيوخ . والأخذ بأنظمة التأمينات والضمان الاجتماعى ، والتكامل الاجتماعى ، وكل ما من شأنه أن يخفف بؤس الفقير ومرضه . وتقضى على أسباب

شكواه وتوزيع خدمات الدولة بالعدل ، وبعد تحقيق هذه المبادىء تتبقى خطوة أخرى هى قيام الدولة الاشتراكية اذ تصبح الدولة هى المالكة لجميع مصادرالثروة من اراض ومناجم وغابات ومصانع وجميع المرافق العامة ذات النفع العام كالمواصلات والبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) والمدارس والمستشفيات والطرق والكبارى .

وهى التى تتولى استثمار هذه المشروعات والاشراف عليها وادارتها ، ولا يتم ذلك الا بوساطة الطبقة العاملة .

- ٥ -

اختلاف المذاهب الاشتراكية

١ ــ المساواة الحسابية : ومعناها أن تقسم وسائل الانتاج وعائد الانتاج تقسيما حسابيا ، ويكون نصيب كل فرد منهم معادلا لنصيب الآخر من وحدات الانتاج .

٢ ــ المساواة فى المجهود : بمعنى أن يقوم كل فرد بنصيبه فى المجهود اللازم لحصول الجماعة على الانتاج ، أى أن الساعات اللازمة للانتاج تقسم على عدد أفراد الجماعة حتى يتم الانتاج .

٣ ــ المساواة الشيوعية : تقوم هذه المساواة على أساس مبدأ هام مؤداه (من كل بنسبة قوته ولكل بنسبة حاجته) ، ومعنى ذلك أن يراعى فى توزيع الأعمال قدرة كل فرد ، كما يراعى فى توزيع الانتاج حاجات كل فرد « آخذ منك على قدر طاقتك وأعطيك على قدر حاجتك » .

٤ ــ المساواة فى وسائل الانتاج : وتنحصر فى أن يمنح كل فرد بلا تمييز فى القومية أو الجنس أو السن الحق فى أن يستخدم كل وسائل الانتاج علميه كانت أو فنية ، وأن يتهيأ لكل فرد من هذه الوسائل ما يتهيأ للآخرين ، وهذه المساواة الأخيرة أقرب الى جوهر النظرية الاشتراكية ، لأنها تراعى القاعدة المشهورة « لكل فرد بنسبة عملة » لان النتاج قد لايكون بالكفاية التى تسمح بسد حاجات كل فرد . وفى هذه النقطة بالذات يبدو الاختلاف بين

الاشتراكية والشيوعية ، فالشيوعية توزع الانتاج طبقا لحاجة الفرد ، أما الاشتراكية فتتيح لكل فرد من الثمرات العامة مايناسب عمله وجهده ، لأن الشيوعيين يسيرون فى توزيع الانتاج على أساس حق الحياة ، أما الاشتراكيون فيسيرون على أساس نظرية المجهود أو العمل الذى يقوم به الفرد ٠

الاشتراكية ومدى الملكية

تختلف المذاهب الاشتراكية من جهة القدر الذى تسمح به من الملكية الخاصة فترى طائفة من الاشتراكيين أن تلغى الملكية الفردية بالنسبة لرءوس الأموال فى شئون الانتاج كالأرض ، والمصانع ، والمناجم ، ووسائل النقل وما الى ذلك مع الاحتفاظ للأفراد بثرواتهم الخاصة المتعلقة بالثروات الاستهلاكية التى تستخدم فى اشباع حاجات الفرد المباشرة ، ويسمى أنصار هذه النظرية أصحاب اشتراكية رأس المال ٠

وترى طائفة أخرى من الاشتراكيين أن يقتصر الغاء الملكية على الأراضى الزراعية دون غيرها من وسائل الانتاج ومصادر الثروة الاخرى ، ويسمى أصحابها «الاشتراكيين الزراعيين» ٠

وترى طائفة ثالثة الغاء ملكية الأراضى والمبانى وهؤلاء هم الاشتراكيون القوميون ٠ ويرى آخرون أن مايجب الغاؤه من حقوق الملكية هو حق الميراث وحده ٠

ويرى أصحاب اشتراكية تمجيد الدولة أن يقتصر الالغاء على الحالات التى تتطلب المصلحة العامة تحويل ملكيتها من ملكية خاصة الى ملكية عامة ٠

وسائل تحقيق الاشتراكية

تختلف المذاهب الاشتراكية من حيث الوسائل التى تتخذها لتحقيق أغراضها ٠ فترى طائفة الاشتراكيين المعتدلين استخدام التعاون وكفاح الأحزاب فى التوفيق بين أصحاب رءوس الأموال

والطبقات العاملة ، لأن وسائل الاقناع أجدى وأنفع لسلامة المواطنين •

ويرى الاشتراكيون الماركسيون الاعتماد على العمال فى قلب النظم القائمة واشعال الثورة والقيام باتلاف الآلات حتى تشل الحركة الاقتصادية أى أنهم يرون أن تتحقق الاشتراكية بطريق ثورة العمال ضد الرأسمالية وانتزاع السلطة من يدها ، والاستيلاء على مافى يدها عنوة واقتدارا ، ويرى الاشتراكيون الاكاديميون (أى أساتذة الجامعات) اتخاذ الوسائل التشريعية لتنفيذ البرنامج الاشتراكى ، فيطالبون بسن القوانين التى تكفل مصلحة المجموع وتحمى العمال ، وتفرض الضرائب التصاعدية ونحوها مما يؤدى الى تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية • ويرى آخرون اصطناع الأناة والتريث والتدرج فى تنفيذ البرنامج الاشتراكى ، فيبدءون بالغاء الملكية الخاصة فى النواحى التى تركزت فيها الملكية الخاصة وتضخمت تضخما كبيرا ، وهؤلاء يرون أن هناك بعض مشروعات لا تستحق أن تضع الدولة يدها عليه ، ويكفى أن تشرف عليها وتراقبها بنفسها بوساطة الهيئات المحلية أو البلديات •

أما من حيث الهيئة التى تتولى التنفيذ فى الدولة الاشتراكية فان الاشتراكيين الأوائل لم يهتموا بوضع شكل معين من أشكال الحكومات ما دامت تؤدى الى تحقيق الاشتراكية ، ومن هؤلاء المفكرين أنصار « سان سيمون » الذين ارتموا فى أحضان الملكية •

ويرى آخرون اسناد هذه الأمور الى الدولة لتنظيم شئون الانتاج والتوزيع ، ويرى فريق آخر اسناد ادارة المشروعات الى النقابات العمالية •

وتتخذ بعض المذاهب الاشتراكية التأميم وسيلة لتحقيق الاشتراكية ، ودفع تعويض مجز لأصحاب المشروع ، كما هو الحال فى الاشتراكية العربية ، وهناك أشكال أخرى من الاشتراكية تتخذ طريق المصادرة وانتزاع ملكية الأفراد الخاصة وتحويلها الى ملكية جماعية أو استخدام القوة والعنف والثورة العمالية التى تحطم الآلات والمصانع وتطيح بأصحاب رءوس الأموال ، بل بالدولة الرأسمالية التى تساند هؤلاء المستغلين •

الاشتراكية المعتدلة

لايؤيد أنصـــــار الاشتراكية المعتـــدلة العنف فى تحقيق الاشتراكية ، ولا يلجئون الى الثورة لتحقيق أغراضهم ، ويرون أن خير طريق لقيام الاشتراكية هو القيـــام بالاصلاحات التى تحقق الأهداف الاشتراكية كما يرون أن هناك طريقا آخر يمكن اتخاذه لتحقيق الاشتراكية ، وهو ـ فى اعتقادهم ـ أنه التطور الطبيعى للنظام الاجتماعى الذى يرون أنه سيؤدى ان آجلا أو عاجلا الى دعم النظام الاشتراكى ، وأنه لا داعى للتدخل الانسانى فى سير هــذا التطور للتعجيل بمجىء مرحلة من التطور ستأتى حتماً من تلقاء نفسها ، لأن التأثير على سرعة الحركة الاجتماعية يؤدى الى أضرار كثيرة : منها عدم التناسق بين امكانيات المجتمع وثمرات التطور ، فهم يؤثرون التريث ، ولكنهم لا يقفون مكتوفى الأيدى بل يعمدون الى طائفة من الاصلاحات والى ازالة العوائق التى تقف فى سبيل الحركات الناهضة ، كما حدث فى انجلترا ، فقد منحت الطبقات العاملة حق تكوين النقابات ، وحق تكوين الأحزاب واعانة العاطلين، وتعويض المصابين ، والاشراف على المصانع ، وتحديد ساعات العمل، وتقرير ضمانات للنساء والأولاد ونشر التعليم بالمجان بين الطبقات الفقيرة ، واتباعمبادىءالديمقراطية السياسية ، ونادىالاشتراكيون الديمقراطيون بمنح الطبقات العاملة حق الانتخاب ، وحق تكوين الأحزاب السياسية ، ولهذا تكون الاتحاد الاشتراكى الديمقراطى فى انجلترا سنة ١٨٨١ ثم أيدت الحركة الاشتراكية نقابات العمال والجمعيات التعاونية والاتحادات العمالية ، ونادى العمال بضرورة تمثيلهم فى البرلمان حتى تحقق لهم هذا الهدف · وفى سنة ١٩٠٦ تكون حزب العمال البريطانى الذى لا يزال قائما الى وقتنا هذا ، ويرى الاشتراكيون الديمقراطيون أن الاشـــتراكية وسيلة لدعم الديمقراطية، والديمقراطيه وسيلة لتحقيقالاشتراكية، لأن المساواة بدون المساواة الاقتصادية تصبح لغوا لا طائل تحته ·

أما الاشتراكيون الأكاديميون الذين كانوا من أصحاب الكراسى الجامعية فقــــد فرضوا على الحكومات ضرورة الاســـتنارة بآراء المختصين فى الشئون الاقتصادية ، ورأوا أن الحكومة الديمقراطية أقدر من غيرها علىتحقيق أغراض الشعب ، لأنها تمثل جموعالشعب،

وهى تعمل على مساعدة الأفراد فى عملهم وترقية المصالح المادية فى الأمة ، ودعم الروح القومية . ويجب عليها أن تساعد الضعيف وتصون الصحة العامة وتشرف على التعليم ، وتنظم وسائل النقل ، وتحافظ على المصادر الطبيعية للثروة ، وترى أن عليها واجبا آخر هو تحديد الربح ، ووضع حد أدنى للأجور لا ينبغى أن يهبط دونه مستوى العامل لتحسين حال العمال ، كما ترى أن عليها أن ترعى حقوق العمال ، والحقيقة أن هؤلاء الأساتذة كانوا أقرب الى المذهب الاقتصادى الحر منهم الى الاشتراكية ، لأنهم لم يتعرضوا لحق الملكية الفردية، واعتبروا أن اتاحة الفرص المتكافئة للأفراد ينتج عنه توزيع عادل فى المزايا الاجتماعية تبعا لمؤهلات الأفراد وجهدهم وذكائهم ونشاطهم .

أما الاشتراكيون الزراعيون فيرى فريق منهم الغاء الملكية الزراعية ، ويرى فريق آخر فرض ضرائب باهظة على ملاك الأراضى، ويرون أن الأفراد قبل تكوين المجتمعات السياسية كانت لهم حقوق متساوية فى الاراضى ، واذن لا يكون هناك وجه حق فى تملك الارستقراطيين للأرض . لأن الأرض عنصر ضرورى للوجود الانسانى ، شأنها فى ذلك شأن الماء والهواء والشمس ، هذا الى جانب أن امتلاك الاقطاعيين للأرض بمساحات شاسعة هو سبب الشقاء والبؤس اللذين تعانيهما الطبقات الكادحة . وعلى اعتبار ان الدولة ممثلة للشعب يجب أن تستولى على جميع الأراضى وتؤجرها بأجور معتدلة ، ويرى بعضهم الابقاء على الملكية الخاصة ، على أن تقوم الحكومة بتحديد الايجارات ، وفرض الضرائب الباهظة على أصحابها ، ووضع حصيلة الضرائب فى مشروعات ترفع مستوى المعيشة .

وقال « هربرت سبنسر » ان العدالة لا تسمح بتمليك الأرض تمليكا خاصا ، لأنه اذا كان لكل فرد أن يستأثر بجزء منها فسيأتى يوم تتركز فيه ملكية الكوكب الأرضى فى أيد خاصة ، ويجوز أن يطرد أصحاب الأراضى الأفراد الذين يعيشون على أراضيهم فيصبحون بلا مأوى ، فملكية الأرض ملكية خاصة تنطوى على خرق مبدأ الحرية والمساواة ، ونظام الملكية الخاصة من شأنه زيادة الثروة

فى يد الملاك مع أنهم كسالى لا يقومون بمجهود ما ، واقترح فرض ضرائب باهظة تحفظ للمجتمع قيمه ٠

ويرى « هنرى جورج » الأمريكى أن الأمـراض الاجتماعية كالبطالة والفقر والجهل ترجع الى أن أقلية ضئيلة تتمتع بمزايا الأرض ، وتتحكم فى خيراتها ، على حين تخضع الأغلبية لسلطانها وما تمليه عليها من شروط ٠

أما الاشتراكيون الفابيون فكانوا من المثقفين ثقافة عالية ، وكانوا متأثرين بأصحاب نظرية الاشتراكية الزراعية ولاسيما آراء هنرى جورج ، وكان هدفهم نشر النظرية الاشتراكية ، وقالوا ان نظام التنافس الحر يوفر رغد العيش لفئة قليلة على حساب شقاء الكثيرين ، ودعوا الى تأميم الأرض ، وناشدوا الحكومة أن تعمل على زيادة الانتاج ، ويرون تنفيذ البرنامج الاشتراكى بطريق التشريع والادارة ، ونادوا ببث الفضيلة والأخلاق السامية والتعاون بين أفراد المجتمـع ، ولم يأخذوا بوجهة نظـــر « ماركس » فى أن العــوامل الاقتصادية هى القوى الحقيقية التى تؤثر فى التطور التاريخى ، وأن جميع التغييرات التى تحدث فى شئون السياسة والأخلاق والدين والاجتماع ترجع الى تغيرات مماثلة فى العلاقات الاقتصادية، وكذلك فانهم لم يتخذوا من المادية التاريخية تبريرا لنظرية الاشتراكية، ولكنهم أخذوا بالفكرة القائلة بأن التطور الطبيعى للمجتمعات يسير فى حركة مستقيمة نحو تحقيق الاشتراكية والديمقراطية ٠ وهدف الاشتراكية فى نظر الفابيين هو اتاحة الفرص لكل فرد بأن يأخذ نصيبه من جميع القيم التى يجعلها المجتمع لأفراده دون ايثار طبقة على أخرى والسبيل لتحقيق هذا هو تحويل ملـكية الاراضى ورأس المال الصناعى الى ملكية المجتمع ، وليس الى طبقة العمـــال ، وكان الفابيون يثقون ثقة مطلقه فى أهلية الحكومة الديمقراطية لتنفيذ البرنامج الاشـــتراكى ، وكان من رأيهم أن تطبق الامبراطورية البريطانية الاشتراكية فى المستعمرات ، وأن تنشر التعليم فيها ، وأن تسند الى الوطنيين الوظائف المدنية ، وتنمى فيهم روح الحكم الذاتى ، ورأوا أن نظام الملـكية بصـفته القـائمة يقسم المجتمع الى طبقتين : طبقة تعيش على الثروة ، وأخرى تعيش على العمل ، والطبقة

الأولى سيدة لأنها هى التى تتحكم فى أمور الثانية وفى تشغيلها ، ولذلك يكون عمل الاشتراكية محصورا فى القضاء على تفوق طبقة على طبقة أخرى ٠

وكانوا ينادون بضرورة التقدم الأخلاقى لطبقة العمال ، والخلاص من عوامل الحقد الاجتماعى ، والتنافر الطبقى ، وتحديد الملكية تحديدا واضحا ، وفرض الضرائب التصاعدية ٠ وتعميم التعليم المجانى والتأمين الاجتماعى ، والأخذ بنظام التضامن والتكافل الاجتماعى وحماية العمال والتعاون بين مختلف الهيئات ٠ هذه هى آراء أصحاب النظرية الاشتراكية المعتدلة الذين يلجئون تارة الى الاصلاح التشريعى باصدار القوانين ، وقوانين الضرائب ؛ وتارة يعملون على تأميم بعض المرافق العامة ذات النفع العام ٠

الفصل الثانى

« الاشتراكية المتطرفة الماركسية »

تنسب الاشتراكية المتطرفة الى الفيلسوف الالمانى «كارل ماركس الذى ولد فى مدينة زيف من أعمال بروسيا سنة ١٨١٨ م من أسرة يهودية متوسطة الحال ، ثم اعتنق المسيحية وتعلم فى جامعات برلين وبون ، والتقى بزميله « فردريك انجلز » وزارا انجلترا وفرنسا ، كما التقى بالكتاب الاشتراكيين وظل هو الشخصية الاشتراكية البارزة فى عصره . ولقد وجد ماركس أن النظام الراسمالى القائم هو أساس كل المفاسد الاجتماعية ، لأنه يقسم المجتمع الى طبقتين متنافرتين متصارعتين ، وصاغ ماركس مبادىء الاشتراكية ودعا طبقات العمال الى اعتناقها والعمل على تنفيذها بطريق القوة ووسائل العنف .

واعتمد ماركس فى مهاجمته النظام الاجتماعى والاقتصادى السائد على اثارة عواطف العمال الذين يستطيعون بفضل اتحادهم تقويض دعائم النظم القائمة ، وتعتمد نظرية ماركس الاشتراكية على نظرية فائض القيمة ونظرية المادية التاريخية .

١ ـ نظرية فائض القيمة

تقوم هذه النظرية على فكرة أن العمل الانسانى هو مصدر قيم الأشياء أى أن القيمة التبادلية لسلعة ما تتوقف على مقدار ما بذل من عمل فى انتاجها ، وبذلك يكون الجهد البشرى هو القوة القادرة على خلق القيمة أى أن العمل هو الذى يخلق الثروة ، ويرى أن منفعة الشىء تتوقف على مقدار العمل اللازم له ، ومادام العمل هو الذى ينتج الثروة فللعمال الحق فى أن يستولوا على كل ما ينتجه العمل ، ولكن الملاحظ أن العمل يأخذ أقل مما يستحقه فى خلق

قيم الاشياء ، فالرأسمالي يشتري من العامل قوة عمله كسائر السلع ويعطيه ما يكفي حاجته لكي يعيش عيشة الكفاف ، ثم يبيع الرأسمالي انتاج العامل بسعر أكبر مما اشتراه به ، ويحصل على فائض القيمة ، وهو الفرق بين القيمتين ، وهذا هو الربح ، وهذا الفائض ينتج من استخدام رأس المال في توظيف العمال ، ولقد شبه ماركس حال العمال في عصره بحال رقيق الأرض في الأزمنة القديمة ، فالعامل يعرض عمله كما هو الشأن في أية سلعة أخرى تخضع لظروف العرض والطلب ، ويتأثر بقانون التنافس الذي يرد قيم الاشياء الى زمن انتاجها ، ويؤدي التنافس بين العمال الى رد أجورهم الى أدنى مستوى ، وندد كارل ماركس بنظام الرأسماليين واستغلالهم للعمال حتى عانوا البؤس والشقاء ، ويرى أن طريق الخلاص من هذا البؤس هو الغاء النظام الرأسمالي والملكية الخاصة وتوجيه رأس المال وجهة اجتماعية حتى تختفي الطبقية وتصبح هناك طبقة واحدة هي طبقة المنتجين ·

وهكذا تكون السلعة الوحيدة التي يمتلكها العمال هي العمل، وكل سلعة تتحدد قيمتها بمقدار العمل اللازم لها ، وجهد العامل يتحدد بقيمة نفقات العيش الضرورية اللازمة له ولأسرته · ولكن جهد العامل يختلف عن هذا ، فهو ينتج لصاحب العمل قيمة أكبر من تلك التي دفعها صاحب العمل أجرا له ، والفرق بين القيمتين يستحوذ عليه صاحب العمل ويسميه « ربحا » ، ولذلك يطالب ماركس بامتلاك الدولة لكل مصادر الانتاج لكي يعود الربح على كل من اشترك في انتاج السلع ·

٢ ـ نظرية المادية التاريخية :

يرى ماركس أن الحالة الاقتصادية هي التي تحدد بصفة حاسمة النظم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية ويقرر أن التاريخ يمثل صراعا عنيفا بين الطبقات الاقتصادية فوسائل المعيشة هي التي تقسم الناس الى فئتين هما : « المستغلون والمستغلون » أي طبقتا أصحاب الاموال والعمال، ومصالح هاتين الطبقتين متعارضة وتاريخ الصراع الطبقي يحدثنا أن الانتصار في النهاية كان للطبقة الأوفر عددا والأسوأ حالا على الطبقة الغنية الأقل عددا ·

فقد قام قديما صراع بين العبيد والأحرار ، ثم بين الأشراف والعـامة ، وكذلك بين الرؤسـاء والعرفاء فى نظام الطوائف ثم قام هذا الصراع بعد الثورة الفرنسية بين الطبقة البورجوازية وطبقة العمال ، فقد صارت الأولى سيدة المشروعات الاقتصاديه ، واستطاعت أن تستأثر بالثروة والنفوذ السياسى ، على حين لم تكن الثانية تملك الا العمل العضلى مع أنها هى التى تقوم فى عملية الانتاج بأوفر قسط وأهم نصيب ، ولم تدفع لهم من الأجور الا مقادير ضئيلة من المال لا تحقق لهم الا العيش بشق الأنفس · وكان العامل مضطرا الى ذلك لأنه لا يملك غير عمله يبيعه ولو بأبخس الأثمان · ومن شأن هذه الحالة المزرية التى ترزح طبقة العمال تحت نيرها ايغار صدر الطبقات المظلومة وحفزهم على النضال الذى ينتهى فى الغـالب بانتصار طبقة العمال تبعا للتطور الاجتماعى الطبيعى · فالصراع يؤدى ولا شك الى نتيجة محققة هى فناء الرأسمالية · وفى هـذا الصدد يقول كارل ماركس عبارته المشهورة : « الرأسمالية تنمى بذور فنائها » لأنه كلما تقدم النظام الرأسمالى الحالى اشتدت وطأة الأزمات لوفرة المنتجات وهبوط أثمانها ، وكلما تركزت الثروات زاد الأغنياء غنى ، على حين يشتد بؤس الطبقة العاملة ، وعلى هذا الأساس تسير الامور من سىء الى أسوأ حتى تقوم ثورة عنيفة تقوض النظم القائمة من أساسها · فالرأسمالية باتجاهها نحو اشباع حاجاتها تخلق فى الوقت نفسه الظروف التى تقوى جهود العمال لاعداد أنفسهم للقيام بالعمل المباشر نحو تقويض دعائم النظـام الرأسمالى واقامة مجتمع اشتراكى تختفى فيه نظم الملكية ، وتختفى فيه الفروق بين الطبقات ، ويختفى فيه التنافس ويسوده الرخاء والسلام ·

وبعد نجاح العمال فى الصراع الاقتصادى يكون عليهم أن يمهدوا بأنفسهم الى الصراع السياسى حتى يفوزوا بالكراسى فى (المجلس النيابى) ، واذا لم تعترف الحـكومة بحقهم فى التمثيل النيابى لجئوا الى الثورة والعنف والقوة للحصول على حقوقهم ، واذا قدر لهم الوصول الى الحكم فعليهم أن يحرصوا على سـلامة المبادىء الديمقراطية التى تتمثل فى اجراء الانتخابات الشـعبية المباشرة ، وتعميم التعليم ، وتنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث :

التنفيذية ، والتشريعية ، والقضائية ، وعليهم أن يعملوا على تحسين حال العمال ؛ على أن تكون هذه الخطوات وهذه الاصلاحات الاشتراكية بالتدريج : اى ان الخطوة الاولى تكون نحو الانتصار الاقتصادى ، ثم تأتى بعد ذلك خطوة الانتصار السياسى ٠

أما الخطوات التى تحقق الاشتراكية فقد لخصها كارل ماركس فيما يلى :

١ ـ الغاء الملكية الزراعية الخاصة ٠

٢ ـ وضع جميع وسائل النقل والمواصلات تحت تصرف الدولة ٠

٣ ـ الغاء حق الميراث ٠

٤ ـ تأميم البنوك ٠

٥ ـ فرض ضرائب تصاعدية باهظة على الدخول الكبيرة ٠

٦ ـ تحريم تشغيل الأطفال فى المصانع ٠

٧ ـ المساواة فى حق العمل ٠

٨ ـ امتداد الملكية العامة الى ميادين الانتاج الأخرى ٠

ويرى كارل ماركس أن يوزع فائض الانتاج على العمال كل على قدر كمية عمله ونوعه ، وعندما يصل المجتمع الى أسمى مراتب التنظيم الشيوعى ، أى عندما يختفى التعارض بين العمل العقلى والعمل اليدوى ، وعندما تتقدم المواهب الفردية وتتآزر القوى الانتاجية لزيادة ينابيع الانتاج ، وعندما يصبح العمل غاية الحياة وليس وسيلة رخيصة للحياة ، فى هذه الحالة يصبح شعار الجميع «من كل على حسب امكانياته ، ولكل على حسب حاجاته» ٠

ويقول كارل ماركس فى تبريره لدكتاتورية العمال التى تقوم فى فترة الانتقال للقضاء على الدكتاتورية الرأسمالية : انها لاتعتبر حكم فرد مستبد ، ولكنها يجب أن تفهم على أنها حكم طبقة جديدة تمارس الحكم على أنقاض طبقة سابقة ، ولهذا فانه يقول : انه يجب على دكتاتورية العمال أن تختفى بعد أداء مهمتها والقضاء على الرأسمالية والرجعية والانتهازية ، على أن ماركس وجه دعوته

الى العمال للنضال فى جميع دول العالم ، ولذلك ختم منشوره الشيوعى بقوله : « أيها العمال فى جميع البلاد اتحدوا » •

ولقد أخذ على كارل ماركس اعتماده على الناحية الاقتصادية لاحداث التطور واهمال الناحية الأخلاقية ، مع أنها لا تقل شأنا فى احداث التطور الاجتماعى ، كما أخذت عليه فكرته الثورية واستخدام القوة والعنف فى تنفيذ البرنامج الشيوعى •

ومن استعراضنا للمذاهب الاشتراكية المختلفة نستطيع أن نستخلص أنها مذاهب تسمح للأفراد باظهار مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم ، واستغلال هذه المواهب فى أوجه النشاط الاقتصادى المختلفة ، وهذا النظام وسط بين الشيوعية المطلقة والرأسمالية المتطرفة ، وهو يجمع بين مزايا كل منها ويمتاز بالمبادىء الآتية :

١ ـ يستمح بالملكية الخاصة ، ولكن فى حدود تحددها الدولة والمصلحة العامة •

٢ ـ تشجع الدولة فى ظلاله الاستثمار فى الميادين التى تخدم أغراض المجتمع •

٣ ـ يهيىء الفرص أمام الافراد لاظهار ذكائهم ومواهبهم الاقتصادية •

٤ ـ تتدخل الدولة فى ادارة أوجه النشاط الاقتصادى وتشرف عليها •

٥ ـ يوضع تخطيط اقتصادى تسير عليه الدولة فى مشروعاتها الاقتصادية •

٦ ـ تقرض الضرائب التصاعدية •

٧ ـ حماية العمال من أصحاب الأعمال ، وذلك باصدار التشريعات التى تحدد العلاقة بين الطرفين •

٨ ـ حماية المستهلكين من جشع الرأسماليين بتحديد الأسعار ومنع الغش والاحتكار •

٩ — تأميم بعض المرافق ذات النفع العـــام ، كالسـكك الحديدية والتلغراف والتليفون والاذاعة والاضاءة ·

١٠ — تحديد الملكية الزراعية ·

على أن المذاهب الاشتراكية ترى أن تضع الدولة يدها على مصادر الانتاج حتى تستطيع أن توفر العمل لكل عامل ·

- ١ -
الاشتراكية فى فرنسا

وضـع المفكرون الفرنسيون بعض النظريات التى أملوا من ورائها اصلاح المجتمع من شر الرأسماليه ، وهاجمت هذه النظريات نظام الميراث باعتباره أساس الملكية الرأسمالية ، وطالبوا بأن يوضع حد لطغيان رأس المال ، كما طالبوا بأن تمتلك الدولة جميع وسائل الانتاج ، وأن تدبر عملا لكل مواطن ·

وكان من أشدالمذاهبالاشتراكية تطرفا المذهبالفوضوىالذى نادى به «بيردوان» وطالب فيه بتحريرالفرد تحررا كاملا، وذلكبالغاء الدينوالدولة وكل مظاهرالسلطة والرقابة، بما فيها الشرطةوالمحاكم والسجون وكل وسائل الرقابة ، لأنها افتئات على حق النـــاس فى الحرية ، وطالب بأنتترك العلاقات بينالمواطنينلضمائرهم يتعاونون فيما بينهم بحرية تامة على الخير العام ودون حاجة الى سيد أو آمر أو ناه · وطالب بالغاء الملكية ونظام الميراث ، وقال ان الملـكية هى السرقة لأنه اذا كان الله قد خلق الأرض كما يسلم بذلك الجميع ، فلا داعى لأن يدعى انسان ملكيتها دون انسان آخر ، ويجب أن تلغى جميع القوانين التي تحمى الملـكية الخـاصة لتعود الأرض وســائر الموارد الطبيعية ملكا للجميع ولا يوزع الانتاج بالتساوى بين الجميع، لأن التفاوت سرعان ما يعود بين الأفراد مرة ثانية ، انما يحصل كل انسان بمقدار جهـده وعمله ، ولكن هذا المذهب « اللاحــكومى » يفترض أن الناس ملائكة ، وبذلك يلغى كل سلطة ، ويمنح الأفراد حرية مطلقة يكون ضررها أكثر من ضرر الرأسمالية ، وهناك فرق كبير بين هـذا المذهب الفوضوى الذى يلغى كل مظهـر للرقابة

والسلطة ، وبين فلسفة كارل ماركس ، لأنه يمجد طبقة العمال ويمجد الحكومة الديمقراطية •

ولقد تتلمذ كارل ماركس على هيجل أكبر فلاسفة ألمانيا فى القرن التاسع عشر ، وأخذ عنه منطقه الجدلى ، ورفض مثاليته وروحانيته ، واعتنق الفلسفة المادية التى كانت منتشرة فى ألمانيا آن ذاك بفضل العلوم الطبيعية • والتقى ماركس « بانجلز » وهو أحد رجال الأعمال فى انجلترا وألف بمعونته نظريته الاشتراكية ، وأصدر المنشور الشيوعى ، ثم ألف كتابه الشهير « رأس المال » الذى تضمن آراءه المادية التاريخية والمنطق الجدلى •

المنطق الجدلى

لم يوافق كارل ماركس هيجل على تفسير الظواهر الانسانية بمنطق العلوم الطبيعية أو الرياضية أو الكيمائية • ان كل قضية أخلاقية أو انسانية لها نقيض يتعارض معها ، وأنه لا القضية ولا نقيضها يعبران عن الحقيقة الكاملة ولا يمثل أيهما الخطأ المحض ، ولهذا التعارض يتجه العقل البشرى الى تأليف قضية ثالثة توائم بين القضيتين المتعارضتين وتشتمل بقدر الامكان على ما فيهما من صواب ، وهى مركبة منهما معا ، وهذه القضية الثالثة قد تصبح طرفا فى تناقض جديد اذا كانت منحرفة بعض الشىء عن الحقيقة .

وفسر هيجل التاريخ تفسيرا عقليا روحيا ، فجعل الأمة عقلا يعمل على نشر ثقافتها وسيادتها فى الدول المجاورة التى تناقضها .

واستعار ماركس المنطق الجدلى من هيجل ، ولكنه انكر التفسير الروحى للتاريخ ، وأخذ بنظرية المادية ، وهى نظرية الصراع بين الطبقات المتعارضة فى المجتمع الواحد ، طبقة مستغلة قليلة العدد مسيطرة على شئون الدولة بسبب امتلاكها لوسائل الانتاج ، وطبقة مستغلة كبيرة العدد خاضعة للظلم والاستبداد ، وهذا الوضع الاقتصادى يؤدى الى تكوين الثقافات الاجتماعية من تقاليد وعادات وأخلاق وعقائد دينية وفلسفية وفن ، بحيث

تكون ملائمة لمصلحة الطبقة المسيطرة ، فاذا انتقلت ملكية الوسائل الى طبقة أخرى فان الصراع والتنـاقض يستمران قائمين بينها وبين الطبقة الاخرى، واذن لابد من قيام ثورة تعمل على تعديل الأوضاع وتنتصر فيها الأغلبية الساحقة المغلوبة على أمرها ، وتنشأ عادات وتقاليد وقيم تمجد هذه الطبقة المسيطرة ، فالاقتصاد هو الذى يشكل الآداب والثقافات والمعايير والأخلاق والفنون ، وعنـد ماركس أن المراحل الطبيعيـة لتطور نظم الانتـاج ثلاث وهى :

(أ) النظام الاقطاعى .

(ب) النظام الرأسمالى .

(ج) النظام الاشتراكى .

وشـتان بين التقـاليد التى تنشـأ فى كل مرحلة من هـذه المراحل ، ولما كان كل نظام يحمل فى طياته عوامل فنائه وبذور النظام الذى سيخلفه ، فان النظام الاشتراكى سيتولد حتما من النظام الرأسمالى فى كل مجتمع يبلغ فيه التناقض بين مصالح العمال والرأسماليين قدرا كافيا من الحدة والاتساع .

عوامل فناء الراسمالية ونشأة الاشتراكية :

يرى ماركس أن هناك تناقضا بين ملـكية صاحب العمل للانتاج وبين قيام العامل بالانتاج . وأن هذا التناقض لابد أن يؤدى الى صراع ينتهى بزوال النظام الراسمالى . والراسمالية تعمل على تركيز الثروة فى أيدى فئة قليلة ، وتزيد عدد المتعطلين والعمال ، وتعمل على تحقيق أكبر ربح ممكن لصاحب العمل ، مع تحديد أقل أجر ممكن للعامل ، وتجميع العمـال فى مناطق معينة ليسهل اتحادهم وتعمل على زيادة الانتاج زيادة كبيرة ، فتنخفض الأسعار وينتشر الكساد والأزمات ، ومن شأن هـذه العوامل مجتمعة أن تؤدى الى فناء النظام الراسمالى .

البرنامج الاشتراكي

لم يكتف ماركس ببيان مذهبه نظريا وانما شفعه ببيان الوسائل المؤدية الى قيام الاشتراكية والديمقراطية ، ووصول العمال الى الحكم ، واذا لم يتحقق لهم ذلك فعليهم أن يمهدوا بأنفسهم للثورة ، فاذا وصلوا الى الحكم فعليهم القيام بدكتاتورية العمال حتى تنتقل ملكية الانتاج الى الدولة ويقضى على الرأسمالية. يجب على الدولة فى هذه المرحلة أن تكون قوية يقظة ، لأن الاحتفاظ بالنصر أصعب من احرازه ، وفى هذه المرحلة أيضا ينبغى أن يعمل كل فرد بقدر كفايته ، ويعطى على قدر انتاجه فقط ، فاذا ما تعود الشعب على الحياة الاشتراكية وضعفت فيه عوامل الأنانية تبدأ المرحلة النهائية ، وهى الشيوعية ، وهنا تزول الدولة كجهاز قهرى ، ولا تبقى الا الأعمال الادارية والخدمات العامة ، ويعم الرخاء ويعمل كل مواطن من تلقاء نفسه بقدر كفايته ، ويأخذ على قدر حاجته بلا حرج ، وفى هذه الحالة ينتهى الصراع .

الفصل الثالث

الاشتراكية العربية

يقترن الوعى الديمقراطى بضرورة وجوب التحرر من العوز والفقر ، ولن يتاتى هذا الا باستخدام الأسلوب العلمى فى العالم العربى لاستغلال موارد الطبيعة وتشجيع روح الحرية والابداع والابتكار ، وبالقضاء على الفوارق الطبقية والبعد عن السلبية ، والأخذ بسياسة التصنيع وتوسيع مجال الخدمات الاجتماعية ، ويستلزم هذا الأخذ بسياسة التنظيم الاقتصادى وفرض الضرائب التصاعدية . والاشتراكية تتفق مع وضع البلاد ، فهى لا تلجأ الى التأميم الشامل ، ولا تقر بنشوب حرب طبقية ، ولكنها تسعى الى ايجاد التعاون بين جميع طبقات الأمة ، وتستهدف التضامن الاجتماعى ، وتحافظ على المبادىء الروحية والحرية الاقتصادية المنظمة المقيدة بقيود المصلحة العامة والمساواة فى الميدان الاقتصادى ، وتكافؤ الفرص فى الحصول على الحاجات المادية ، ونشر روح الاخاء والألفة والتماسك الاجتماعى ونبذ روح البغضاء والكراهية التى كانت موجودة بين الطبقات ، وأهم ما يحقق هذه الاشتراكية هو وضع برنامج اقتصادى ، صناعى وزراعى وتجارى ، تسير عليه الدولة .

وتعمل الحكومة على انشاء الصناعات الثقيلة التى يعجز الأفراد عن القيام بمشروعاتها ، لما تحققه هذه الصناعة من زيادة فى الانتاج والدخل القومى ، ورفع مستوى المعيشة ، وتحقيق سيادة الدولة ، والاكتفاء الذاتى ، وايجاد فرص واسعة للعمل . ويجب أن تكون العمليات الانتاجية والاستهلاكية من الأمور التى تهم الشعب . وتعمل الدولة على تشجيع رأس المال الوطنى بالاشتراك فى المشروعات الصناعية واحلاله محل رأس المال الأجنبى ، وتنظيم الرسوم الجمركية على الخامات اللازمة للصناعة التى تقام محلية ، وأيضا على الصادرات بحسب الزائد منها عن الحاجة المحلية أو المحتاج اليها . وقد أخذت الحكومة

بسياسة تأميم المشروعات العامة ذات النفع العام ، وترجع أسباب التأميم فى الجمهورية العربية المتحدة الى عدة أسباب منها :

١ ـ القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم ، فقد رأينا كيف كان الاقطاع يسيطر على كراسى البرلمان عن طريق شراء أصوات الناخبين أو الضغط عليهم وطردهم من أعمالهم أو بطريق تزييف الانتخابات .

(٢) تحويل معظم الشركات التى كانت ملكيتها فى يد أجانب الى الملكية العامة ، اذ أن تأميمها يحولها من ملكية للأجانب الى ملكية للشعب العربى .

(٣) منع انحراف أصحاب المشروعات عن الطريق الصواب وتهريب الأموال الى الخارج ، واحتكار السلع والتحكم فى الأسواق .

(٤) منع استغلال العمال ، بسبب سوء حالتهم ، وكذلك منع استهلاك كميات كبيرة من المال فى الصناعات الاستهلاكية والكمالية .

وتقوم الدولة بالاشراف على المشروعات الانتاجية ، وتصون حقوق العمال ، وتعمل على ايجاد عمل مستمر لهم ، كما تقوم بحمايتهم ، وتشجع الادخار القومى بزيادة سعر فوائد الودائع التى تودع فى البنوك وصناديق التوفير ، وبسهولة تداول الاسهم والسندات لبيعها لصغار المواطنين بالتقسيط ثم خفض قيمة السهم من ٤ جنيهات الى جنيهين لتيسير الحصول على هذه الأسهم ، ثم ضمان الحكومة لحد أدنى من الربح بحيث يكون المواطن مطمئنا الى ما يجنيه من فائدة ، وتشجع الدوله بصفة خاصة الاستثمار فى الصناعة بطريق منح قروض من البنك الصناعى ، للصناعات الناشئة التى تخدم الأغراض الوطنية ، وبطريق ايفاد البعثات العلمية للتخصص في ميدان هذه الصناعات الجديدة ، ثم قيام الدولة بفرض الرسوم الجمركية العالية على الصناعات التى لها نظير فى الانتاج المحلى ، حماية لها من المنافسة الأجنبية ، كما أصدرت قانون تحديد الملكية الزراعية ، وبذلك يصبح الفرد مضطرا الى استثمار أمواله الزائدة عن الحد الأقصى للملكية الزراعية فى الميدان الصناعى ، كما أنها

عملت على عقد الاتفاقيات التجارية مع الدول الآسيوية والافريقية ودول الحياد الايجابى لايجـــــاد أسواق رائجة لتصريف منتجاتنا ، وأعفت الخامات والالات اللازمة لقيـــام الصناعة المحلية من الرسوم الجمركية ، كما أعفت الصناعات الناشئة من ضرائب الايراد ، حتى تتمكن هذه الصناعات من تدعيم مركزها المالى ؛ قبل تحصيل ضرائب عن أرباحها ·

وتعمل الدولة على انشاء الصناعات الضرورية بالنسبةلعامة الشعب ، وليست الكماليات · وتضع نظاما للتوفيق بين الانتاج والاستهلاك والتوزيع ، وتعمل على حمايه المستهلك ، وزيادة قدرته الشرائيه وتحديد أسعار السلع لمنع استغلال المستهلك ·

وفى الميدان الزراعى مضت الجمهورية العربية تعمل جاهدة على توسيع مساحة الرقعة الزراعية باستقطاع اجزاء من مســــاحات الصحراء ، واضافتها الى مصادر الثروة الزراعية الموجودة ؛ وهى كذلك تعمل على تنويع المحصولات الزراعية ، فلم تعد بلادنا توجه كل الاهتمام الى محصول واحد كالقطن ، ولكن تنوعت الحاصلات الزراعية وخاصة القابلة للتصنيع والتصـــدير ، فأصبحنا نصدر الى جانب القطن البطاطس والخضروات والفــاكهة والزهور والسكر والنباتات الطبية وغيرها ·

وقامت الثورة بتحديد الملكية الزراعية بما لا يزيد عن ١٠٠ فدان للشخص الواحد ، واستولت على الأراضى الزائدة ووزعتها على صغار الفلاحين الذين يعملون أصلا فى حرفة الزراعة ، كما عملت الدولة على تحديد العلاقة بين المالك والمستأجر ، فحددت الايجـــار بما لا يزيد عن ٧ أمثال الضريبة ، وحددت ثمن الارض بما لا يزيد عن عشرة أمثال الايجار ، وراعى القانون عدم تجزئة الملكية وتفتيتها ، لأن ذلك يؤدى الى زيادة تكاليف الانتاج ، كما يؤدى الى قلته ، ومن أجل ذلك نص القانون على تكوين جمعيات تعاونية ، تتكون ممن آلت اليهم الارض الزراعية المستولى عليها ، بحيث لا تزيد ملكية العضو عن خمسة أفدنة ، وذلك لكى تمد الفلاح بالتقاوى المنتقاة والأسمدة والآلات والمبيدات ، وتسوق له منتجاته تسويقا تعاونيا ، يحميه من جشع المرابين والتجار والوسطاء ، كما أن القانون ضـــمن حقوق

العمال الزراعيين ، بأن صرح لهم لأول مرة بتحديد حد أدنى لأجورهم ، كما سمح لهم بتكوين نقابات ترعى مصالحهم وتصون حقهم .

وغير ذلك من المشروعات التى تؤدى الى زيادة غلة الفدان ، كتوفير وسائل الرى والصرف ، وتدبير التقاوى المنتقاة ، والأسمدة اللازمة والمبيدات الحشرية ، واستخدام الالات والأساليب الحديثة فى الزراعة ، واتباع الدورة الزراعية ، وتهجين الحاصلات الزراعية ، والهدف من كل هذه الوسائل هو زيادة الانتاج . وتهتم الجمهورية العربية المتحدة بالصناعات الريفية اليدوية باعتبارها مصدرا من مصادر زيادة الدخل كصناعات الألبان والمربيات والسجاد والكليم والحرير ، والسلال ، وتعمل على توفير الاعمال الملائمة للنساء ، لرفع مستوى الأسرة ماديا .

وتشجع الدولة صناعات التعدين ، واستخراج البترول ، وتعمل على تعريب شركاته ، وتأميمها لحمايتها من الانحراف ، وتعمل الدولة كذلك الآن على رفع مستوى المعيشة ، لأن انخفاض مستوى المعيشة يرجع الى الاسباب الآتية :

(١) قلة الارض الزراعية وسوء توزيعها ، فقد كانت الملكية الزراعية مركزة فى يد فئة صغيرة من الاقطاعيين .

٢ ـ ضعف الصناعة الوطنية بسبب الاستعمار ، الذى وقف حجر عثرة فى وجه قيام الصناعة فى البلاد ، حتى نظل ضعفاء ، ويظل الاقتصاد المصرى مربوطا بعجلة الاستعمار ، ولكى يتمكن من استغلال حاصلات البلاد الزراعية وتصنيعها فى بلادهم واعادتها الينا بأثمان غالية فتظل البلاد سوقا رائجة لتصريف منتجاته كما أنه لم يكن هناك جهاز مركزى قوى لتحويل الصناعات الوطنية ، ولم تكن الدولة تشجع قيام الصناعات ، وكان رأس المال الوطنى يتجه به أصحابه نحو شراء الأرض الزراعية لسهولة الحصول على ربحها ، ولما ارتبط به من نفوذ وسلطان على المستأجرين والأجراء .

٣ ـ التفاوت الواسع بين مستويات الدخول ، فلم تكن الثروة الأهلية موزعة على أبناء الأمة جميعا بالعدل ، واحتاج الحال

إلى تربية المواطن تربية استهلاكية صالحة وتربية انتاجية صالحة نافعة ، وكان من الضرورى الأخذ بأساليب الاصـــلاح الاجتماعى وحماية الأسرة من زيادة النسل وتعدد الزوجات ، على ان الجمهوريه العربية المتحدة تؤمن بالاتجاه الانسانى ، ولهذا تطالب بالتعايش السلمى ، والبعد عن الحرب كوسيلة لتسوية الخلافات الدولية ، كما تنادى بالتعاون الدولى فى الاقتصـــاد والثقافة ، وهذا هو نفسه ماتنادى به دول الحياد الايجابى ، والتعايش السلمى ، كما انها تنادى بمحاربة الأحلاف العسكرية ، التى تزيد من حدة التوتر بين المعسكرين الشرقى والغربى ، وقد أخذت مصر بسياسة الحياد وعقدت الاتفاقيات مع كثير من الدول كالصين الشعبية ويوغسلافيا وألمانيا .

- ١ -

حتمية الحل الاشتراكى

ان طريق الحرية الاجتماعية هو الاشـــتراكية ، لاتاحة فرص متكافئة أمـــام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية ، ويتطلب هذا قبل التوزيع العادل للثروة العمل الجاد المتواصـــل ، لزيادة قاعدة الثروة التى يمكن توزيعها على جماهير الشعب ، وعلى ذلك تكون الاشتراكية ذات دعامتين هما : الكفاية والعدل ، ولهذا اعتبرت طريق الحرية الاجتماعية ، .

ان الحل الاشتراكى ليس اختياريا ولا انتقائيا ، وانما كان حتميا فرضته الآمال العريضة لجماهير الشعب ، والواقع أن الظروف التاريخية والطبيعية المتغيرة للعالم فى النصف الثـــانى من القرن العشرين كانت تؤكد تلازم الرأسمالية تلازما كاملا مع الاســتعمار الذى جعل من مصر حقلا لتزويد مصانع لانكشير بالقطن المصرى على حساب الفلاح .

والاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ، والقضاء على التخلف الاقتصادى لا يمكن أن يترك للمجهود الفردى ، الذى لا يحـــركه الا دافع الربح الأنانى ، ويجب تجميع

المدخرات الوطنية ووضع كل خبرات العلم الحديث فى مجال التطبيق العملى ؛ واستثمار هـــذه المدخرات ووضع تخطيط شامل لعمليـــه الانتاج ثم الأخذ بمبـــدأ عدالة التوزيع • ولذلك ينبغى أن تسيطر القوى الشعبية على كل أدوات الانتـــاج وعلى توجيه فائضه ، واذن فالحل الاشتراكى هو المخرج الوحيد للتقدم الاقتصادى والاجتماعى، وهو طريق الديمقراطية السياسية والاجتماعية السليمة •

ان سيطرة الشعب على كل وسائل الانتاج ، لا تستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها ، ويتطلب ذلك خلق قطاع عام يقود التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ، وايجاد قطاع خاص يشارك فى التنمية باطار الخطة الشاملة ، من غير استغلال على أن تكون رقابة الشعب مسيطرة عليهما معـــا ، والحل الاشتراكى هو الذى يزيد فى الانتاج ، على قواعد وأسس علميـــة وانسانية وفق خطة مرسومة •

ويستلزم هذا تخطيطاً متكافئا يضمن استغلال جميع المـــوارد الوطنية المادية والبشرية بطريقة علمية وعملية ، وانسانية فى الوقت نفسه ، مع العمل على زيادة الخدمات التى تقدم للشعب ، والتخطيط ينبغى أن يكون عمليه خلق علمى منظم ، يواجه جميع التحديات التى تواجه المجتمع فهو ليس عملية تحقيق الممكن فقط ، ولكنه عملية تحقيق الآمال كذلك ، وهو يعمل على زيادة الانتاج ، وزيادةالاستهلاك فى الوقت نفسه فى السلع والخدمات مع وجود الاستمرار فى زيادة المدخرات من أجل الاستثمارات الجديدة ، وهذا يتطلب تعبئة القوى المنتجة ورفع كفايتها ماديا وفكريا ، وهدف الانتاج هو توسيع نطاق الخدمات ، والخدمات بدورها قوة دافعة لعجلات الانتاج ، ويعتمد هذا التخطيط على مركزية فى التخطيط وبلا مركزية فى التنفيذ •

ولابد من العمل على استغلال جميع مصادر الثروة الكامنة فى باطن الأرض ، واستصلاح الأراضى البـــور الواســـعة والنهوض بالصناعة يفتح أبوابا واسعة للعمل والعنـــاية بالصناعة اليدوية ، والصناعات الاستهلاكية للوفاء بحاجات المواطنين الى جانب العناية بالصناعات الثقيلة •

والتنظيم الاشتراكى الجديد جعل الآلات ملكا للعمل ، وليس العمل ملكا للآلات ، وكفل حدا أدنى للأجور ، واشتراكا ايجابيا للعامل فى الادارة ، واشتراكا حقيقيا فى الأرباح ، مع كفالة ظروف العمل التى تحقق الكرامة للعامل ، والمحافظة على صحته بتقليل ساعات العمل ·

وأصبح دورالنقابات العمالية فى ظل الاشتراكية العربية هو العمل على رفع الكفايه الفنية والانتاجية والفكرية والثقافية للعامل بغيه رفع مستواه المادى والفكرى برفع الحد الأدنى للأجور ، وتوفير الاسكان التعاونى ، وتوفير السلع الاستهلاكيه ، وتوفير الرعايه الاجتماعية لهم ولأولادهم ، وكذلك تنظيم وقت فراغهم بما يعود عليهم بالنفع ماديا ومعنويا · ويجب الاهتمام بالقوى المحركة من كهربا وبترول وفحم ، وتوفير سبل المواصلات والعمل للقضاء على احتكار القلة للفرص الاقتصادية على حساب الكثرة ، وللقضاء على الفوارق بين الطبقات والعمل على زيادة قدرة القطاع العام ، حتى يستطيع أن يقوم بدوره القيادى فى الميدان الصناعى ، وتشجيع القطاع الخاص على أن يخدم المصلحة العامة ، ويخدم نفسه عن طريق الكسب المشروع بلا استغلال ·

ان قدرة الشعب على السيطرة على أموره داخليا ، وقدرته على الدفاع عن مصالحه خارجيا ، تجعلانه يسمح لرأس المال أن يعمل فى بلاده ، ونحن نقبل كل المعونات الأجنبية غير المشروطة ، والقروض غير المشروطة ، وفكرة القروض لها ذكرى فى تاريخنا السياسى المرير ، فقد تسببت فى عهد اسماعيل فى وجود محنة قومية ، ظل الشعب يقاسى من ويلاتها حتى تم الاستقلال على يد الثورة المباركة ، ولكن شتان بين قروض عبد الناصر ، وقروض اسماعيل ، فقروض اسماعيل كانت فوائدها عالية جدا ، ثم انها كانت تستخدم فى مشروعات استهلاكية كبناء الحدائق والأوبرا ، وكانت مشروطة ببسط النفوذ الأجنبى على مصر ، ولكن قروض عبد الناصر غير مشروطة بأى شرط ، ثم انها بأسعار معتدلة وتستخدم فى اقامة مشروعات عمرانية وانتاجية تيسر سداد هذه القروض من أرباحها ، ثم ان سدادها سيتم على آجال طويلة من فائض أرباحها ·

وتعمل الدولة على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ، فى ميـــدان العمل ، والتوظف والتعليم ، فلكل فرد أن يصل الى اعلى المناصب على حسب ما تؤهله قدراته واستعداداته بصرف النظر عن دينه أو جنسه أو طبقته الاجتماعية ، كما تعمل على كفالة الرعاية الصحية للمواطن ، وكفالة حقه فى العلم بقدر ما تحتمل مواهبه ، لأن العلم طريق تقرير الحرية الانسانية ، وحق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده ومع ثقافته وخبرته ، والعدل يقتضى أن يكون هناك حد أدنى للأجور ، وحد أعلى للدخول ، تتكفل به الضرائب ، ويجب أن تكفل التأمينات الاجتماعية ضد المرض وضد الشيخوخة وضد اصابات العمل ، ويجب أن تعمل على تربية الأخلاق وتغيير القيم الأخلاقية ، واعتبار القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان ، قادرة على هداية الانسان بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والمحبة والحق ، ان رســالات السماء كلها كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته • ان جوهر الانسان الخير وجوهر الدين يؤكدان حق الانســان فى الحياة وفى الحرية ، وان جميع الرسالات الدينية ذات رسالة قومية ، على أن تتخذ هذه السياسه منهج التدرج فى التنفيذ • ان العمل الانسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه •• العمل شرف ••• العمل حق ••• العمل واجب ••• العمل حياة ••• ان العمل الانســانى هو المفتاح الوحيد للتقدم ، والطبقة العاملة لا يمكن أن تســاق بالسخرة الى تحقيق الانتاج ، والطاقات المبدعة للشعوب تستطيع أن تصنع الغد دون أن تساق اليه بحمامات الدم الجماعية •

وان هــذه الاشـــتراكية العربية المستمدة من ظروفنـــا ومن تاريخنا ومن الدين الاسلامى ، تختلف عن الشيوعية من حيث أن الشيوعية تفرض الطاعة على اتباعها لأصحاب المذهب الشيوعى وقادة الحركة الشيوعية ، بدلا من الولاء للقيـــادة والزعامة المحلية القومية ، وهى اذن تفرض نفسها على ما وراء حدودها ، كما أننا ندفع تعويضا لما نؤممه من مشروعات عامة ، أما الشيوعية فانها تلجأ الى المصادرة سلبا • ولا شك أن الدين الاسلامى دين وسط بين المادية والروحية ، ومنه تستمد اشتراكيتنا مبادئها وأصولها ، ولقد نادى

الاسلام بالوحدة والاتحاد • وبالمساواة والعدل والاخاء ، وقرر أن الفرد جزء من المجتمع ، وكل الأفراد راع وراعية لأنفسهم ولغيرهم « كلكم راع ••• وكل راع مسئول عن رعيته » •

فالاسلام يعترف بكيان الانسان وبحريته وبحقه في رعاية نفسه ومن يعوله .

- ٢ -

الفرق بين اشتراكيتنا العربية والاشتراكية الغربية والشرقية

لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ضد مبادىء وقيم ، وضد طريقة حياة ، وضد أيديولوجية خاصة ، فلم تكن ضد شخص أو مجموعة من الأشخاص ، وانما كانت ضد أيديولوجية لم تكن ترضى عنها •

ولقد توصلنا الى فكرة الاشتراكية فى أثناء بحثنا عن حل لمشكلاتنا التى ورثناها من العهود البائدة ، فنحن لم نكن نبحث عن فلسفة معينة بين الفلسفات الاقتصادية والاجتماعية الكثيرة ، ثم توصلنا الى الاشتراكية ولم نكن ندرس أنواع الأيديولوجية أو طرائق الحياة ، ثم وقعنا على الاشتراكية وقلنا نعتنقها ، ولكن الحقيقة هى اننا كنا نحل مشكلة آلت الينا وواجهتنا ، وأتى الحل على شكل فلسفة أو على شكل أيديولوجية هى التى سميناها الاشتراكية الديمقراطية التعاونية •

اننا لم تكن نرضى عن حياتنا من نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فمن الناحية الاقتصادية ساد عندنا نوع من الاغتصاب ، يقوم على انعدام العدالة الاجتماعية فى الصناعة والزراعة ، فالاقطاع والرأسمالية قاما على الاحتكار والاستئثار والجشع واحتكار طبقة قليلة لمصادر الثروة سواء أكانت على شكل أرض زراعية أم مصانع ، فامتلك آحاد من الناس آلاف الأفدنة ، ومعنى ذلك أن آحادا من الناس استولوا على حقوق عامة الشعب ، وادعوا حقهم المطلق فى احتكار خيرات الامة ، دون بقية الشعب ؟

وكان من نتائج هذا النظام الاقطاعي والرأسمالي ، تكدس الثروة وارتفاع مستوى المعيشة في يد طبقة قليلة ، على حين حرمت غالبية الشعب كل حق ، حتى حق المعيشة الكريمة وحق اللقمة السائغة .

ومن الناحية الاجتماعية ساد لدينا نوع من المجتمع المعروف باسم المجتمع الطبقي ، اذ كان من نتائج الاقتصاد الظالم ، انقسام المجتمع الى طبقتين : طبقة قليلة من أصحاب الامتيازات الأثرياء الذين يتمتعون بمستوى راق من المعيشة ، وطبقة كثيرة العدد حرموا كل حق حتى حق التعليم والعلاج والأمن وحق جرعة الماء النقي ، كما حرموا حق العدالة التي كانت تميل الى ناحية الاثرياء .

ولم يقتصر الأمر على انقسام المجتمع ، وانما تعداه الى وجود الصراع الاجتماعي بين هاتين الطبقتين ، وبين هاتين الطبقتين كانت هناك طبقة رقيقة هي الطبقة المتوسطة من المتعلمين والموظفين وصغار التجار والملاك ، وهذه الطبقة المتوسطة اذا قيست بمعايير الطبقة الفقيرة فانها كانت تتمتع بحظ وافر من المعيشة ، واذا قيست بمعايير الطبقة الممتازة كانت أقرب الى الطبقة الفقيرة التي كانت تعيش على الكفاف .

ولم تكن العلاقات الاجتماعية بين هذه الطبقات علاقات سلام ووئام وانسجام وتماسك ، وانما كانت علاقات قتال وصراع ومقاومة واحتكاك ، ويتضح هذا الصراع في حوادث قتل الفلاحين للاقطاعيين ، وحوادث تحطيم العمال للمصانع واستيلائهم عليها ، وحوادث قومية كحرق القاهرة ، هذا الى جانب قيام الحكم على الاستبداد البرلماني ، وسيطرة رأس المال على الحكم ، وتوجيهه الوجهة التي تخدم أغراض الاقطاعيين ، والى جانب انتشار الفساد والرشوة والمحسوبية والفقر والجهل والمرض .

من هذا كله تكونت مشكلتنا الكبرى التي حاولنا حلها في سنة ١٩٥٢ وأتى الحل على شكل يوتوبيا أو صورة مثالية للحياة . ثم استقرت على شكل ايديولوجية سميناها اشتراكية ديمقراطية تعاونية ، وسميناها اشتراكية ، لأن هذا التعبير الذي يوجد في تاريخ الفكر الاقتصادي كان يصور الحل الذي وضعه رجال

الاقتصاد للقضاء على مشكلة الاحتكار والراسمالية ، ولكنه ليس صورة طبق الأصل لأى نظام من النظم الاشتراكية ، لأن الاتفاق فى الاسم ليس معناه اتفاق فى المدلول ، ولكننا وصلنا فى الواقع الى الصوره أولا ثم وضعنا لها الاسم ، ومما يؤيد هذا أن بعض الاجراءات الاشتراكية اتخذت منذ سنة ١٩٥٢ ، ومع ذلك لم نسمها اشتراكية ،ولكن التسمية أتت بعد الحلول الأولى بتسع سنوات ، ولم نأخذ بهذا الحل لأنه اشتراكى بل لأن مشكلاتنا فصلت على قدر هذا الحل حجما ونوعا ، ولأنه الحل الذى وجدنا فيه الوسيلة للخلاص من الاقطاع والاستغلال والظلم الاجتماعى والصراع الطبقى ، واذا نظرنا الى واقعنا والى تطور العملية التاريخية وجدنا أن الاشتراكية كانت حتمية من حتميات العملية التاريخية ، واذا أردنا أن نضع تعريفا للاشتراكية قلنا : انها فلسفة تنقل ملكية كل مصادر الثروة ، وكل وسائل الانتاج الى يد الجماعة ، كما تنقل اليها حق ادارة المشروعات ، ليتحقق للجماعة توزيع عادل للدخل القومى النامى المطرد النمو .

ويمكن تلخيص المبادىء التى تتضمنها الاشتراكية فى :

١ ـ ملكية الجماعة لمصادر الثروة الكامنة فى أرض الوطن وفى سمائه وفى مائه .

٢ ـ ملكية الجماعة لوسائل الانتاج .

لأن الثروة لا تخرج من باطن الطبيعة ثروة قابلة للتداول ، ولكنها تعالج بعملية انتاج ذات وسائل معروفة هى الآلات والناس ورأس المال ، وهذه العوامل لا تقل أهمية عن مصادر الثروة ، لأنها العوامل المنتجة ، وهذه الوسائل يجب أن تكون ملكيتها فى يد الجماعة ، وتظهر أهمية امتلاك الجماعة لوسائل الانتاج من أن الناس بعض هذه الوسائل وليس من حق أحد أن يدعى ملكية الناس الا أن تكون الجماعة نفسها ، والا اذا انتقل الأمر من الضبط الاجتماعى الى الرق ، ولكن عندما تمتلك الجماعة كل جهود الأفراد وتضبطها وتوجهها للمصلحة العامة ، يتحول المعنى الى جانب اجتماعى ، لأن الفرد فى هذه الحالة يكون هو المالك وهو المملوك .

٣ ـ ضبط الجماعة لعملية التوزيع : فعائد الانتاج أو ربحه أو دخله يجب أن يوزع على جميع العاملين على أساس العدالة الاجتماعية ، وليس من حق فرد أيا كان أن يستأثر به دون الآخرين، ليتحرر المواطنون من الحاجة ، ولذلك كان الأجر في النظام الاشتراكي على أساس الانتاج بحد أدنى لا يهبط دونه ، أما الاجر في النظام الرأسمالي فالحد الأدنى هو الذى يرضى به العمال ، بعد أن يستخدم معهم الرأسمالي كل وسائل الضغط والتهديد .

٤ ـ ضبط الجماعة لعملية الانتاج : لأن الانتاج عملية اجتماعية يجب أن تشرف على ادارتها الجماعة .

٥ ـ زيادة الانتاج الى أقصى حد مستطاع : لاسعاد عامة الشعب ورفع مستوى المعيشة بزيادة الانتاج كما وكيفا حتى يتوافر ما توزعه توزيعا عادلا على الأفراد ، وحتى تتسع دائرة المشاركة الشعبية في الانتفاع ، وتزداد القدرة الشرائية للمواطنين كي تجد الطاقة الانتاجية مسرحا متسعا لها .

٦ ـ الدولة أداة انتاج وأداة ضبط وعدالة : ان الدولة وكيلة الجماعة ، وهى تعمل على زيادة الانتاج ، وهى التى ترد مكاسبها الى أفراد الجماعة على صورة ربح أو على صورة أجور عادلة ، وتعمل الدولة على فتح آفاق صناعية جديدة ، لأنها هى التى تستطيع أن تتحمل خسائر المشروعات الناشئة فى بدئها .

٧ ـ قيام الانتاج على أساس التخطيط : لأن الأهداف لاتتحقق الا اذا وضعت لها الخطط المؤدية اليها ، ولذلك تضع الدولة تخطيطا دقيقا للتنمية الاقتصادية والانتاج بأنواعه ، والدولة تعرف حاجات الشعب وتعرف امكانياتها الاقتصادية من الموارد والكفايات ، وتعمل على معرفة حاجات السوق والتخطيط عملية ذكية ، لانه يوصل الى الأهداف المرتقبة عن طريق الجهد المنظم الهادف ، والدولة لا تستطيع أن تترك الميدان الاقتصادى عشوائيا تتنازعه نزعات الأفراد وجشعهم ، والتخطيط يقوم على أساس حقائق الموقف ، وعلى أساس القدرة الانتاجية والقدرة الاستهلاكية ، وحاجات الأسواق الممكنة ، فلا تنتج الكماليات قبل الضروريات ، ولا السلع اللازمة للخاصة

قبل السلع اللازمة للعامة ، فالتخطيط هو دراسة الحاجات ودراسة الامكانيات ودراسة الاسواق ، وحصر للامكانيات وتحديد للأهداف ورسم للوسائل التي تحقق هذه الاهداف •

٨ ـ تشجيع دوافع العمل عند الافراد : لابد من تشجيع دوافع العمل والاشتراكيه تؤمن مستقبل العامل وتحرره من الخوف على مستقبله ، فهي تلجأ الى وسائل انسانية في حفزه على العمل ، كتقليل ساعات العمل ، واشراكه في الربح بقدر انتاجه ، وجعل الأجر على قدر الانتاج ، وغير ذلك من الدوافع التي تنبعث من نفس العامل ، وكلها دوافع انسانية ، والأمر على خلاف ذلك في الشيوعية فهي التي تملك وسائل الانتاج ، وبذلك يقع العمال في عبودية ربما كانت أقسى من عبودية الرأسمالية وهي عبودية الدولة

(١) ولكي يستقيم للفكر الشيوعي الاعتداء على هذه القيم الانسانية اعتمد أصحابه على الغاء كل ما في التراث الانساني من قيم تمجد الانسان وحقوقه في الحياة ، وبخاصة الدين ، فالشيوعية لا تعترف بالدين ، وتعتبره أداة تخدير للشعوب ، وعبارة كارل ماركس المشهورة « الدين أفيون الشعوب » أي الوسيلة التي يخدر بها الحكام الشعوب ، ليسهل عليهم استغلالها والسيطرة عليها وهو أقوى دليل على زعمهم واعتقادهم المريض • وكذلك تلغي الشيوعية كل القيم الروحية والدينية ـ ولا تهتم الا بالمادة ، وتعتبر أن وسائل الانتاج والعوامل الاقتصادية ، هي التي تخلق الثقافات والقيم والعادات والفكر والفنون •

(٢) ومن الناحية السياسية نرى الشيوعية لا تعترف الا بسيادة حزب واحد لا يشمل كل المواطنين وانما يضم نسبة قليلة جدا منهم ، هي التي تحتكر الحكم ، ثم ان الذي يحكم هم العمال دون غيرهم ، ومعنى ذلك أن الشيوعية التي قامت لتحارب الطبقية اعترفت بالطبقية ، وغلبت طبقة اجتماعية على طبقات أخرى •

(٣) الاشتراكية الشرقية أو الشيوعية تلغي حق الارث وتعتبره أساس الرأسمالية الفاسدة •

(٤) الشيوعية تلغى الطبقات وتؤمن بمجتمع لا طبقى يتألف من طبقة واحدة هم المنتجون ٠

(٥) الغاء الملكية الخاصة الغاء كليا ٠

(٦) تؤكد الشيوعية سيادة طبقة العمال ، وترى فى حكومتهم الحكومة الشرعية دون غيرها من الحكومات ٠

(٧) لاتلغى الاشتراكية العربية حق الارث الشرعى كما هو الحال فى الشيوعية ٠

هذه هى أهم الفروق التى تميز الاشتراكية العربية عن الشيوعية ، وفى ختام حديثنا عن الاشتراكية نترك الحديث لعلم هذه الاشتراكية ورائدها الذى يقول : ان الثورة عمل ايجابى جذرى لتغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى وطن من الأوطان من الحال التى هو عليها فعلا الى الحال التى يجب أن يكون عليها ٠٠٠ ان الثورة الأصيلة لا تقوم ولا تؤتى ثمارها الا حيث تكون هناك حاجة ماسة اليها فى المجتمع الذى يقبلها كحل أخير لتحقيق أمانيه وآماله ٠٠ ان مئات السنين من حكم الاستعمار وسيطرة الأجنبى وطغيان الاقطاع قد خلقت أوضاعا اجتماعية ورثناها ، وهذه الأوضاع تشكل الآن العقبة فى طريق اعادة بناء المجتمع ٠ ان هناك قلة من الناس ورثوا المال ارثا ، وورثوا النفوذ ارثا وورثوا احتكار حق الحياة ارثا ، وهناك كثير من الناس ورثوا الفقر ارثا ، وورثوا الجهل ارثا وورثوا المرض ارثا ، قلة تمثل الغنى ، لأنها ورثت الغنى ، وكثرة تمثل الحاجة لأنها لم ترث غيرها ٠

ومعنى ذلك أن قلة تمثل القوة وهى قلة حاكمة ، وكثرة تمثل الضعف وهى كثرة محكومة ، وقلة تفرض الاستغلال وكثرة تتعرض له ، على أنه ينبغى أن يكون التغيير الجذرى هنا ليس مجرد اعادة التوازن بين الذين ورثوا والذين لم يرثوا فيما نملكه الآن من وسائل الانتاج ، وانما التغيير الجذرى أن تتاح لنا وسائل جديدة للانتاج ، واذا كنا ننادى بأن نقلل الفوارق بين المواطنين فانه يجب أن نؤكد أن معنى ذلك هو ضرورة البحث عن آفاق أرحب ومجالات للعمل أوسع ٠٠ أن الاتحاد القومى ليس حزبا لأصحاب المال وحدهم ، وليس

حزبا للعمال وحدهم ، وليس حزبا لملاك الأرض وحدهم ، وليس حزبا للأجراء وحدهم ، وليس حزبا للذين ورثوا وليس حزبا للذين لم يرثوا ، وليس حزبا لطبقة ، وليس حزبا لجماعة ، وليس حزبا لفرد ، انما هو تنظيم لوطن بأكمله بلا تمييز وبلا تفرقة ٠٠ وهكذا نبرز القيادات الشعبية الوطنية من بين صفوف الجماهير لكى تتحمل مسئولية تطوير وطنها وتخلق له إحتياطيا من البشر يزيد أهمية على ما تملك من أرض ومن مصانع وأموال ٠٠٠ واذا ما استقر الحكم للشعب فلن تكون هناك احتكارية للذين ورثوا وحدهم وانما حياة كريمة لا حقد فيها ولا حسد ٠ »

وهكذا يتضح لنا أن الاشتراكية ثورة طبيعية فى طريقها . وموضوعية فى منهجها ، وسلمية تسالم من يسالمها ، وتعادى من يعاديها ٠ لا تعادى دين مجتمعنا الذى قامت فيه بل هو لها ركيزة وعماد ، وما أخذت لنفسها من معنى التعاونية بجانب الاشتراكية يجعل التلاؤم بينها وبين دين المجتمع تاما ، اذ الاسلام لا يريد فردا كريما حرا فقط ، وانما يريده فردا متعاونا ٠ والمجتمع الاسلامى هو مجتمع تعاونى « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ٠

ان هذه الثورة لا يشك فيها الا كل حاقد ، ولا يتخلف عن اتباعها الا كل متخاذل ضعيف ٠

الباب الثالث

التعاون

التعاون فطرة فطر الله الانسان عليها :

التعاون ظاهرة وجدت منذ أن وجد الانسان مع الارض ، اذ لا يمكن أن تكون هناك حياة بدون تعاون . والتعاون صفة غريزية فى كثير من الكائنات الحية ، ولا سيما الانسان الذى خصه الخالق بميزة العقل والقلب ، ونحن اذا نظرنا الى أبسط السلع التى نستعملها فى حياتنا اليومية ، نجد ان صنعها قد تم عن طريق تعاون عدد كبير من الأفراد والهيئات المتعاونة ، والامثلة على ذلك لا تقع تحت حصر : فالخبز مثلا تعاونت على انتاجه أيد كثيرة كالزارع والتاجر الذى اشترى القمح وباعه الى المطحن الذى طحنه وباعه دقيقا ، ثم هناك الخباز ثم هناك الوسيط الذى اشتراه وتولى بيعه لنا .

وهذا النوع من التعاون غير مقصود ، اذ ليست هناك اية رابطة تربط بين اطرافه وليس ثمة معرفة تجمعهم ، فقد تعاون هؤلاء الأفراد على انتاج الرغيف بحكم نوع النشاط الذى يمارسه كل منهم حتى يمكنه أن يكسب عيشه ، وهناك أمثلة كثيرة لمظاهر التعاون غير المقصود تبدو فى مظاهر النشاط بين سكان القرى ، فالأعمال الجمعية كبناء جسر أو شق طريق أو اصلاح قنطرة ، ما هى الا ضرب من ضروب التعاون والعمل الجمعى غير المقصود ، كذلك تبادل العمل فى الريف ومساعدة الفلاحين بعضهم لبعض فى أعمال الرى والحرث والتسميد ، ومظاهر المواساة وعيادة المرضى وتحمل أعباء الكوارث التى تحل بالفلاح كموت مواشيه او حرق زرعه ... ما هى الا ضرب من ضروب التعاون غير المقصود .

التعاون المقصود :

أما التعاون الذى نعنيه بالدراسة والبحث فهو ذلك النوع المقصود المدروس الذى يجىء نتيجة الاتفاق بين أفراد معينين يتجهون وجهة معينة ، وفقاً لنظام معين هو الذى نطلق عليه النظام التعاونى ، وهو يسير على حسب مبادىء وقواعد عامة ، ويخضع لتشريع رسمى محدود .

الفصل الأول

تعريف التعاون

يعرف التعاون « بأنه شكل من أشكال التنظيم ، يرتبط فيه جماعة من الناس ارتباطا اختياريا بوصفهم أناسا على أساس المساواة ، لتحسين أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية » .

ويتضمن هذا التعريف المبادىء الرئيسية للتعاون باعتباره رابطة بين الناس بوصفهم أناسا وليس رابطة بين أصحاب رءوس الأموال ، وتراعي فى هذه الرابطة المساواة فى الحقوق والواجبات، وان هذا الارتباط يتم اختياريا ، وان لهذه الرابطة أهدافا تجمع بين مصالح الأعضاء ، ويتطلب بلوغها مساهمة كل واحد منهم ، والتعاون لغة ينحصر معناها فى تبادل المساعدة أو تبادل المعونة ، اما التعاون من حيث هو نظام فمعناه تجمع عدد من الأفراد حتى يتمكنوا بارتباط بعضهم مع بعض من الحصول على منافع لا يمكنهم الحصول عليها فرادى ، ومن المعروف أن من يشتغل على نطاق كبير يستفيد أكثر ممن يشتغل على نطاق ضيق ، فالشراء بالجملة ارخص من الشراء بالقطاعى ، وكذلك تكاليف النقل لكميات كبيرة اقل من تكاليف النقل لكميات صغيرة ، والغرض من التعاون هو تمكين الرجل الذى لا يملك الا كمية صغيرة من أن يبيعها أو يجهزها أو ينتجها أو ينقلها بسعر الجملة ، عن طريق العمل الجماعى .

والتعاون يبدأ من المنتج البعيد عن السوق فينظم هو ورفاقه جمعية تعاونية ، ثم ينتظم عدد من الجمعيات فى اتحاد وينتظم عدد من الاتحادات فى اتحاد عام ، على أن يكون التنظيم فى كل مرحلة من هذه المراحل ديمقراطيا يحافظ على حرية الفرد ويعززها بأجهزة العمل الجماعى ، والتعاون معناه تبادل المنفعة ، والمنفعة لاتكون الا بالعمل ، فالتعاون لا يمكن أن يقدم مساعدة للفرد الذى يجلس مكتوف الأيدى ، وينتظر من الحكومة أو من غيرها أن تحل

مشكلته ، والتعاون يتخذ أشكالا كثيرة ولكنه فى كل شكل من هذه الأشكال ، يتطلب أن يبذل الأفراد مجهودا لتحقيق أهداف الجماعة كلها ، وهناك أشخاص كثيرون تتوافر فيهم سمات النشاط والهمة ولكنهم عاجزون عن استخدامها لنقص امكانياتهم أو خبراتهم أو لنقص تنظيمهم ، وهؤلاء الناس يمكنهم الافادة من التعاون أعظم فائدة ، واذا توافرت النية الصادقة والاخلاص آتى التعاون أطيب الثمرات ، ومن أمثلة ذلك :

جماعة رواد روتشديل :

وهى جماعة كانت مكونة من ٢٦ فردا من النساجين الفقراء الذين تزودوا بالاخلاص والتصميم فنجحوا ، واصبحت جماعتهم بداية للعمل الضخم الذى تتولاه الحركة التعاونية فى بريطانيا ، كما أصبحت قدوة لمنظمات أخرى فى شتى أنحاء العالم ، وعملها برهان ساطع على الامكانيات غير المحدودة التى ينطوى عليها العمل التعاونى المشترك .

ومن الأمثلة على اتيان المنظمات التعاونية بالمعجزات اتحاد الجمعيات التعاونية فى ايطاليا فقد استطاع اتحاد بعض الجمعيات التعاونية التى تضم عمال الطرق والجسور والنجارين وصناع الطوب والبنائين والنقاشين فى شمالى ايطاليا ، من انشاء خط حديدى بين فلورنسا وبولونيا ، وانشاء نفق يزيد طوله على ١٨ كيلو متر ، واستخدموا المهندسين الكبار ودفعوا لهم المرتبات . وفصلوهم بعد الاستغناء عنهم ، هذا مع أن عمال هذا الاتحاد كانوا من العمال البسطاء ، الذين لا يعرفون القراءة والكتابة .

ومن الأمثلة على نجاح الجمعيات التعاونية نجاحا باهرا جمعية التسليف فى البنجاب ، فقد أنشئت جمعية للتسليف فى البنجاب بشمالى الهند، ولم يكن من بين أعضائها عضو واحد يعرف القراءة والكتابة ، ولكنهم كانوا يتمتعون بذاكرة قوية ، فكانوا يمنحون القروض ويحددون مواعيد لسدادها فى منتهى الدقة ، وهكذا ثبت من هذه التجارب نجاح التعاون على شتى صورة ومختلف اشكاله فى رفع مستوى المعيشة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

نشأة التعاون فى العالم :

لقد حدث انقلاب عظيم فى أساليب الزراعة والصناعة فى العالم ، ولهذا ساءت حالة العمال ، فدعا هذا بعض المصلحين الى التفكير فى وسيلة للأخذ بيد هذه الطبقة العاملة ، فلم يجدوا أكثر من نظام التعاون صلاحية لانقاذ هذه الطبقة وتحسين حالها ، ولقد جاءت التجارب محققة لتعاليم هؤلاء المصلحين ، فلقى نظام التعاون نجاحا مطردا حتى عم انتشاره فى أكثر الدول . وبلغ عدد الجمعيات التعاونية فى العالم نحو ٨٠٠ الف جمعية يندمج فى عضويتها أكثر من ١٥٠ مليون عضو .

الدعوة الي التعاون :

التعاون سمة خلقية محمودة ، ونشاط اجتماعى طيب الأثر وهو سبيل المجتمع الى التقدم والرخاء ، فهو دعوة اجتماعية مباركة ، وهو طبيعة انسانية نبيلة ، يؤدى الى خير الفرد والجماعة على حد سواء ، ويؤدى الى زيادة التماسك الاجتماعى والترابط بين افراد المجتمع ، نتقوم علاقات اجتماعية وثيقة بين اعضاء المنظمة التعاونية ، ولذلك حثت عليه جميع الاديان السماوية ؛ فالاسلام يدعو الناس الى التعاون والتآزر والاتحاد والوحدة والتماسك .

دعوة الاسلام الى التعاون :

يقول الحديث الشريف «الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه» ويقول الرسول عليه السلام أيضا « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» ويقول الله تعالى فى محكم التنزيل : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»

والحمد لله الذى فطر الناس على التعاون ، فخلق آدم وخلق حواء من آدم وجعل منها زوجة تتعاون معه ، وجعل منهما رجالا ونساء كثيرين ، ويقول الله تعالى : « يأيها الناس ان خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

وهذا دليل معجز على أن البشرية منذ الأزل والى الأبد،

ثمرة تعاون بين آدم وحواء . ولقد أكرم الخالق الانسان بهديتين هما : العقل والقلب ، وجعل التعاون يتمشى معهما ويتجـاوب مع العقل والعاطفة . ولما كان الله قد فطر الانسان على التعاون . فقد وجب فرضه فى كل زمان ومكان ، وتعهده بالتشريع الحكيم والتنفيذ الحازم الأمين ، واذا فعلنا ذلك جعل التعاون حياتنا سعادة ، وأبعدنا عن روح الأنانية وحمانا من الفوضى والانحلال .

ولقد كان التعاون قبـل الثورة المباركة فاسـدا من حيث التشريع والتنفيذ .

وقد أسيء اليه أيما اساءة فى تطبيقه وفى كيانه ، فكان مطية الاقطاع والمرابين والثراء الحرام ، وكان التعاونيون في مصر ضحايا الابتزاز والاستغلال حتى نفد صبرهم كما ضاق بالتعاون صـدر المجتمع المصرى ، فكانت ثورته الكبرى فى ٢٣ من يوليو عام ١٩٥٢ هى الفيصل بين حياتى الشعب فى الظلام والنور .

وفى الحض على التعاون فى الاسلام يقول رسول الله « والذى نفس محمد بيده لا يكتمل ايمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ويقول أيضا « ما التقى مؤمنان الا وأصاب أحدهما من صاحبه خيرا » وحديثه الشريف « مثـل المؤمن المؤمن كاليدين تغسل احداهما الاخرى » واذا نظرنا الى أهمية التعاون نجدها واضحة فى صلاة الجمعة ، وفى صلاة العيدين وفى أداء فريضة الحج حيث لاتتم بدون الجماعة ، والحكمة فى ذلك أن يتعـارف الناس الذين خلقهم الله من أب واحد وأم واحدة وجعـل منهم شعوبا وقبائل لتتعاون . ويتحقق بقاء الجماعة والمحافظة على كيانها وتماسكها .

ومن هذا النبع الطيب تستقى شجرة التعاون فى مصر ، فنظام التعاون ليس مجلوبا من الشرق ولا مستوردا من الغرب ، ولكنه نظام التعاون كما يريده الله ورسوله ، انه ذلك التعاون الذى ربط بين قلوب نفر من أبناء مصر المخلصين فأثمر هذا الرباط المقدس ثماره يوم ٢٣ من يوليو عام ١٩٥٢ ولم تـكن هذه ثورة واحدة ، ولكنها كانت ثلاث ثورات : ثورة سياسية من أجل الحرية ، وثورة اقتصادية من أجل الرخاء ، وثورة اجتماعية من أجل العدالة .

ولهذا قام الحكم المصرى الرشيد على دعامتين هما : الكفاية والعدل ، أوهما الانتاج والخدمات وأن التعاون هو الأداة السليمة السريعة لتحقيق جميع المصالح الاجتماعية والاقتصادية ، والتعاون سبيل القوة والمنعة • ولقد صدق رسول الله حين قال « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» •

وترعى حكومة الثورة الحركة التعاونية وتأخذ بيدها ، فنصت المادة ١٦ من دستور الشعب على مايلى : « تشجع الدولة التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » ولقد كان الاقطاع قديما مسيطرا على التعاون وحرم رقيق الارض فوائده ، ولذلك جاء القانون الجديد متحاشيا العيوب التى كانت موجودة فى قانون عام ١٩٤٤ ، وجاء التشريع الجديد مرنا مستجيبا لكل رغبة صادقة فى التعاون . ثم انه جاء حلا لجميع مشكلات التعاون ، وشاملا للأهداف والوسائل والمبادىء ، ولقد طبقت الدولة نظام التعاون فى مزارعها بأراضى الاصلاح الزراعى ، وأقامت جمعية للائتمان الزراعى فى كل قرية ، ثم بدأ الجيل الجديد ينشىء الجمعيات التعاونية المدرسية ، لكي يتعود النشء على ممارسة التعاون ، وعلى الروح التعاونية ، ويقتنع بمزايا التعاون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

والتعاون هو هذا الساحر القادر على حل جميع المشكلات فى كل بلد فقير ، ومصر بحمد الله ليست بالبلد الفقير ، ولكنها لم تستثمر مواردها الطبيعية بعد ، فهى مازالت بكرا فى ميادين التوسع الزراعى والصناعى والتجارى والمالى .

ونظام التعاون لا يقوم على الانطواء ، وانما هو يزحف زحفا مقدسا نحو حياة أفضل ، ويقول السيد حسين الشافعى مخاطبا التعاونيين فى مصر « لا ينجح التعاون ولا يؤدى رسالته كاملة مالم يتحمس كل عضو لجمعيته ، ومالم يحرص على التعامل معها ، ويكون أشد حرصا على حضور جلساتها ، ثم يتحمس للفكرة التعاونية ، ويدعو اليها وينشرها بين الناس ، ويجب أن نؤمن بقدرة التعاون على تحطيم الاستغلال والاحتكار والأنانية ، وقدرته على بناء مجتمع سليم متعاون » • ومن مظاهر ازدهار الحركة التعاونية فى مصر أن يبلغ التعاون فى ميدان البترول مبلغا عظيما ،

ولقد بدأ التعاون يزحف على إسهم شركة السكر ، وتزاحمت الجمعيات التعاونية على شراء أسـهم بنك التسليف الزراعى التعاونى ليكون بنكا تعاونيا .

ولقد حقق التعاون انتصارات هائلة فى السنوات الأخيرة ، ويحضنا الله على التعاون وعلى البر والتقوى ، والبر هو تحقيق الخدمات المشروعة للتعاونيين ومن يلوذ بهم ، والتقوى هنا هى الخشية من الله فى التعامل ، وهى الرحمة التى يجب أن تشيع بين أرجاء المجتمع التعاونى .

ضرورة التعاون فى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية

لقد أدركت الدول المتقدمة ما للتعاون من أهمية كبرى وأثر بالغ فى رفع مستوى المعيشة ، فأولته اهتماما كبيرا وعناية خاصة، حتى توطدت أركانه ، وتغلغل فى شتى نواحى الحياة ليخدم الناس ويحقق لهم عيشا أفضل ومستوى أكرم . ولقد خطا التعاون خطوات واسعة فى سبيل اسعاد المجموع ، ولم يعد مجرد نظام اقتصادى فحسب ، بل أصبح دعامة من دعائم النظام السياسى فى كثير من الدول ، كما أصبح أسلوبا للحياة يدعو اليه ويحض عليه . ويعمل رواد الثورة المباركة على النهوض بالحركة التعاونية وللتعاون دوره الخطير فى تحقيق أهداف برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ولا شك أن الدول المتخلفة تسعى الى الأخذ بسياسة التنمية الاقتصادية ، وتهدف الى تنمية الموارد الطبيعية والبشرية واستخدامها فى الانتاج حتى تزيد فيه بأكبر قدر ممكن يؤدى الى رفع مستوى المعيشة .

وتمتاز فوائد التعاون بصفة العموم ، ذلك لان مبدأ الباب المفتوح يؤدى الى أن تشمل الخدمات التعاونية الوطن من أقصاه الى أقصاه مادام الباب مفتوحا لكل من يرغب فى الافادة من مزايا التعاون وكل من يقتنع بفوائده الجليلة .

كما أن خدمات التعاون تمتاز بالاستمرار ، ذلك لأن الأعضاء الجدد يستفيدون من الأعضاء القدامى ، ومن خبراتهم ، ومن الجمعيات التعاونية ، التى سبق أن تكونت من قبل ، ومما أكتسبته من خبرة تنظيمية وادارية وانتاجية وتجارية .

ولكن لابد لنجاح التعاون من تربية الأفراد تربية تعاونية وتبصيرهم بفوائد التعاون واسسه ومبادئه ، كما أنه لابد له من توافر الموارد المادية والبشرية ، فاذا توافرت هـــذه العوامل فان التعاون يعمل على زيادة الدخل القومى ، ويهيىء للمنتجين جميـــع الظروف المواتية لتحسين الانتـــاج كيفا وكما ، وكما أنه يهيىء لهم أنسب الظروف لتسويق هـــذه المنتجات بطريق امداد الاعضـــاء بخامات انتاجهم وأدوات الانتاج • ثم ان الجمعيات التعاونية أيضا تمد أعضاءها بالنصح والارشاد ، وبأحدث الاساليب العلمية فى الزراعة ، وفى استخدام الآلات ، وفى تنويع المحصولات واتباع القوانين الزراعية ، كما تمدهم بالأسمدة الجيدة ومبيدات الآفات. وفى ميدان الصناعة تمدهم بالخامات اللازمة لانتاج صناعاتهم ، وبالآلات ،وتهيىء لانتاجهم الفرصة المناسبة للبيع بأسعار معتدلة ، ثم انهـــا تشترط وصول انتـــاج أعضائها الى مستوى مرتفع من الدقة والجودة ، وهذا يؤدى الى هبوط تكاليف الانتـاج ، وزيادة الغلة ، وكل هذا يؤدى بدوره الى زيادة الدخل القومى •

الفصل الثانى

تاريخ الحركة التعاونية فى مصر

النزعة التعاونية فى مصر قديمة قدم قدماء المصريين، ولقد ثبت ذلك من كتاباتهم على أوراق البردى والنقوش الموجودة على آثارهم، وتدل هذه الآثار على مدى ادراكهم لفائدة التعاون .

ولقد وجدت شركات التعاون فى الانتاج، وكانت تضم جماعات من العمال الفقراء الذين تضطرهم مهنهم الى أن يشتركوا مع غيرهم الحصول على معاشهم، وكان أساس هذا التعاون بذل المعونة والاحسان للفقراء وحمايتهم من الاقوياء، وذلك لتوطيد دعائم العدل، ولتبادل المعونة والفائدة عن طريق اشتراك مجهودات العمال أنفسهم، ولكن التعاون بمعناه الاصلاحى لم يظهر فى مصر الا منذ ٥٠ عاما فقط برغم ظهور الحركة التعاونية وانتشارها فى كثير من دول العالم منذ أكثر من ١٠٠ عام ومع ذلك لم تشعر مصر بحاجتها الى التعاون الا حين ساءت أحوالها الاقتصادية فى الزراعة والصناعة والتجارة قبل ١٩٠٧ :

أ — ففى ميدان الزراعة ساءت أحوال الفلاح الى درجة كبيرة، نظرا لعدم وجود مصارف زراعية تعاونية تمده بحاجته الى القروض، ولعدم امكانه بيع محصولاته وشراء حاجاته بأثمان تتناسب مع ما يبذله فيها من جهد، فكان الفلاح المصرى يضطر الى الاستدانة بالربا الفاحش من المرابين الاجانب . ولم يكن نظام الاقراض من المصارف الاجنبية بأحسن حالا من المرابين، فقد كانت شروط الاقراض مجحفة، وفوائدها باهظة . وأدت هذه الطرق الى سوء حال الفلاح المصرى والى نزح أموال المصريين الى خارج البلاد .

ونتيجة لهذا أيضا ارتفعت قيمة الرهونات العقارية من ١٥٠ الف جنيه فى عام ١٨٧٦ الى ٧ ملايين جنيه عام ١٨٨٣، وكانت

هذه الديون بفوائد باهظة تبلغ ٣٦٪ سنويا . واستفحل الضرر وغرق الفلاحون فى الديون ، وبسبب القروض المجحفة هدم الاقتصاد المصرى وافلاس كثير من الفلاحين وبيع أراضيهم ، فقد كان للبنوك الحق المطلق فى بيع الضمان اذا حل موعد الدفع بغض النظر عن الظروف التى تحيط المدين ، ونظرا لحاجة الفلاح الى الأموال لسداد ديونه للبنوك فانه كان يضطر الى بيع محصولاته بأرخص الأثمان الى وسطاء من الاجانب ، وكان هؤلاء الوسطاء يستغلون جهله بالأسعار وبأحوال السوق وعدم معرفته الوقت المناسب للبيع .

٢ - أما فى ميدان الصناعة فانها لم تحظ بأية عناية من الأهالى أو الحكومة نظرا لجهل الأهالى . ولم تشجع الحكومة الصناعة الوطنية لكى يحتكر المستعمر السوق المصرية ويغرقها بالبضائع الاجنبية ، وأدى ذلك الى أن معظم السلع كانت تستورد من الخارج عدا بعض الصناعات الاستهلاكية البسيطة والصناعات اليدوية البسيطة حتى تظل مصر سوقا رائجة لتصريف منتجات المستعمر الذى جعل منها مزرعة تزود مصانع لانكشير بالقطن على حساب شقاء الفلاح المصرى . وأشاع الاستعمار خرافته المعهودة وهى أن مصر بلد زراعى وزراعى فقط ، ولا تقوى على الصناعة ، ولكن قادة الثورة حطموا هذه الأسطورة وأقاموا صناعات شامخة .

٣ - وفى الميدان التجارى كانت مصر مخزنا لانتاج القطن لانجلترا ، وكانت اقتصاديات البلاد متوقفة على الاستيراد من الخارج ، وكانت التجارة الداخلية فى يد الاجانب . وفى عام ١٩٠٧ حلت أزمة اقتصادية بالبلاد ضيقت الخناق على المصريين ، فقام نفر من أبناء مصر المخلصين وعلى رأسهم المرحوم عمر لطفى بالعمل على نشر الحركة التعاونية ، وبدأ دعوته بطريق المحاضرات فى مختلف المدن المصرية موضحا مزايا التعاون وفوائده ، حاضا على تكوين نقابات زراعية ، وكان فى رأيه أن قيام نقابات زراعية يحل الكثير من مشكلات الفلاح المصرى فوجه عنايته على وجه خاص لتكوين نقابات زراعية للتسليف الزراعى حتى يمكن عن طريقها انقاذ الفلاح من أيدى المرابين سواء أكانوا أفرادا أم مصارف أجنبية .

ولقد عضدت الجمعية الزراعية عمر لطفى فشكلت لجنة من الاخصائيين عام ١٩٠٩ لدراسة النقابات الزراعية واختيار أحسن النظم الملائمة لها واكثرها صلاحية لمصر ، ولقد انتهت اللجنة من الدراسة باختيار نوعين من التعاون :

(أ) النقابات الزراعية لشراء حاجات الزراع وبيع محصولاتهم

(ب) صناديق التسليف لاقراض الفلاحين مايحتاجون اليه من النقود حتى لايضطروا الى بيع محصولاتهم بثمن بخس ، واقترحت اللجنة قانونا للتعاون فى مصر كما اقترحت تكوين لجنة مستديمة للعمل على تنشيط الحركة التعاونية .

وبرغم اهمال الحكومة لتوصيات هذه اللجنة فان هذا الاهمال لم يضعف من عزم عمر لطفى ، واخذ فى انشاء النقابات الزراعية والشركات التعاونية بنفسه ، وكان يهدف الى :

(١) تأسيس شركات للتعاون المالى بالمدن لكى تقوم بتسليف الصناع والتجار وأصحاب الحرف .

(ب) تأسيس نقابات زراعية فى القرى لتسهيل الحصول على حاجات الفلاحين والعمل على بيع محصولاتهم واقراضهم ما يحتاجون اليه من مال .

(ج) شركات للتعاون المنزلى لمساعدة المستهلكين فى الحصول على بضائع جيدة بثمن معقول .

ولقد عمد عمر لطفى الى تسميتها شركات ونقابات حتى يتغلب على صعوبة اصدار قانون للتعاون ، واستطاع عمر لطفى **أن يحقق** بعض أهدافه بعد كفاح مرير

وهذه الأهداف هى :

(أ) تأسيس التعاون المالى بالقاهرة عام ١٩٠٩ للاقراض التعاونى لاعضائها .

(ب) أسس عدة نقابات زراعية لمد اعضائها بالبذور والأسمدة

وأدوات الزراعة وبيع حاصلاتهم وتقديم القروض اللازمة لهم ، وكانت أولى هذه النقابات هي نقابة شبرا النملة ، ثم توالى انشاء نقابات أخرى حتى بلغ عددها عام ١٩١٩ احدى عشرة نقابة..

وتوفى عمر لطفى عام ١٩١١ فى وقت كانت البلاد فى أشد الحاجة الى خدماته ،وتولى أخوه المرحوم احمد لطفى تأسيس نقابة عامة للتعاون المنزلى الزراعى عام ١٩١٢ وكانت تهدف الى توحيد التعاون بالبلاد ، وايجاد مكان مركزى له بالقاهرة يعمل على نشر الدعوة التعاونية وتوثيق العلاقات بين الشركات التعاونية، وفى عام ١٩١٤ فكرت الحكومة فى علاج لسوء حالة الفلاح ، فلم تجد الا التعاون ، فسنت قانون التعاون ، غير أن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون تنفيذ صدور هذا القانون .

وبسبب الحرب العالمية الاولى حدثت أزمة تموينية اجتاحت البلاد واضطرت الحكومة الى العمل على حلها ، فانشأت ١٧ شركة تعاونية منزلية بالقاهرة والاسكندرية وبعض عواصم الاقاليم الأخرى . وقد نجحت هذه الحركات فى تقديم الخدمات التموينية لاعضائها ، ثم انتهت الحرب العالمية الاولى وقام الشعب المصرى بثورته عام ١٩١٩ وفكرت الحكومة فى تحسين الأحوال الاجتماعية للشعب فسنت أول قانون للتعاون عام ١٩٢٣ ، وأخذت على عاتقها قيام التعاون وتشجيعه فأنشأت قسما خاصا للتعاون فى وزارة الزراعة ، واهتمت بتعليم الاهالى مبادىء التعاون وفوائده وارشادهم الى الاساليب التعاونية . ثم عملت على ايجاد مصدر لتمويل الحركة التعاونية غير بنك مصر وازدهرت الحركة التعاونية حتى وصل عدد جمعياتها فى عام ١٩٤٨ الى أكثر من ٢٠٠٠ جمعية ، ولكن هذا القدر كان ضئيلا بالنظر لاحتياجات البلاد من الخدمات التعاونية ، لقد كان التعاون فيما قبل الثورة متعثرا فى سيره لأسباب كثيرة منها عدم وجود هيئة عليا لتمويل الحركة التعاونية ، وعدم وجود هيئة تقوم بنشر التعاون وتعاليمه ومبادئه ،وتشرف عليه وتشجعه ، وعدم قيام الدولة بتشجيع الحركة التعاونية ، وعدم وجود تشريع سليم ينظمها ، كما أن حداثة عهد الاهالى بفكرة التعاون وانظمته أدت الى ضعف ايمانهم به واقتناعهم بجدواه ، ويرجع تخبط الحركة التعاونية الى تلاعب

القائمين بأمر الجمعيات كرفع أسعار السلع التى تبيعهـا الجمعية للحصول على عائد معاملات أكبر ، أو اسناد ادارة الجمعية الى شخص واحد غير موثوق بأمانته ، أو منح القروض الكبيرة لأشخاص معينين . ومن أجل هذا سادت فكرة ضرورة تدخل الدولة لمساعدة الحركة التعاونية فى مصر .

ولقد صدر القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ بشـأن تقرير الأحكام الخاصة بشركات التعاون الزراعية المصرية ، وهو أول قانون للتعاون عرفته مصر . على أن هذا القانون اهتم بالجمعيات التعاونية الزراعية ولم يهتم بالجمعيات التعاونية الاستهلاكية المنزلية . وفى عام ١٩٢٧ صدر القانون ٢٣ متسعا لانواع شتى من الجمعيات التعاونية ومنحها امتيازات أكثر مما كانت تحصل عليه فى ظل القانون السابق ، ونص على تكوين اتحادات عليا للجمعيات التعاونية لبحث الخطط العامة للحركة التعاونية . واعتمدت الحكومة مبلغا كبيرا من المال وأودعته بنك مصر لاقراض الجمعيات التعـاونية وفى سنة ١٩٣١ أنشىء بنك إنتسليف الزراعى التعاونى وعهدت الحكومة اليـه اقراض الجمعيـات التعاونية ، وفى عام ١٩٤٤ صدر القانون رقم ٥٨ لمكافحة الغلاء ، ونص فيه على تكوين جمعيات تعاونية منزلية ، وعلى اشراك الاهالى فى الجمعيـات التعاونيـة وادارتها . وفى عام ١٩٥٦ صـدر القانون رقم ٣١٧ مشتملا عـلى مزايا أوسع للحركة التعاونية ورعاية الدولة لها .

وتقوم وزارة الشـئون الاجتماعيـة الآن بالاشراف عـلى الجمعيات التعاونية وعلى الاتحادات التعاونية وارشادها كما تشرف على ادارتها وحساباتها وأرباحها وخسائرها وتمنح بعضها مساعدات مالية وفنية .

والحقيقة ان المنتجين والمسـتهلكين أصبحوا يعمدون الى الترابط والتآزر فى مكافحة جشع أصحاب رءوس الأموال الكبيرة ودرء اضرارهم بتكوين هذه الجمعيات ، والحكومة تساعدهم فى هذا السبيل بانشاء جمعيات تعاونية فى ظل تشريع وارف الظلال .

ان التعاون قديم قدم الانسان نفسـه ، فقد قضى النظام

الاجتماعي للحياة بأن يتعاون أفراد الأسرة الواحدة فى العمل لسد حاجاتهم المتعددة ، وذلك ، بتوزيع أنفسهم على فروع الانتـــاج المختلفة على حسب استعداد كل منهم ومقدرته وتخصصه ، ثم تكونت القرى والمدن ، وظلت كل طائفة من الناس تنتج نوعا من السلع ثم توسعت عمليات المقايضة والمبادلة ، وظهرت عمليات البيع والشراء ، وكان لابد من اشتراك مجموعات من الأفراد فى القيام ببعض أوجه النشاط الاقتصادى المتشابه سواء فى الانتاج أو فى الاستهلاك .

الفصل الثالث

روح التعاون فى المجتمع العربى الحديث

لقد قاسى العالم العربى ألوانا من الظلم والذل والفاقة حقبة طويلة من الزمان ، وذلك بسبب انعدام الروح التعاونية بين أبنائه وفقدان الألفة التى تجمع القلوب وتوحد الأهداف ، وتكون السد الذى يرد كيد الكائدين ومؤامرات الحاقدين والمستعمرين . هذا وان روح التعاون هى القوة التى تدفع الشعب ، كل الشعب ، الى طريق الخير والسعادة ، وتشد ما بين القلوب وتحدد الهدف نحو الكمال . ولقد جاءت الفلسفة العربية الحديثة متضمنه للمجتمع العربى استمرار التعاون وبذر بذور المحبة والاخلاص والوفاء والتعاون ومنع الاستغلال الطبقى ، واستعباد طبقة لحساب طبقة أخرى . جاءت بما يغلق الباب أمام الجشع المتأصل فى بعض نفوس الرجعية من سلب وسرقة ، ثم ان التعاون هو الوسيلة للحد من سيطرة رأس المال الفردى والاحتكار والاستغلال وخلق الروح التعاونية واشراك الشعب فى تحمل المسئولية وادارة شئون نفسه بنفسه .

ولا شك أن نظام التعاون نظام صالح لكل المجتمعات ولكل العصور ، فقد أثبتت التجربة نجاحه فى كل البلاد التى اتخذته أسلوبا للقضاء على مشكلاتها ، وهذه الروح يجب أن تنمى فى الأفراد حتى يكون الاشتراك فى الجمعيات التعاونية اختياريا ، كما يجب أن يكون الدافع الى تكوين الجمعيات التعاونية هو تبادل المنفعة مع الغير والمساعدة والمعونة فيما يعجز الفرد بمفرده عن تحقيقه بنفسه من صالح مادى أو معنوى يستطيع تحقيقه عن طريق التعاون مع زملائه . ولقد أثبتت التجارب الكثيرة فى مجال علم النفس الاجتماعى تفوق العمل الجمعى على الأعمال الفردية المنعزلة .

ثورة التحرير الكبرى والتعاون :

لقد اخذت الثورة المباركة عندما قامت يوم ٢٣ من يوليو عام ١٩٥٢ بيد التعاون ، وعملت على انعاشه والنهوض به ، وليس هذا فحسب ، بل أنها لم تعتبر التعاون مجرد نظام اقتصادى ، بل اعتبرته ركنا من أركان فلسفتها الاجتماعية ودعامة من دعائم نظامها السياسي ، واخذت تدعو اليه فى كل مكان وتبث روح التعاون فى نفس المواطنين ومالبثت أن أولت الحركة التعاونية نصيبا كبيرا من عنايتها ، فقررت فى دستور الحكم أنها ترعى التعاون وتشجع مؤسساته كما قررت على لسان رئيسها أن التعاون هو الذى تقوم عليه ثورتنا ، وعملت على تنشيط الحركة التعاونية عن طريق عقد المؤتمرات العامة الاقليمية ، وعدلت قانون التعاون بما يتمشى مع النهضة الجديدة فى البلاد ، وبما يقضى على عيوب القانون السابق ، وأصبحت تهدف الى خلق مجتمع تعاونى .

ولقد كان التعاون فيما قبل الثورة مطية الاقطاع للثراء الحرام والربح الفاحش ، فاستغل الاقطاعيون نفوذهم الاجتماعى والاقتصادى وسيطروا على نشاط الجمعيات التعاونية ، واحتكروا فوائدها وخيراتها وحصلوا على القروض الكبيرة منها ، وسيطروا على ادارتها وحرموا اياها صغار الزراع الذين أنشئت الجمعيات التعاونية خصيصا للنهوض بمستواهم الاجتماعى والاقتصادى . ولهذا تنبهت حكومة الثورة فحرمت الانضمام الى الجمعيات التعاونية الزراعية التابعة للاصلاح الزراعى على من يملك أكثر من خمسة أفدنة . ونص قانون الاصلاح الزراعى على أن تتكون جمعية تعاونية زراعية ممن آلت اليهم الارض الزراعية فى كل قرية وكذلك من لايملكون أكثر من خمسة أفدنة لتمكين الفلاح من الافادة بمزايا الانتاج الواسع ، وحدد القانون ملكية العضو حتى لا يدخل الجمعية الأثرياء ويستأثروا بفوائد التعاون ويحيلوه الى استغلال ، ويحتكروا فوائده فيشتروا الاسمدة والتقاوى بالاسعار المعتدلة ، ويحرموها الفقراء . ويمكن تلخيص مظاهر رعاية الحكومة للحركة التعاونية فيما يلى :

١ ــ قامت الحكومة بنشر التعاون ورعايته وحمايته الى

جانب حيدتها حياله ، فلا تتدخل فى نشاط الجمعيات وتسخرها لارادتها .

٢ ـ تقوم الحكومة بنشر الدعوة التعاونية كاملة .

٣ ـ أصدرت التشريع السليم الذى يحمى التعاون .

٤ ـ مولت الحركة التعاونية بالفوائد المعتدلة بشرط استردادها .

٥ ـ منحت الحركة التعاونية بعض الامتيازات فى سنيها الأولى .

٦ ـ توجهت لارساء القواعد الديمقراطية السليمة، والتعاونية الصحيحة ، وبعثت التقاليد التعاونية الصحيحة .

٧ ـ اختصت الحركة التعاونية بالاعفاءات الجمركية والضريبية وقدمت المعونات المالية والخبرات الفنية وفضلت الجمعيات فى تعاملها مع الحكومة على الافراد والهيئات الأخرى وأعفتها من رسوم القيد .

ولقد أولت حكومة الثورة الحركة التعاونية عنايتها الخاصة ، فأصدرت قانون التعاون الجمهورى رقم ٣١٧ من أجل الانعاش الاقتصادى فى مصر ، ومن أجل تصنيع الريف ، ومن أجل اقامة التعاون على أساس شعبى ، ومن أجل الاصلاح الزراعى والتوسع الزراعى ، ومن أجل تحقيق ديموقراطية التعاون ، ومن أجل خلق طبقة من القادة المحليين ، ومن أجل وحدة الحركة التعاونية وتوطيد الثقة بالتعاون واستقراره ومرونته وتطبيقه علما وعملا فى المدارس ، وضمان تطور الحركة التعاونية وانشاء بنك لكل قرية ، وقيام الاتحاد التعاونى العام فى مصر ، ولامكان قبول الهيئات فى عضوية التعاون ، وامتداد نشاط التعاون الى الخدمة الاجتماعية وربط التعاونيين بجمعياتهم ، وتشجيع الادخار فى الجمعيات التعاونية ، وتحقيق المكافأة المادية على حسن الادارة ، ومن أجل تفضيل الجمعيات التعاونية فى التعامل مع الحكومة ووضع رقابة حكومية شعبية على التعاون وحماية الجمعيات من الحل الى غير ذلك من الاهداف . ولقد جاء هذا التشريع مرنا مانعا للاستغلال وميسرا للانضمام للجمعيات ، ومانعا لاحتكار فوائد الجمعية ،

فقد حرم القانون على العضو امتلاك أكثر من خمس اسهم الجمعية وخصص جزءا من الربح للخدمات الاجتماعية ويسر القانون كذلك حصول الأعضاء على القروض وحدد نسبة من الربح لأعضاء مجلس الادارة نظير قيامهم بالادارة :

ومن مزايا التعاون أيضا حماية الاسهم ، فلا يجوز الحجز عليها ، وكذلك اشتمل القانون على اعفاءات ضريبية للجمعيات التعاونية ، كما أجاز الاعفاء من الرسوم الجمركية على بعض الآلات والخامات التى تستوردها الجمعيات ، وكفل رقابة الحكومة على الجمعيات التعاونية لمنعها من الانحراف ، وحدد ١٠٪ من الارباح للخدمات الاجتماعية للمنطقة التى تقوم فيها الجمعية ، وسهل حصول الجمعيات التعاونية على القروض اللازمة لمزاولة نشاطها وحرص على افادة الأعضاء من الخبرات الفنية ، فعين مشرفا على الجمعيات التعاونية ، ومنح الجمعيات الحق فى استئجار الأراضى وزراعتها ، وحرص على تحقيق مبدأ ديموقراطية الادارة ، بأن يكون لكل عضو فى الجمعية العمومية صوت واحد مهما كان عدد الاسهم التى يملكها . هذا والجمعيات التعاونية لاترمى الى الكسب ، وتقام الجمعية التعاونية فى جميع انحاء البلاد وقد منحت تخفيضا فى أجور النقل بالسكك الحديدية بنسبة ٢٥٪

يضاف الى ذلك أن الجمعية التعاونية عند تأسيسها يجب ألا يقل عدد الأفراد المؤسسين لها عن عشرة ، وتيسيرا للاعضاء على الاكتتاب فى الجمعية سمح القانون ببيع اسهمها بالتقسيط ، والجمعية العمومية هى التى تنتخب مجلس الادارة الذى يمثلها لدى الغير ، ويتولى الاشراف على شئونها ومراجعة ميزانيتها .

وحرص القانون على سلامة المركز المالى للجمعية ، فنص على أن يحتفظ بعشرين فى المائة من الربح للاحتياط الذى يضاف الى رأس مال الجمعية ، وأعفى القانون الجمعيات من رسوم عقود التأسيس والتصديق والتوقيعات والتأشير على السجلات التى تمسكها الجمعية بدون رسم ، كما أنها أعفيت من رسوم التأمين المؤقت فى حالة المناقصات والمزايدات ، ومنحت تخفيضا قدره ٥٪ من رسوم التحليل فى المعامل الحكومية وغير ذلك من الخدمات التى تؤديها الحكومة لها مع الحق فى تخفيض قدره ٥٪ كما أن لها

الأفضلية على الأفراد والهيئات فى تعاملها مع الحكومة عند تساوى العروض ، ولها الأفضلية فى الحصول على القروض والسلف .

وتيسيرا لحصول التلاميذ على فوائد التعاون جعل قيمة السهم لهم ٢٠ قرشا ، ولجمعية بناء المساكن بجنيه واحد ، وللجمعيات التعاونية الاستهلاكية المنزلية والجمعيات الانتاجية الزراعية والصناعية بـ ٥٠ قرشا ، وقد أصبح التعاون دون شك هو الطريق السوى لبناء المجتمع السليم المتحرر من العوز والحاجة ولا شك أن التعاون هو سبيل الرخاء ودرع الحرية وطريق الأمان بل هو قبس من روح الله • وكان من شيم الأنبياء ، وهو عزة للفرد وقوة للجماعة ، ومنفعة ورحمة ، وطريق ناجح لحل المشكلات ، وهو فوق ذلك انتاج وخدمات وتأمين لليوم والغد ، وهو أخذ وعطاء ، وهو وفاء بوفاء ، وهو روح وقانون ؛ وبر واقتصاد ؛ وستر للفرد وكنز للفقراء وعز للاغنياء • وهو الوسيلة السليمة للقضاء على الوسطاء ، وهو نهر يتجمع من قطرات ، وهو كثير من قليل ، وهو ظل من لهيب الحياة . والتعاون هو الركن الثالث من أركان أيديولوجيتنا العربية ، ومن أهم خصائص التعاون أنه ينظم جميع أفراد المجتمع فى جبهة وطنية متحدة لا تؤثر فيهم الانقسامات ويسير الوطن كله متعاونا متحدا يعمل لخير الجماعة ولاسعاد الأفراد . ويصبح مجتمعا يتعاون فيه العامل مع صاحب العمل، ولا يقوم على الاحتكار ، ولا على الاستبداد والبأس والنفوذ الأجنبى والظلم الاجتماعى .

ولقد جاء فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمؤتمر التعاون عام ١٩٥٨ « ماذا نقصد بالمجتمع التعاونى ؟ نحن نقصد به أن يتعاون الناس بعضهم مع بعض للتخلص من الاستغلال والسيطرة والتحكم ، وبخاصة الضعاف الذين لا يملكون وسائل التأمين . والتعاون بصفة عامة ينظف المجتمع من الأدران والفساد ، وينظفه من الرابى ومن الاحتكارى والاستغلالى والوسطاء . ولذلك اتخذ التعاون شعارا له « الفرد للمجموع والمجموع للفرد» ويقدم التعاون خدمات اقتصادية واجتماعية وصحية وتأمينية فى حالة العجز والشيخوخة ؛ وهو يرمى الى تماسك المجتمع واسعاده »

الفصل الرابع

المبادىء العامة للتعاون

للتعاون اشكال وألوان : فهناك التعاون الاستهلاكى الذى يوجد فى البلاد الرأسمالية وينتج تكتل طوائف المستهلكين ليخففوا عن أنفسهم جشع المحتكرين بعض التخفيف . ومنه التعاون الانتاجى الجماعى الذى نجده فى البلاد الشيوعية ، والذى تنعدم فيه ملكية الفرد ، كما تنعدم فيه حريته واختياره ، ليصبح مجرد آلة فى يد الجماعة يعمل على زيادة الانتاج باسم هذه الجماعة ، ولكن بالرغم من اختلاف ألوان هذا التعاون فان هناك بعض المبادىء العامة التى ينبغى أن يسير عليها كل نظام تعاونى سليم ، وهذه المبادىء نلخصها فيما يلى :

١ ــ مبدأ باب العضوية المفتوح :

ومؤدى هذا المبدأ انه يتيح لأى فرد مقيم فى المنطقة التى تخدمها الجمعية التعاونية ويستوفى شروط العضوية التى ينص عليها القانون ــ الحق فى أن ينضم اليها فى أى وقت يشاء ، كما أن له الحق كذلك فى أن يستقيل منها فى أى وقت يشاء ، ويكفى أن يساهم حتى ولو بسهم واحد فقط من أسهم الجمعية ، وطبقا لهذا المبدأ نجد أن رأس المال فى الجمعية يتغير تبعا لانضمام الأعضاء اليها أو خروجهم منها ، ويمكن للافراد ان يستقيلوا من الجمعية اما بتحويل أسهمهم الى أسهم شخص آخر تقبله الجمعية أو بتحويلها الى عضو من أعضاء الجمعية القدامى . وليس هناك حد أعلى لرأس المال فى الجمعية ، ويجب أن يكون بيع أسهم الجمعيات التعاونية بالقيمة الاسمية حتى لايكون هناك فرق بين العضو الذى التحق بالجمعية عند تأسيسها والعضو الذى التحق بعد ذلك

ويسمح هذا النظام بأن تكون خدمات التعاون واسعة ، وقريبا جدا يحين الوقت الذى تشمل الجمعيات التعاونية الوطن من أقصاه الى أقصاه .

٢ ـ مبدأ الديموقراطية فى الادارة :

ان مؤدى هذا المبدأ أن يتساوى أعضاء الجمعية فى الحقوق والواجبات بغض النظر عما يملكه كل عضو من أسهم الجمعية ، فيتساوى العضو الذى يملك سهما واحدا فى الجمعية بمن يملك مائة سهم فيها ، وهذا النظام يختلف عن النظام السائد فى الشركات المساهمة التى يكون للعضو صاحب الاسهم الأكثر فيها نصيب أكبر من الاصوات ومن السيطرة على ادارة الشركة ، ويهدف هذا المبدأ أيضا الى تعويد الاعضاء على النظام الديموقراطى ، لأن الجمعية العمومية للأعضاء تعد بمثابة برلمان صغير ، ولكل عضو الحق ـ حتى ولو كان يملك سهما واحدا ـ فى أن ينتخبه أعضاء الجمعية العمومية عضوا فى مجلس ادارة الجمعية مادام موضع ثقة أعضاء الجمعية العمومية .

٣ ـ مبدأ الفائدة المحدودة على رأس المال :

تختلف الجمعيات التعاونية عن الشركات المساهمة فى أنها انشئت لتكون مراكز لتجميع رءوس الاموال ولا تهدف الى الربح من معاملاتها بقدر ما تهدف الى خدمة الاعضاء ، ولذلك فان فائدة الأسهم محدودة بحد أقصى مقداره ٦ ٪ مهما زادت أرباح الجمعية . ويهدف هذا المبدأ الى الحد من أطماع رءوس الاموال الكبيرة من الربح عن طريق شراء أسهم الجمعيات التعاونية ، فالجمعية تستفيد من عضو له سهم واحد بالجمعية ، ومعاملاته معها كثيرة وتفضله على عضو يملك ١٠٠ سهم ولكنه لا يتعامل مع الجمعية ، لأن رأس المال فى الجمعية التعاونية يعتبر مجرد أداة لتحقيق أغراضها ، وهو خادم يتقاضى أجر خدمته اذا كان هناك فائض من الأرباح .

٤ ـ مبدأ العائد على المعاملات :

هذا المبدأ فريد يستأثر به التعاون دون غيره من النظم الاقتصادية ، وهو مبدأ عادل يهدف الى افادة العضو الذى يتعامل مع الجمعية كثيرا ، فائدة أكبر من العضو الذى يتعامل معها قليلا أو لايتعامل معها ، وهذا المبدأ يشجع على زيادة المعاملات مع الجمعية ويكثر العائد من طريق أن الجمعيات التعاونية تقوم بشراء البضائع بأسعار الجملة وتبيعها بأسعار التجزئة . وكذلك تقرض الأعضاء بفوائد أكثر مما اقترضته هى ، لذلك ينتج لدى الجمعيات ربح كبير ، وهذا الربح يوزع جزء منه كفوائد للأعضاء على المبالغ التى اكتتبوا بها فى رأس المال بحيث لا تزيد هذه الفائدة عن٦٪ وجزء من الربح يخصص لاحتياطى الجمعية ، وجزء للخدمات الاجتماعية ، والباقى يوزع على الأعضاء بنسبة تعاملهم معها ، أما الارباح التى تعود على الجمعية من البيع لغير الأعضاء فانها تخصص للخدمات الاجتماعية بالمنطقة التى تقيم فيها الجمعية .

٥ ـ مبدأ التعامل بالنقد :

لايشجع التعاون أعضاءه على التعامل بالأجل لكى يحفظ لكل عضو مركزه المالى ، لأن التعامل بالأجل يشجع العضو على شراء ما يزيد عن حاجته ، ويؤدى الى ارتباك العضو ماليا ، فضلا على مساسه بكرامته ، ثم ان الشراء بالنقد يمكن الانسان من أن يشترى أجود البضائع بالثمن المناسب ، فلا يقع تحت رحمة التاجر وشروطه . ويهدف هذا المبدأ الى تشجيع الاعتماد على النفس كذلك .

٦ ـ مبدأ عدم التدخل فى الشئون السياسية والدينية :

هدف هذا المبدأ أن التعاون مبدأ انسانى يحترم كل فرد مهما كانت عقيدته الدينية والسياسية ، فلا يجوز منع عضو من الانضمام للجمعية بسبب عقيدته السياسية أو الدينية ، فالجميع سواء فى الحقوق والواجبات .

٧ ـ مبدأ نشر التعليم والثقافة العامة :

لا شك أن التعاون ثورة سلمية تحتاج الى من يدعو أليها ، كي تنمو وتزدهر ، وتقوم هذه الحركة على الاقتناع والاقناع وانارة الأذهان بهذه الفكرة الجليلة ، ويهدف التعــاون الى نشر التعليم والثقافة بصفة عامة ، والتعاليم والمبادىء التعاونية بصفة خاصة، ولهذا تقوم الجمعيات التعاونية بنشر الدعوة التعاونية والتعليم بجميع الوسائل . ووسيلة ذلك عقد المؤتمرات والقاء المحاضرات واستصدار الكتب والنشرات واقامة المكتبات والأندية .

وكذلك تقـــوم الجمعيات بتقـــديم الخدمات الصـــحية والاجتماعية والاسكان وتعبيد الطرق واصلاح دور العبادة وتوفير المياه النقية الصالحة للشرب .

الفصل الخامس

الخدمات التى يقدمها التعـاون

يقدم التعـــاون لأفراده كثيرا من الخـــدمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ويعمل على رفع مستوى المعيشة، وزيادة الدخل القومى ، ولا شك أن التعاون حركة تفيد الفرد والجماعة على حد سواء .

١ ـ الخدمات الاقتصادية للتعاون :

تقدم الجمعيات التعاونية قروضـــا لأعضائها بفـوائد قليلة وبطريقة ميسرة ، وبذلك تخلصهم من شرور المرابين ، كما تشجع الجمعية الأعضاء على الادخار بما تصدره من اسهم وما تقبله من ودائع ، فتنمو مواردهم المالية ، وتقل حاجتهم الى الاقـراض ، وتمدهم بالسلع اللازمة لانتاجهـــا كما تمـدهم بحاجتهم من مواد الاستهلاك فتحميهم من الوسطاء ومن الغش والاستغلال ، وتبيـع محصولاتهم جملة بأسعار اعلى مما كان يستطيع أن يبيعهـا كل عضو على حدة كما أنها تنشىء الصناعات الكبيرة فى المدن الصغيرة وفى القرى لخدمة انتاج أعضائها ، وتساعد الأعضـــاء على زيادة ثروتهم الحيوانية ، وتمدهم بالسلالات الجيدة ، وتمكن الأعضـــاء من استعمال الآلات الميكانيكية فى الزراعة والصناعة بأقل التكاليف، وتستأجر الأراضى من الملاك وتؤجرها بأحسن الشروط .

٢ ـ الخدمات الاجتماعية للتعاون :

يستهدف التعاون رفع مستوى المعيشة من الناحية المعنوية والمادية على حد ســـــواء ، فتقوم الجمعيات ببث فضـــــائل خلقية اظهرها تأدية الواجب والمساواة فى المعـاملة وحـرية الفكر وادب المناقشة وأصولها ، والنزول على رأى الاغلبية ، وانكار الذات ،

وربط مصلحة الجماعة بمصلحة الفرد ، ونشر روح الاخاء والمودة بين الجميع .

هذا الى جانب انها تدرب أعضاءها على الاقتصاد فى النفقات وتكاليف الانتاج ، وتشجعهم على الادخار والاعتماد على النفس ، وترشدهم الى أساليب التعامل وطرق البيع والشراء ، وأحوال الاسواق ، وتنظيم الاعمال ، وتبذل الجمعيات التعاونية مجهودات محمودة فى نشر التعليم ، وتساعد على انشاء المدارس ، وايجاد المكتبات وتصدر المجلات والنشرات وتثقف اعضاءها فى مختلف الشئون ، وتتيح لموظفيها فرص التحصيل وتجديد المعلومات .

وتعنى الجمعيات التعاونية بالصحة العامة ، وتكافح العادات السيئة ، وتساهم فى مكافحة الامراض المتوطنة ، وتعمل على تعميم المياه الصالحة للشرب ، وتردم البرك وتنشيء دورات المياه والحمامات والمغاسل ، وتساهم فى دفع أجور الاطباء ، وتساعد فى دفع ثمن الدواء للمرضى ، وتساهم فى انشاء المستشفيات ودور الاسعاف والمستوصفات ، كما تقوم بتنظيم الطرق والشوارع وانارتها وانشاء الطرق والكبارى والمعديات ، وتساهم مساهمة فعالة فى القضاء على البطالة وتمد يد المساعدة للمحتاجين فى مختلف المناسبات ، وتنشيء النوادى الاجتماعية والفرق الرياضية ودور السينما ، وتساعد على اقتناء أعضائها أجهزة الراديو حتى تنظم وقت فراغ الاعضاء بما يعود عليهم بالنفع ماديا ومعنويا .

– ١ –

موقف التعاون من التجار

التعاون من أهم النظم الاقتصادية لتنظيم السوق ، وهو نظام لا يهدف الى القضاء على طبقة التجار الشرفاء ، ولكنه يطرد الوسطاء من السوق ممن لا يؤدون أعمالا تتناسب مع ما يحصلون عليه من ربح . ومن المسلم به أنه لا بد من أن توجد منافسة شديدة بين التجار والتعاون وهذه المنافسة لا تؤدى فى النهاية

الا الى القضاء على الوسطاء والفشاشين واختفائهم من السوق . أما التجار الأمناء فلا تؤثر الجمعيات التعاونية فى نشاطهم ، نظرا لقناعتهم بالربح المعقول وتوفير الخبرة عندهم .

هل يخدم التعاون الفقراء ؟

التعـــاون لاينجح الا ببذل الجهـــد والارادة القوية والعزم والتصميم على الهـــدف حتى يتحقق ، والتعامل فى الجمعيـات التعاونية بالنقد بشرط نظافة السلع وجودتها ، وهـــذه شروط لا تتوافر فى الفقراء ، فضلا على أن روح التعـــاون وروح الكفاح لا تتوافر فى المعدمين ، ولهذا لا تمكنهم الافادة من الجمعيـــات التعاونية ، بل يفيدون من الجمعيات الخيرية .

– ٢ –

أنواع الجمعيات التعاونية

ليس للتعاون شكل واحد ، فهناك التعاون الاستهلاكى الذى يوجد فى المجتمعات الرأسمالية ، وهو تكتل طوائف المســـتهلكين للتخفيف من جشع الرأسماليين ، وهناك التعاون الانتاجى الشائع فى الدول الشيوعية التى يكون الفرد فيها كمسمار فى المنظمـة ، وتراعى فيه حرية الفرد ومصلحته .

فالجمعيات التعاونية الاستهلاكية يكونها الأعضاء بوصـفهم مستهلكين ، والجمعيـــات التعاونية الانتاجية يكونها الاعضـــاء بوصفهم منتجين ، ولكن النوع الواحد قد ينشأ لتوريد البضائع الاستهلاكية المنزلية أو التأمين على الحياة ضد الحوادث والحريق أو اقراض الاعضاء قروضا استهلاكية ، أو تقديم خدمات عمرانية كبناء المساكن مثلا .

والجمعيات التعاونية الانتاجية قد تنشأ لاقراض أعضـائها قروضا انتاجيـة ، أو توريد الحاجات الزراعيـة اللازمة لخـدمة مزارعهم ، أو تصـنيع خاماتهم أو تسـويق حاصـلاتهم أو فلاحة

حقولهم فلاحة اجماعية ، أو التأمين على مواشيهم وحاصلاتهم أو خدمة الصيادين أو انشاء مصانع تعاونية . وقد تقوم الجمعية التعاونية بخدمة غرض واحد من هذه الاغراض وتتخصص فيه ، وقد تخدم أكثر من غرض ، وقد تجمع بين غرض استهلاكى وغرض انتاجى .

هذا هو التقسيم الأفقى للجمعيات التعاونية . أما التقسيم الرأسى للجمعيات التعاونية فهو أن الجمعيات التعاونية قد تحتاج الى أن تتعاون مع جمعيات أخرى من النوع نفسه لتكوين هيئات تعاونية كبرى، وتتكون عضوية هذهالجمعيات الكبرى منالجمعيات المحلية ، وقد تكون هذه الهيئات :

(أ) **لأغراض تنظيمية** : وتعرف باسم الاتحادات التعاونية.

(ب) **لأغراض اقتصادية** : كجمعيات الاتجار بالجملة .

(جـ) **لأغراض مالية** : كالبنوك التعاونية .

الجمعيات التعاونية الزراعية :

تستهدف هذه الجمعيات رفع مستوى الزراعة ، فتجعل فى مقدور الفلاح الافادة من التطور والتقدم فى فنون الانتاج الزراعى وما يتصل به من أعمال وأدوات ، فينتقل هذا التطور للفلاح فى شكل مخصبات وتقاو منتقاة ومبيدات للآفات ومهمات وعدد وعلف للماشية وماكينات ، وتوريد للبترول ومواد الوقود الأخرى . الخ .

وتقديم خدمات زراعية مختلفة مثل الرى والصرف وتوليد الكهربا وشق الطرق الاضافية والتليفونات وانشاء المدارسالريفية واقامة الصناعات اليدوية الصغرى . وتعتبر الجمعيات التعاونية من أحسن المنظمات شأناً فى توفير المال واقراضه للمزارعين ، ذلك لأنها تتكون من أفراد من ذوى الحاجات المتماثلة الذين يكونون معا مالا يكتتبون به أو يدخرونه لدى الجمعية فى شكل ودائع أو مدخرات صغيرة تترك لتتجمع لديها ، كما يتكون المال أيضا فىهذه الجمعيات من الاحتياطى . وتكثر هذه الاموال مع مرور الزمنحتى

تحقق الجمعية التعاونية نوعا من الاكتفاء الذاتى كما يمكنها الاقتراض من الجمعيات التعاونية . وتقرض هذه الجمعيات أعضاءها بشروط وضعت بموافقتهم سواء من حيث الموعد أو الفوائد ، ثم تراقب حسن استعمالهم لهذه الاموال ، ثم تحصل أموالها منهم ، وهكذا يتم توظيف المال لمصلحتهم فى النواحى الانتاجية للعمل على زيادة الانتاج الزراعى من رقعة محدودة من الارض الزراعية .

كما أن الجمعيات التعاونية تستهدف القضاء على الوسطاء ورفع دخل الفلاح . والتعاون فى البيع يمكن الفلاح من تجميع محصولاته من مختلف الانواع ثم فرزها وعرضها للبيع بالطريقة التى تحقق للفلاحين جميعا أسعارا عالية ، والجمعية التعاونية أداة فعالة لرفع مستوى الانتاج ، لأنها تفرض على أعضائها درجة معينة من العناية بمحصولاتهم وتربية ماشيتهم ، وتهيىء لهم طرقا حديثة فى أساليب الخدمة الزراعية وفى التربية الحيوانية ، وتسهل نقل المحصولات وتعفيهم من مشقة البحث عن الأسعار المناسبة ، وتحميهم من الوسطاء ، وتبيع الى كبار التجار ، لأنها تجمع صفقات كبيرة من المحصولات .

أما فيما يتعلق بالنشاط التعاونى الخاص بتمليك الأراضى الزراعية وتأجيرها فهناك جمعيات تعاونية تعنى بتبصير الفلاح بطرق المحافظة على ملكية الارض والعناية بجوهر التربة من التآكل والتلف ، واستيفاء مرافق هذه الارض لتكون سهلة الخدمة ، ومعالجة الملكيات الصغيرة من استمرار التجزئة والتفتت ، والعناية بالأراضى الشاسعة النائية التى تملك للمواطنين .

المزارع الجماعية المشتركة التعاونية :

تمتاز المزارع الجماعية المشتركة عن الزراعة الفردية بمزايا الانتاج الكبير ، والزراعة الجماعية التعاونية تحقق مزايا البيع والشراء بالجملة للفلاح الصغير . فهناك جمعيات تعاونية تجمع تحت اشرافها أراضى الأعضاء مع احتفاظ كل عضو بملكيته الخاصة وتقوم الجمعية بزراعة الأرض وادارتها مستخدمة فى ذلك أدوات

الاعضاء التى يقدمونها ، أو مستخدمة أدوات مشتراة من رأس مالهـا .

وهناك جمعيات لتحسين الفلاحة ، وتقوم بتوريد أجـود أنواع الأسمدة والبذور كما تقوم لأعضائها بعمليات الحرث والرى وانشاء صوامع الغـلال ، وتتولى تصريف منتجاتهم تعـاونيا ، وبمقتضى هذه الطريقة يزرع العضـو أرضـه بنفسـه مستخدما الأدوات المشتركة ،وينفـرد بأغلب الاعمـال ولكنه يلتزم بالبيـع التعاونى .

وهناك جمعيات تعاونية تستأجر الأراضى أو تملكها وتقسمها قطعا وتؤجرها للزراع الذين تتعين عليهم زراعتها طبقا لتعليمات الجمعية التى تقدم لهم التوريدات الزراعية كافة ، ثم تتولى بيع محصولاتهم .

وهناك الجمعيات التعاونيةللتأمين الزراعى، ومهمتها المحافظة على دخل اعضائها ضد نقص الايرادات السنوية لهم ، والتـأمين ضـد حريق المسـاكن والاجران والأمتعة والتأمين ضد نفوق الماشية ، والتأمين ضد اصـابات العمل والمرض ، والتأمين على الحياة . وهكذا تعمل الجمعيات التعاونية لخدمة أعضائها لا بقصد الربح كما هو الحال فى الشركات المساهمة .

والخلاصة أن الجمعيات الانتاجية هى التى تتألف من صغار الزراع أو المنتجين الذين يتحدون فى انتاج سلعة معينة ويكونون جمعية . ويترتب على ذلك خفض نفقات صناعاتهم وسـهولة تصريفها بسرعة . وتستطيع هذه الجمعيات الحصول على القروض بما لديها من وسائل للاقتراض ، وبما لديها من أدوات وآلات ، ومن أمثلة هذه الجمعيات جمعيات شراء وبيع الاسمدة وبنـوك القرى ، وجمعيات استخدام الآلات ، وجمعيات البيع التعاونى ، وجمعيات الزراعة واستصلاح الاراضى البور ، والجمعيات التعاونية الاستهلاكية ، وهى تشترى مختلف مواد الاستهلاك كمواد الوقود والملابس والعطور والأغذية ، ومن أمثلتها جمعيات التعاون المنزلى وجمعيات المساكن للتأجير والتمليك وجمعيات التوفير والتأمين .

وهناك الجمعيات التعاونية للتسليف وأعضـاؤها يكونون مصرفا صغيرا لاجابة طلباتهم .

الفصل السادس

الفرق بين الجمعيات التعاونية والشركات المساهمة

تختلف الجمعيات التعاونية عن الشركات المساهمة في الهدف، وفى المنهج والأسلوب فى النقاط الآتية :

١ ـ **فكرة العائد على المعاملات** : تنفرد الجمعيات التعاونية عن سائر المنظمات الاقتصادية بفكرة العائد على المعـاملات ، فهي توزع جزءا من أرباحها على الاعضاء بنسبة تعاملهم معها أى بنسبة مشترياتهم ومبيعاتهم للجمعية . ولا توجد هذه الفكرة فى الشركات المساهمة التى يكون توزيع الارباح فيها بنسبة الاسهم .

٢ ـ **الغرض من المؤسسات التعاونية** : هو خدمة الأعضـاء ورفع مسـتواهم الاقتصـادي والاجتماعي والثقافى ، أما هدف الشركات المساهمة فانه الربح المادي . وكذلك تنفرد الجمعيـات التعاونية بفكرة الخدمات الاجتماعية للمنطقة المحلية دون الشركات المساهمة .

٣ ـ **مبدأ الفـائدة المحـدودة على رأس المال** : تحدد قيمة الفائدة التى تتاح للأعضاء فى الجمعية التعاونية نظير اكتتابهم فى الجمعية بحد أقصى قدره ٦ ٪ على حين يترك هـذا المجال مفتوحا فى الشركات المساهمة بلا قيود .

٤ ـ **بيع الاسهم فى الجمعيات التعاونية** : يكون دائما بسعر القيمة الاسمية للسهم حتى لا يكون هناك فرق بين العضو الذى يشترى أسهمه عند تأسيس الجمعية والعضـو الذى يشـتريها بعد ذلك .

٥ ـ **الديمقراطية فى ادارة الجمعية التعاونية** : ان لكل عضو صوتا واحدا مهما بلغ عدد الاسهم التى يملكها فى الجمعية ، ولهذا

فان صاحب السهم الواحد يتساوى مع صاحب المائة سهم من حيث الحقوق الديمقراطية فى ادارة الجمعية . وقد ينتخب العضو صاحب السهم الواحد فى عضوية مجلس ادارة الجمعية . وهذا بعكس ما فى الشركات المساهمة التى يسيطر المساهمون الكبار فيها على نشاط الشركة ويحتكرون مزاياها .

٦ ـ ان التعاون يتمتع بمزايا واعفاءات ضريبية ، وجمركية ، وتفضله الحكومة فى معاملاتها وتخصه بنسبة من خصم من قيمة الخدمات التى تقدمها له ، كالنقل فى السكك الحديدية ، والتحليل الكيميائى ، ومن رسوم القيد والتسجيل والدمغة ، وهذا لا يوجد فى الشركات المساهمة .

٧ ـ لايجوز لاى عضو أن يمتلك أكثر من ١٠٪ أسهم الجمعية حتى لا يسيطر عليها ، وقد كانت الشركات المساهمة تبيح للعضو أن يمتلك ما يشاء من أسهمها ، ولكن قوانين الثورة الاشتراكية الصادرة فى يوليو سنة ١٩٦١ حددت ما يمتلكه الفرد من أسهم بما لا يزيد عن ١٠٠٠٠ جنيه (عشرة آلاف جنيه) .

٨ ـ الجمعيات التعاونية الزراعية التابعة للاصلاح الزراعى لا تقبل العضو الذى يمتلك أكثر من خمسة أفدنة حتى تحمى نفسها من سيطرة كبار الملاك عليها .

الباب الرابع

السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة

٢ ـ القومية العربية :

ان فكرة القومية العربية اصبحت فكرة حية على صوت الصحيفة المدوية التى صاح بها الرئيس جمال عبد الناصر ، ولا غرو فان الأفكار شأنها شأن الحيوان والنبات ، تعيش وتموت ، تعيش اذا وجدت من يرعاها ، ويحرص على حمايتها وينفخ فيها الحياة ، حتى تعدو سارية متغلغلة فى دماء ملايين العرب .

وليست فكرة القومية العربية هى الفكرة الوحيدة التى انبعثت هذه الايام فى الشرق ، بل ان هناك افكارا كثيرة بعثت معها ، وتسير واياها على قدم وساق مثل فكرة الاستقلال ، وفكرة الثورة ، وفكرة التصنيع ، وفكرة التقدم ، وفكرة الحياد الايجابى .

والفكرة وحدها لا فائدة منها الا حين تتحول الى عمل ايجابى ومواقف فعالة . والحقيقة ان فكرة القومية العربية أصبحت رسالة الشعب العربى الأبى الذى يعيش فى هذا العصر .

ولقد تطورت فكرة القومية العربية مع مر التاريخ بين الازدهار والاندحار ، فلم يكن العرب شيئا مذكورا ، حتى جاء الاسلام فألف بين قلوبهم وجمعهم تحت رايته ، وهذب ماضى أخلاقهم من انفصالية وقبلية وفردية عدوانية ، وبث فيهم حب التعاون والوئام ، وبذلك قامت ثورة كبرى لم ير التاريخ لها مثيلا ، فقوضت الحماسة العربية أركان أعظم دولتين فى ذلك الوقت هما الفرس والروم .

ولم تكن انتصارات العرب على الفرس والروم انتصارات

بالأسلحة الفتاكة المدمرة ، بل على العكس كان الروم أكثر عــددا وأعظم عدة ، ومع ذلك محوا من الوجود ، أو بعبارة أدق محت القومية العربية القومية الفارسية .

ولكن لماذا انتصرت القومية العربية على الحضارة الرومانية والفارسية ؟

انتصرت القومية العربية لأن الناس سئموا غطرسة الحكام ، وضــجوا من الضرائب وتفشي الظلم بين ربوع البــلاد ، وملوا الاضطهادات الدينية والمذهبية ، ولمــا جاءت القومية العربيــة تقرر حرية الفرد فى الفكر والعقيدة وتنادى بمســاواة الأفراد فى الحقوق والواجبات (ولا فضــل لعربى على عجمى الا بالتقوى) وتقرر وحدة العرب وتلم شتاتهم وتبعث فى نفوسهم الحرية والاخاء والتسامح والعدل والتعاون والسلام ، سادت القومية العربية ، وانتشرت اللغة العربية ، ورحب أهالى البــلاد بالفتح المبين ، ودخلوا فى دين الله افواجا طواعية واختيارا .

وهكذا استمرت القومية العربية هى السائدة طوال العصر الأموى ، وحتى صدر الدولة العباسية ، حتى اســتعان خلفــاء هذه الدولة بالجند الاتراك لحماية عروشهم ، وحينئــذ تعرضت القومية العربية لمحنة ، ودخلت مع قوميات أخرى فى معارك مريرة ، وأعنف تلك المعارك معــاركها مع القومية الفارســية ، فلم ينس الفرس هزيمتهم المنكرة على يد العرب ، وقاست القومية العربية من تلك الحركة المناهضة لها التى عرفت فى التاريخ باسم « حركة الشعوبية » .

ثم خاضت القومية العربية معركة أخرى ضد الترك ، فقد احتلوا أجزاء كثيرة من الوطن العربى ، وجعلوا اللغة التركية هى اللغة الرســمية ، ونقلوا مقر الخــلافة الى القسطنطينية ، وظلوا يحكمون العرب تحت ستار اسم الخليفة الى أن كان القرن الماضى ، فنهض العرب يذودون عن عروبتهم ، وبعثت فكرة القومية العربية من جديد واشتد ساعدها على مر الســنين ، ثم خاضت القومية العربية ولا تزال تخوض معركة حامية ضد الاستعمار الغربى .

ولكن الخطر الداهم أصبح يواجه القومية العربية منذ سنة ١٩٤٨ حين اغتصبت العصابات الصهيونية جزءا عزيزا من أرض الوطن العربى ، وشردت مليون عربى ، وحينئذ أدرك العرب خطورة هذه الجرثومة على الكيان العــــربى ، فالتفوا حول راية القومية العربية واتحدوا ووقفوا يدا واحدة ضد فكرة الصهيونية العالمية ، « فالصهيونية عدوان وغدر وعصبية » والقومية العربية ســـلام وتسامح وتعاون ، ووقار وعدل وتضامن ، وحرية وشهامة .

لذلك ستنتصر قومية السلام لأنها تعيش فى قلوب الملايين من أبناء العالم العربى وصدق الشاعر العربى حين قال :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

والحقيقة ان هذا العصر عصر حافل بالأحداث الكبرى ويمكن أن نطلق عليه عصر الحروب العــــالمية أو عصر الذرة ، أو عصر الأقمار الصــــناعية أو عصر الثورات التحررية أو عصر انبعاث القومية العربية ، وهذا يدلنا على ضخامة هذا الحدث الجليل ، فبعث القومية العربية أمر له دلالته وخطورته ، وآثاره ومكانته ؛ فقد أصـــبحت أرض الرسالات من جديد محورا تدور فى فلكه أحداث التاريخ الكبرى ، وهى خليقة بأن تكون مصـــدرا للأمن والقوة والخير والســـلام ، تشع نور الحق والعــــدل ، وتوجه الحضارات وتعلم الانسانية وترشدها وتهديها ، فقــد كانت كذلك يوما بل أياما ، ولقد أصبحت القومية العربية قوة بانية مؤمنة ، تحمى أرضنا الطيبة ، وتوحد الصـــفوف ، وتجمع القلوب على الوئام والمحبة والسلام ، وتقف فى وجه عدو الانسانية المشترك ؛ ذلك العدو الذى فتت الشعب الواحد الى شعوب ، والوطن الواحد الى اقطار مختلفة ليبســـط نفوذه ، ذلك العــدو الذى حاربنا بالعدوان العسكرى والحصار الاقتصادى، وحاربنا بحشو الرءوس بزيف العلم وافساد القلوب وبدعارة الفن وتلويث الألسنة ببذىء القول ، ذلك العدو الذى حرص على أن يجعل منا أعداء لأنفسنا ، ننبذ الفضائل والمثل ، ونتنكر للمبادىء والأمجاد والتقاليد العربية الأصيلة ، وعمل على أن يصطنع فى كل بلد عربى عميلا له يأتمر بأمره ويرعى مصالحه ، ولكن الزحف المقدس بدأ يسير ، وانطلق نور المعجزة ، وتحرك ركب القومية العربية ، وكانت انتفاضته عارمة

عميقة بدلت معالم ونظما ومقاييس ، وفرضت نفسها على التاريخ وحددت للبشرية مستقبلا تتجه اليه • ومن أجل هـــذا قلنا : « ان من حق هذه الحقبة أن توصف بأنها عصر انبعاث القومية العربية » . ثم ان علينا بعد ذلك واجبا هو تقدير تلك الأمانة واحاطتها بالرعاية ، كما علينا أن نعمل لها حتى ترسخ قواعدها وتؤتى ثمارها . ولكن لابد لذلك من تخطيط وتعبئة ومن تسليط الأضواء عليها . ويقول معلم هـــذه الثـــورة التحررية الـــكبرى ، ورائد القومية العربية وباعثها فى العصر الحديث الرئيس جمال عبد الناصر : « لقـــد قامت ثورتنا وتحصنت بالمثل العليا والأهداف الكبار ، فتحررت من الاستغلال الداخلى ومن السيطرة الخارجية ، واعلنا أن أمننا وانتصارنا فى الداخل والخارج انما هو انتصار للقومية العربية . ولقد احتاج ذلك الى خوض معارك ، وسيحتاج الى معارك كبرى . ولقد سرنا لكى نحقق الوحدة ونعلى راية القومية العربية وعلينـــا أن نتسلح فى كل معركة بقوة الايمان وصلابة العزيمة ومضاء الحق • واليوم نحارب بسلاح الحق وسينتصر الحق كمـــا انتصر فى كل معركة ، فنحن جيل على موعد مع القدر ، حققنا الاستقلال ، وحققنا الحرية ، ولابد أن نبعث القومية العربية ، وأن نداقع عنها ، والشعب العربى الآن فى كل بلد عربى يضع حجر الأساس لبناء القومية العربية من جديد ، ذلك البناء الشامخ ، والقومية العربية ليست كلمة تقال ، وليست أمنية من الأمانى ، وليست حلما من الاحـــلام ، ولكنها حقيقة واقعة تجمع بين العرب فى الآمال والآلام ، وفى المعارك وفى الانتصارات . هى حقيقة تنبعث من ضمير كل فرد عربى ، وتمثل أسمى معانى التضامن والتآخى . هذه هى القومية العربية التى كنا نحلم بها ، وكنا نراها بعيدة المنال فأصبحت حقيقة واحـــدة واقعة . انها ليست دعوة فرد من الأفراد بل هى دعوة كل عربى ، بل دعوة العروبة من أقصـــاها الى أقصاها وهى خالدة مادام الشعب العربى يؤمن بها ويعمل من أجلها .

هذه القومية سيرتفع علمها لأنها لا تعنى رياســـة فرد من الافراد ، ولكنها تعنى سيادة الامة العربية وسيادة الشعب العربى . هذه القومية العربية رفعنا لواءها وتسلمنا قيادها ، وســـينتقل على مر الزمن من يد الى يد بين كل أفراد الامة العربية » .

القومية العربية هى جملة مشاعر العـــرب وآمالهم ، وهى ثمرة الكفاح والنضـال ، وهى ثمرة دماء شـــهدائنا واجــدادنا . والقومية العربية عزة وكرامة ، وحرية واســـتقلال ، لأنها تعنى ارتفاع مستوى المعيشة ، وهى المنعة والبنـــاء والتقدم والرقى ، وهى الوحدة والتماسك والتضامن ، وهى مبنية على الحق والعدل، وعلى مراعاة مصالح الفرد ومصالح الجماعة معا ، تلك هى عقيدة الحق والخير والسلام والتعاون والتضامن . وسوف تعمل القومية العربية على بنـاء أمة عظمى تقف فى وجه الاســـتعمار والنفوذ والسيطرة والانحياز .

ونحن اذا رجعنا الى الوراء رأينا أن هذه الأمة حينما تضامنت واتحدت وتضافرت أحرزت النصر ، وخضعت واســـتذلت حين تفرقت ، ولذلك فان القومية العربية هى الأمان الوحيد لكل بلد عربى ، وهى قومية تعاونية حيادية لا تنحاز ولا تنحرف ، وهى تنبع من الشعب وهى صـــدى لرغبته ، وهو مقتنع بها ومؤمن بضرورتها لأنها تسعى الى تكوين أمة واحدة وقيادة واحدة باجماع من الشعب العربى . وانا لنحمد الله اذ فطن الوعى العربى الى دسائس الاستعمار وسياسة الوقيعة وسياسة التفرق والتقسيم، وسياسة الاستعانة بضعاف النفوس لتحطيم القومية العربية . ولقد حاول الاستعمار دس قومية أخرى هى القومية الصهيونية بين أرجاء العالم العربى ، وأراد لها أن تتسع على حساب القومية العربية ، وأعلنت القومية الصهيونية التى احتلت أرض العرب فى فلسطين أن وطنها من النيل الى الفرات ، وسلحها الاستعمار وحرم العرب الاسلحة ، وبدأت القومية العربية تحس بالخطر ، وأصبح عليها أن تتكاتف وتتآزر ضد الخطر الاستعمارى وضــد الصهيونية العالمية .

واخذ الاستعمار يحارب القومية العربية بالدعاية والأكاذيب، ويصفها بأنها تعصب وتحكم ، ولكن القومية العربية استطاعت أن تنطلق ، لانها حركة روحية وحركة تاريخية ، وهى قديمة وراسخة فى القلوب وعميقة الجذور فى بناء الأمة العربية .

- وتهديد القومية العربية معناه تهديد استقلال البلاد وعزتها

وكرامتهـا وسـيادتها ، ولهذا ينبغي أن نهب للذود عن وطننا ومقدساتنا ، ونحن نحرص دائما على بقاء القومية حية قوية فى نفوس أبنـاء الأمة العربية بطريق عقد النـدوات والمؤتمرات للشباب ، لأن الشـباب هم طليعة الزحف المقدس فى كل زمان ومكان حتى تكون جهودهم موجهة للحب والسـلام ، وللعروبة وللوحدة وللرحمة . لقد أذللنا كبرياء الاستعمار ورددناه مدحورا على أعقابه تتقاذفه لعنات الأحرار من كل أمم الأرض ، وذلك بفضل الوحدة والتضامن ، وسوف نحرز كل يوم انتصارا لقضية الحرية بالوحدة وبالاتحاد ، وعلى هذا الجيل تقع تبعات النصر الذى حققه آباؤنا وأجدادنا واخواننا ، وواجبنا الآن أن نتسلح بالعلم والفضيلة والحق .

والحقيقة أنا لا نسـتطيع أن نحرص على النصر ونحافظ عليه ، الا اذا توافر الايمان بالله ، والايمان بدعوة الحق ، والايمان بالخلق والفضيلة . ان قوميتنا قومية مسالمة ونحن فى قوميتنـا لسنا دعاة حرب ، ولكننا طلاب حق ، فان بلغنا حقنا بالسـلام فقد بلغنا غايتين ونحن نطالب بالسلام لنا وللبشرية كلها ، ويجب أن يكون شعار كل عربى هو (كن مستعدا لتحقق للعرب حريتهم وسيادتهم) والشباب أمل الغد ومجد المستقبل للأمة ، ولذلك تجب العناية به .

مفهوم القومية العربية :

الواقع أن مفهوم القومية العربيـة يحس به القلب ويدركه الشـعور مثلما تحدده الحدود والتعاريف المنطقية ، ولذلك يجب أن يكون تحديد هذا المفهوم نابعا من القلب والشعور والايمان مثلما يجب أن يكون نابعا من العقل . ولقد عرف علماء السياسة لفظ القومية العربية بأنه يرجع الى « قوم » . ولقد وجد هذا اللفظ (القومية) عندما بدأنا نترجم العلوم السياسية الاوربية فى العصر الحديث . من مصطلحات العلوم السياسية لفظ Nationalisme فوضعنا لها كلمة (قومية) فهذه الكلمة لم توضع فى الاصـل فى اللغة العربية وانما كان مفهومها سابقا لوجودها .

ولقد بدأت هـذه الكلمة تظهر فى أوربا يوم ظهرت حركات

التكتل الشعبي فى ايطاليا وفى ألمانيا فى القـــرن التاسع عشر ، وكانت هذه الحركات ظاهرة تاريخية ، ورأى المفكرون أن يحللوا هذه الظاهرة الى عناصرها فقالوا انها ... جمـــاعة تشترك فى احتلال أرض ، أو جماعة يشتركون فى لسان واحد ، أو فى مذهب دينى أو اقتصادي أو فى مصالح مشتركة ... جماعة على ارض لها وحدة جغرافية أو جماعة لها خصـــائص عنصرية مشتركة الدم ، أو جذور مشتركة فى التاريخ وأمل فى المستقبل .

وكل هذه العناصر والعوامل اعتبروها من مقومات القومية ، واعتبروها الدوافع لهذه الظاهرة الكبرى ، ظاهرة التكتل فيمـا يسمى بالوطن الايطالى أو الوطن البروسى .

القومية العربية احساس نفسى :

ولكن هؤلاء المفـــكرين لم يتمكنوا من أن يضـــعوا لها الحد الجامع المانع الذى يدخل كل ما توصف به ويبعد كل ما لا يمكن أن توصف به ، وانما قالوا ان القومية شيء فيه لغة ولسان ، وأرض ومصلحة ، وعنصر وأمل ، ومستقبل وحدود جغرافيـــة ، ولـــكن هؤلاء الذين حددوا مفهوم القومية الايطالية أو القومية الالمانية لم يكونوا يسمعون عن القومية العربية ، ولو قدر لهم ذلك لأضافوا الى مفهوم القومية عناصر أخرى لا توجد الا فى القومية العربية .

لاننـــا جميعـــا نحن العرب ، نحس احســـــاس الأبوة والأخوة والعمومة والخئولة ، ونحس بالماضي والمستقبل وبالأمل والألم ، ان شـــيئا ما أقوى من كل تحـــديد منطقى يربط بين الجماعات بل بين الملايين فى هذه المنطقة ، نستطيع أن نسميه قومية ولا ينطبق عليه وصف القومية كما يحاول تحديدها أولئك المترجمون

الفرق بين القومية العربية والقومية الايطالية والألمانية :

هناك فروق كبيرة بين القومية العربية وبين غيرها من القوميات الأخرى التى نشأت فى القرن التاسع عشر ، فقد كانت تلك القوميات تقوم على أساس التكتل العنصرى . وعلى أساس فلسفات تشاؤمية، مثل فلسفة نيتشه ، التى ترى أن القـــوة حق وان الحـــق قوة ، وأن التواضع من أدب العبيد ، ولذلك كانت قوميات متعصبة تنزع

إلى القوة والعنف وغير ذلك ، لانها كانت تؤمن بتفوق الجنس الالمانى ، وتعتقد بامتيازه على باقى أجناس البشر ، وهذا مالا نؤمن به قوميتنا العربية المتسامحة المتعاونة التي تنادى بالسلام لها ولغيرها ٠

وعلى ذلك هناك اختلاف بين مفهوم القوميه العربيه كما نحسها نحن فى نفوسنا وفى قلوبنا وفي احساسنا ، لان احساسنا فيه قوميه ، هى قوميتنا العربية ، وعقولنا ومعارفنا فيها قومية أخرى هى تلك القوميات الغربية التى قرأها علماء السياسه وترجموها لنا ، لهذا كان علينا اذا أردنا تحديد مفهوم القومية العربية ان نبحث عنه فى احساساتنا ، والصفة الأولى التى نحس بها أو الصفة التى يشترك فيها جميع أبناء الأمة العربية هى صفة (العربى) وهو احساس عميق أصيل عريق ضارب فى أغوار الماضى الى أبعد ما ذكر من أصول التاريخ ، بل هو ضارب فى أغوار نفوسنا قبل أن نحس وجودنا ، وعلى ذلك كان مفهوم القومية العربية مفهوما حديثا لأنه ليس هناك مدلول عقلى كامل يجعلها اصطلاحا علميا واحدا منطقيا جامعا مانعا ٠

واذاً فالقومية العربية أقدم جدا من كلمة القومية ٠ ومن الظلم البين لنا وللحقيقة أن نحاول نطبيق شيء جديد على واقع قديم ، لأن القومية العربيه موجودة فى الواقع وفى التأريخ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ٠ ان الاسلام لا يكون عنصرا من عناصر القومية العربية الا لأنه بفضله انتشر العرب فى جميع البلاد ، وبفضله تكونت لديهم حضارة راقية ، فالاسلام بصرف النظر عن كونه دينا فهو عنصر من عناصر القومية العربية ، لأنه عنصر من عناصر وجود القومية العربية واستمرارها فى الوجود ، لأنه هو الذى جعلها تخرج من عزلتها وفرقتها الى الوجود والى الوحدة ، وجعلها تلتصق بالأرض وتنتشر فى كل أنحاء البلاد ، وأخرجها من عزلتها فى البادية ونشرها فى المجتمع البشرى الكبير ، فقد كان العرب جماعات متفرقة متنافرة متطاحنة فى أنحاء شبه الجزيرة ، والاسلام الذى نقصده كعنصر من عناصر القومية العربية هو المثل العربية والفضائل العربية والاحساسات العربية المشتركة فى كل نفس عربية ، فنحن لا نكاد نفرق فى مقاييس الجمال والقبح والفضيلة والرذيلة بين اللبنانى المسلم واللبنانى المسيحى ، ولا نستطيع أن نفرق بين احساسات

العربى المسيحى والعربى المسلم ، فقد كان الاسلام أكثر من دين ، انه مثل انسانية نابعة من فطرة العرب ، فقد جمع الاسلام العرب فى وحدة على المثل والمعايير والقيم التى لا تزال فى نفوس مسيحييهم ومسلميهم الى يومنا هذا ٠

هذا العنصر فى روما أو فى ولايات بروسيـا فى فترة التكتل القومى لم يكن ذا أثر واضح هناك ، فلم يكن الدين عنصرا قوميا فى القومية الايطالية أو القومية الألمانية ، ولكن كان عنصرا هـامـا فى القومية العربية ، ونقصد به تلك المثل التى اجتمع العرب عليها قبل الاسلام وبعده فى مقاييس الفضيلة والرذيلة، والحق والخير، والواجب والشعور الانسانى ٠ فالقومية العربية تنادى بالسـلام وبالمحبة وبالتعاون وبالاخاء وبالمساواة ، وبحق تقرير المصير ، وتؤمن بالمثل العليا الأخلاقية ، وتتمسك بالقيم الروحية الدينية الأصيلة ٠

مقومات القومية العربية :

قلنا : ان الدين الاسلامى كان عنصرا هاما من عناصر القومية العربية ، لا باعتباره دينا ولكن باعتباره العامل الرئيسى فى نهضة الأمة العربية ، واستمرار وجودها وانتشارها وخروجها من عزلتها ، وهو كذلك عنصر قومى باعتباره مزودا للعـربى المسلم والمسيحى بالقيم والمثل والتقاليد الاسلامية فأصبح هناك اجماع بين العربى المسلم والعربى المسيحى على مقاييس الخير والحق والجمال والفضيلة والرذيلة ٠

١ ـ الدين كعنصر من عناصر القومية العربية :

الدين من أهم العناصر التى تكون الروح القومى ، وان كان بعض المفكرين يستبعدونه كعنصر من عناصر القومية العربية ، لأنه لم يكن موجودا كما أسلفنا بين عناصر القوميات الأخرى الألمانية والايطالية ، وكان هؤلاء متأثرين بكتاب الغرب الذين تأثروا بدورهم بالثـورة الروسية التى حاربت الدين واعتبرته (أفيون الشعوب) ، وبالنزعات التى حاربت الدين وقللت من شأنه باسم العلم ٠ ومهما يكن الواقع فان القومية العربية تحترم الدين وتقدسه ، والقومية العربية دعوة

تآخي العربي المسلم والعربي المسيحي • ونحن حين نقول : ان الدين أحد العناصر المكونة للقومية العربية لا نقصد دين الاسلام وحده ، ولا الدين المسيحي وحده وانما الاسلام والمسيحية معا • ولا غرو فان الشرق مهبط الأديان السماوية الثلاثة ولذلك فهو يحترم الأديان. ولا شك أن بقاء الدول وتماسكها مرهون باحتفاظ أبنائها بالقيم الروحية والمعنوية والمثل العليا التى جاءت بها الاديان •

وترجع عظمة العرب وانتصاراتهم الى تمسكهم بهذه المبادىء السامية ، وما من أمة تنكرت لدينها الا فقدت الرابطة الروحية التى تعمل على توحيدها وترابطها ، ولذلك حاول المستعمرون مرارا أن يحللوا العرب من دينهم ليفقدوهم الأساس الروحى الذى يؤلف بين قلوبهم •

ولقد هزم الاسلام الفرس عسكريا ودانت بلاد فارس للعرب ، ولذلك لم ينس الفارسيون هذه الهزيمة ، وحاولوا أن يثأروا من العرب عن طريق نشر الفرقة فى الدين ، لأنهم يعلمون أن الدين من أهم عوامل الربط والتماسك بين أفراد الأمة • كما حاولوا طعن الدين بادخال بعض الطقوس الوثنية اليه ، ولكن علماء الاسلام كانوا لهم بالمرصاد فلم يمكنوهم من بلوغ أهدافهم • والحقيقة أن الفضل فى انتصار العرب على غيرهم وتقدمهم ونهضتهم يرجع الى تمسكهم بمبادىء دينهم الحنيف • ومنذ ذلك الحين اكتسبت القومية العربية قوتها الجارفة • ولقد حث الدين جميع البشر على الاتحاد والائتلاف حول أمهات الشرائع وأصول العقائد ، والمهم فى الدين هو الايمان الصادق والعمل الذى يدلل على ذلك الايمان وينبع من تلك العقيدة السامية • ولقد عاش المسيحيون مع المسلمين اخوة وأصدقاء ، وقرر الاسلام ما بينه وبين المسيحية من مودة فى قوله تعالى «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لايستكبرون» •

وقد سوى الاسلام بين العربى وغيره فلا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، وحض الاسلام على العادات الطيبة وقضى على العادات الذميمة التى كانت متفشية فى ربوع شبه الجزيرة العربية ، ومن بين تلك العادات الذميمة التعصب والعدوان على القبائل الضعيفة ،

ويتضح من ذلك أن الذى يعد من جملة أصول القومية العربية هو الديانه السماوية ، والاسلام بالذات هو من السلام ، وهو سلام بين العبد وبين نفسه وبينه وبين اخوانه الذين يعيشون معه فى المجتمع ، فلا غرابة اذن أن تكون دعوة القومية العربية دعوة الى السلام فى عصر ارتفعت فيه صيحات الحرب وأبواقها ، وكما اتسعت القومية العربية فى الجاهلية لضروب شتى من الأديان كاليهودية والصابئة والنصرانية ، كذلك اتسعت بعد الاسلام لجميع الأديان السماوية ، فكان اليهود والنصارى ينعمون بحرية واسعة فى ظل الدولة الاسلامية ، ويستظلون جميعا براية القومية العربية ، ولقد اسهموا بدورهم فى النهوض بالحضارة العربية فى شتى فروعها ومختلف ألوانها .

ويمكن أن نقول أن الاصول الدينية المشتركة فى تكوين القومية العربية هى التسامح والتقوى والتمسك بأهداب الفضائل ، والبر بالفقراء ، والعفو عند المقدرة ، وتلك هى من أهم ما يقوم عليه التماسك الاجتماعى ، ولذلك كان التمسك بالدين هو الحصن الذى حمى ويحمى القومية العربية من الانحلال .

٢ - اللغة العربية باعتبارها أحد مقومات القومية العربية :

لقد كثر الكلام فى موضوع القوميات ، وأرجع الكتاب القوميات الى أسباب منها الأرض واللغة ، والدين والجنس ، والعادات والتقاليد والتاريخ المشترك ، والأهداف المشتركة ، والمصالح المادية المشتركة والآمال والآلام المشتركة . ولقد ذهب البعض الى القول بأن اللغة عنصر قوى من عناصر القومية العربية ، ولكننا نجد أن أمة مثل سويسرا تتكلم ثلاث لغات : هى الألمانية والايطالية والفرنسية ، ومع ذلك تجمعها راية واحدة ، ولذلك فان القومية العربية لا تعتمد على عنصر واحد ، أو عامل واحد ، بل ان هناك عوامل كثيرة بعضها أقوى من بعض ، ونحن نرى أن عامل اللغة هو أكثر تلك العوامل أصالة وعمقا ، فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم باللغة العربية واستمرت اللغة العربية محتفظة بكيانها منذ القرن السادس الميلادى حتى الآن ، على الرغم من السهام التى وجهت اليها ، ويدل ذلك على

صلاحيتها لمسايرة التقدم والتطور فى شتى العصور ، كما يدل على اعتزاز أهلها بها ٠

واللغة ، بحكم كونها أداة التفاهم والتعبير ، فانها عامل من عوامل الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع ، وان كان لكل أمة ما تمتاز به على غيرها ، فان الامة العربية تتصف بالبلاغة والفصاحة وقوة البيان ، ولذلك امتازت اللغة العربية بقوة تأثيرها وعلو حجتها٠ وغنى عن البيان أن اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها ، غنية بما احتوته من العلوم والفنون والآداب ، فقد ترجم العرب فى العصر العباسى الثقافة اليونانية ، وأدخلوا كثيرا من المصطلحات الى العربية، مما يدل على مرونة تلك اللغة وقابليتها لكل جديد٠ وتمتاز اللغة العربية الى جانب كونها لغة البيان والفصاحة بأنها لغة اختزال ، فهى تخلو مثلا من الحاجة الى فعل الكينونة للربط بين ركنى الجملة ، وتمتاز كذلك بوجود حروف لا توجد الا فيها ، مثل الضاد والطاء ، ولذلك سميت باسم لغة الضاد ، لانفرادها بهذا الحرف ٠ وكذلك هى لغة فن وموسيقى وعذوبة تتجلى فى الشعر العربى ٠ ولقد حمل الأوربيون والترك على اللغة العربية بقولهم انها لغة لا تصلح لحمل مشعل الحضارة ، ولا تقوى على التعبير عن المعارف العلمية المتزايدة ، واقترحت أمرين أحلاهما مر : احلال العامية مكان الفصحى ، أو اتخاذ لغة جديدة . والدعوة الى العامية دعوة خبيثة ؛ لأنها ترفع الأدنى وتخفض الرفيع ، وتبعد عن الفصحى وهى محل العلوم والفنون والآداب ، وذلك يؤدى الى تفريع اللغة العربية الى فروع ، ومن ثم الى تفتيت القومية العربية ، ولذلك ماتت هذه الدعوة وارتفعت العامية الى مرتبة قريبة من الفصحى بانتشار الصحف والكتب ، اذ أن تلك هى سنة التقدم والتطور : الارتفاع الى الأسمى لا الهبوط الى الأدنى ، ومن أجل ذلك نرى مقدار تمسك العرب بعروبتهم وبقوميتهم وبلغتهم ٠

أما الدعوة الثانية فهى أشد خطرا على القومية العربية وعلى العروبة ، وهى التى ترمى العربية بالقصور والعجز عن التعبير عن الأفكار العلمية الحديثة ، وعجزها عن مسايرة التقدم والرقى ، ولذلك نشر المستعمرون مدارسهم فى العالم العربى لتعليم الانجليزية والفرنسية والايطالية والألمانية ، ولكن القادة الأحرار تنبهوا لهذه

الســـياسة ووضعوا حدا للتعليم الاجنبي في بلادنا ، ورسموا له الخطط المدرسيه والنظم التعليميهالتي تساير نهضتنا القومية ، وكنا نرى منذ خمسين عاما أنطلابنا يتعلمون الحساب والهندسة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا باللغة الانجليزية ، مع أن اللغة العربية اتسعت في عصور ازدهارها للعلوم المختلفة ، كالطب ، والفلك ، والهندسة ، والطبيعة ، والفلسفة ،حين نقل العرب تلك العلوم الى لغتهم وتقدموا بها خطوات واسعة الى الامام الى أن نهض الغرب وأراد أن ينقل هذه المعارف فنقلها عن العرب . والدليل على مرونة اللغة العربية قابليتها للمعاني والألفاظ الجديدة ، فقد عرب المترجمون كثيرا من الألفاظ اليونانية مثل « الفلسفة » وكذلك نرى أن اللغة العربية قامت بدور الوسيط في حفظ الحضارة ونقلها الى الغرب · واللغة العربية لغة حضارة وعلم ودين وفن ، ولذلك استطاعت الوقوف والصمود ضد المتآمرين عليها ، ومع ما للغة العربية من أثر قوى فعال في تماسك العــرب ووحدتهم فاننا لا نود أن نرجع بقوميتنا العربية الى أصل واحد ، وانما نؤكد أن لها عدة أصول منها الدين ·

فلا شك أن اللغة من أعرق عناصر القومية العربية وأكثرهـــا أصالة ، واللسان كان ولا يزال مرتبطا دائما بالدين حتى ما قبل الاسلام وهو أحد العناصر التي اتحد حولها العرب قبل أن يكونوا أمة واحدة ، فاتحدوا على لسان واحد من بين سائر الألسنة حــين أجتمعوا على لغة قريش ، وكان من أول العناصر التي كفروا بها هو الدم أو العنصر أو الجنس ، فقد كان من أول المبادىء التي آمنوا بها انه لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى أى بالمثل العليا والاجتماع على مقاييس الفضيلة والرذيلة يعنى اجتماعنا على دين واحد ، ولسان واحد ، أى أننا شعب واحد لا فضل لأحد فيه على أحد ··

ولما ظهرت حركة الفتوحات الاسلامية صار أهل البلاد المفتوحة عربا واتخذوا اللسان العربى لسانا لهم ، واتخـــذوا دين العرب دينا لهم طائعين مختارين بلا اكراه ولا قهر ·

فالقوميون هم اذن الذين يؤمنون بالمثل نفسها ، ويتحدثون باللسان نفسه ، ويسكنون الوطن نفسه ، اذ القومية مثل ولسان وولاء للصفات العربية ، فوطن العـــرب هو كل مكان يتكلم أهله

العربية ، والبلاد التى شملها الفتح الاسلامى أصبحت عربية ، ولذلك كانت كل حركات الغزو الاجنبى للبلاد العربية تبدأ بمحاولة محو اللسان والولاء والدين لمحو القوميه ، ولكى نتمكن من محو قوميه أو ابادة شعب بلا قتال أو هدم كيان أمة أسكت لسان هذه الأمـة كما حدث فى تركيا حين قامت حركه تتريك العرب ، وقلما أصبحت حقيقة واقعه ، وتمثلت أمام ناظرنا بنفضنـا عن أنفسنا آثار النوم الطويل ، واستيقظنا كما يستيقظ كل نائم حين ينادى باسمه ، ولو ترددت على سمعه أسماء كثيرة غير اسمه لما استيقظ للنداء ، فهذه البراهين دلائل احساس على وجود القومية العربية وليست براهين علمية • ولقد استيقظت القومية العربية من نومها الذى دام قرونا طويلة عندما بغتها هتاف الصائح يا عرب ...... والقومية العربية كالضوء تستطيع أن تدركه وأن تشير اليه ، ولكننا لو أردنا أن نصفه لما استطعنا أن نقول الا « هذا هو الضوء » وبهذا المفهوم نقول ان هذه « هى القومية العربية » .

وفى أواخر القرن الخامس الهجرى والأمة العربية توشك أن تتفتت وتنهار • جاء صلاح الدين ، وهو صـــلاح الدين بن أيوب ابن شادى التكريتى الكردى ، جاء ليخلص الامة العربيـة فى ذلك التاريخ البعيد من تفتتها ، وكان صلاح الدين عربيا لأن دينه عربى، ولسانه عربى ، وكان كل ولائه للأمه العـــربية وان كانت أبوته كردية •

ولقد قامت ضد القومية العربية حركة الشعوبية للقضاء على تلك الروح العربية المتأصلة فى نفوس العرب ، ولتفوق الامةالمتحدة فالقومية العربية هى ذلك الشىء الذى يجمع بين العرب على اختلاف أبوتهم وأنسابهم • ان القومية العربية أصبحت بحمد الله حقيقـة واقعة اعترف بها العدو ، وسعد بها الحبيب ، وشقت طريقها الى المجد والعزة والكرامة • ويجب أن نزود بها الشباب ، لأن الشباب هم دائما حملة كل فكرة ، ووقود كل ثورة وحماة كل اصلاح .

وعندما كان الأتراك يهيمنون على مصائر الأمور ويتحكمون فى شئون البلاد العربية نزعنا الى تكوين قومية عربية تحمينا من هذا الحكم الظالم ، وكافح من أجل هذه القومية أجدادنا ، ولـكن

الاستعمار كان يتربص بكل المعـــانى القومية التى يخشاها لكى يقتلها • ورأى الاستعمار أن القومية العربية فكرة أصيلة فى الدم العربى ، وقد أفرغ عودها فى نفوسنا ، وبدأت تركيا تستجيب لهؤلاء الدعاة ، ولكن قامت الحرب العالمية الأولى واستعمرت البلاد العربية ولم يبق أمام المستعمر الا أن يقضى على القومية العربية فى نفوس أهلها بعد أن قضى على بلاد أهلها •

وجملة القول أن اللغة العـــــربية بقوتها استطاعت أن تغزو اللغات المحلية التى كانت سائدة مثل القبطية والفارسية ، وقهرتها، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على قوة هذه اللغة ، وعلى قوة العرب، وقوة الطبيعة العربية ، وعلى قـــوة الدين الاسلامى الذى كان هو العامل فى انتشار العرب خارج جزيرتهم •

ليست الأمة العربية مؤلفة من عناصر عربية خالصة ، وانمـا هى عربية بلغتها وشعورها وعقلها ووجدانها ودينها سواء أكان هذا الدين اسلاما أم نصرانية ، وهى قومية وعربية بهذا كله •

لقد زعم الاستعماريون أن الأمة العربية تتكون من أشتات من الناس كالأكراد والشركس والترك ، وان العرب الصرحاء ليسوا الا قلة قليلة من هؤلاء القوم ، ولكن هذا القول مردود ، لأن العـرب كلهم يتكلمون لغة واحدة هى اللغة العربية ، واندماجهم جميعـــا أصبح كاملا منذ مئات السنين ، فالأقطار العربية تكون وحدة قومية أكثر بكثير مما عليه بريطانيا التى تتكون قوميتها من أربعة عناصر هم الانجليز السكســـون والاسكتلنديون والغاليون Nelsu والايرلنديون ، ولكل منهم لغته الخاصة به ، وكذلك الولايات المتحدة الامريكية فهى مؤلفة من عناصر لا تحصى : أوربيـــة وغير أوربية ، وماذا تقول عن الهند وفيها عناصر لا تحصى تتحدث بأكثر من مائتى لغة ؟ •

فاللغـــة العربية ولا شك هى طابع الأمة العربية المميز ، ورابطتها الوثقى ، ولسانها الناطق • ولقد انقرضت لغات كثيرة أو تطورت على مر القرون ، ولكن اللغة العربية ظلت بفضل القـــرآن الكريم لغة حيـــة قوية على مدى الدهر • واللغة العربية هى التى

حفظت القومية العربية ، والقرآن الكريم هو الذى حفظ هذه اللغة وصانها على مر العصور من الضياع والاندثار ، وهى ولا شك مدينة ببقائها وانتشارها الى اللغة العربية بالقدر الذى تدين به هذه اللغة الى القرآن الكريم والى الاسلام ·

٣ ـ الفن كأصل من أصول القومية العربية :

ان للعرب فنهم الذى يتميزون به وقد أدى هذا الفن الاسلامى دورا هاما فى تماسك العرب واتحادهم ، ذلك أن الفن لغة تتحدث بالخطوط والالوان والاصوات ، وهو لغة تخاطب القلب والوجدان ، ويجدر بنا أن نقرر هنا أن الفن عامل من عوامل القومية العربية ، كما أنه مظهر من مظاهرها ، وشأنه فى ذلك شأن زميليه : اللغة والدين ·

ولقد فطنت الدول الحديثة الى ما للفن من أثر فى توحيد الأمة ، فعملت على نشر الفنون وتوجيهها لخدمة القومية ، فظهر المصورون والنحاتون والشعراء يعبرون عن عواطف الأمة ومشاعرها ، فكانت آثارهم عاملا لاجتماع أفراد الأمة على وجدانيات واحدة ·

وللعرب فنهم الذى يمتاز بطابعهم الخاص ، « الأرابيسك » أى الفن العربى · ويتجلى ذلك الفن فى المساجد والمنازل ، وفى النقش والتصوير والنحت والزخرفة والشعر ، وجدير بنا أن نذكر أن الفن العربى كان ولا يزال يخدم الاخلاق والحياة الاجتماعية الراقية ، وبذلك لم يكن فنا لذاته وانما لأهله ، وهنا شوقى يقول

انما الأمم الاخلاق ما بقيت　　　فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وتسود الفن العربى نزعة التجريد حيث السمو عن الواقع المحسوس المادى نحو المطلق الذى ينطبق على كل زمان ومكان . ولهذا كان انتشاره فى جميع بلاد الشرق فالنزعة الى التجريد أصل من أصول القومية العربية ، وبهذه النزعة تمكنت القومية العربية من أن تسود قديما من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى · وبمثل هذه النزعة أيضا ستعيد امتدادها الى ماكانت عليه . فلنحتفظ اذن بطابعنا العربى فى الفنون ، لأن هذا الطابع أصل

من أصول قوميتنا ، وباعث على التماســك بوحدتنا • ذلك لأنه أساس الأدب والشعر العـــربى وهما مظهران من مظاهر الفخر والحماسة ، والعزة والكرامة ، وشعور العربى بذاته وتمسكه بالعدل والحرية يتجلى فى قول الشاعر العربى :

اذا بلغ الرضيع لنا فطاما   تخر له الجبابر ساجدينا

والحقيقه ان القومية العربية هى قالب حضارى يمثل العروبه وطابعها ، ومن اهم الصفات التى تميز العربى : الكرم والسخاء ، والشجاعة والجود ، وحكمة العقل وسمو النفس ، والحضارة العربيه ليست روحيه فقط ، ولا ماديه فحسب ، بل هى روحية ومادية معا ، وهى وسط بين المادية المتطرفة وبين الروحية البحتة المسرفة ، لأنها تؤمن بالمثل العليا كما تؤمن برفاهية العيش ، وتدل على ذلك الحكمة المأثورة « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا » ، فلا دعوة الى الزهد المسرف ، ولا الى المـــادية المتطرفة والسير وراء المتاع الفاني والملذات البدنية • ولقد اتخذت القومية العربيه شعارا لها « لاشرقية ولا غربية » لتعبر عن انفرادها وعن حيادها الايجابى • والقومية العربية الآن فى مرحلة تقدم وتطور ونمو واستيقاظ •

وتمتاز الحضارة العربية كذلك بأنها تجمع بين الفردية التى تمنح الفرد الحرية والاســتقلال فى الفكر والرأى والعمل ، وبين الاشتراكية بتعاونه مع القبيلة ، وهذا دليل على أن نظام حكمنـــا الاشتراكى الديمقراطى التعاونى يتسق مع أصول القومية العربية المنحدرة الينا من آبائنا وأجدادنا الأقدمين •

ولقد كان التعليم الأجنبى فى مصر يعلم أبنـــاءنا باللغـــة الانجليزية والفرنسية والألمانية ، ويخرج لنا شبابا يتكلم برطانة أجنبية أعجمية ، ويأنف أن يتحدث بالعربية ، ولكن قادتنا تنبهوا لهذا الخطر وعملوا على توحيد التعليم لتوحيد الشباب •

ويجب علينا احترام القومية العربية باعتبـــارها شعارنا وعنوان مجدنا ، ولأنها الاطار الذى يربطنا نحن أبنـــاء العروبة

ويجمعنا في عقد واحد متساوى الحبات فالناس سواسية كأسنان المشط • وهكذا تنبذ القومية العربية فكرة تقسيم المجتمع الى طبقات . والقومية العربية حضارة راقية عرفت قيمة العلم فنشرته واتخذت لها شعارا هو « العلم للجميع » فكانت الكتاتيب تضم البنات الى جانب البنين ، وهكذا ارتفع شأن القومية العربية فى العصر الوسيط ، على حين كانت أوربا تغط فى ظلام الجهل والتأخر. ولقد عرفت القومية العربية مبدأ انسانيا آخر هو الحرية ، فحررت العبيد ، وحررت المرأة وحمتها من الوأد وحفظت حقوقها ، وعرفت القومية العربية طريقها الى التماسك الاجتماعى ، فأخذت من الأغنياء لتعطى الفقراء فيما يعرف بنظام الزكاة ، وبذلك قضت على الفقر ، وعلى الحقد والحسد والانحلال والتفكك ، كما عرفت العدل فى الحكم وجعلته أساسا له ، فأمن كل خائف ، ورضي كل مظلوم بعد أن زال عنه ظلمه ، وبذلك اتسع نطاق القومية العربية ودانت للعرب معظم بلاد العالم فحكموا مصر والشام والعراق وبلاد فارس والمغرب والاندلس ، وازدهرت العلوم والفنون والآداب ، ونقلوا التراث الحضارى اليونانى الى اللغة العربية ، وظلوا قابضين على ناصية الثقافة حتى نقلها عنهم الغرب ، فكان العرب بحق أساتذة الغرب فى كل علم وفن • والحضارة العربية عرفت الأسلوب العلمى فى التفكير المبنى على المشاهدات واجراء التجارب والاستقراء ، واليوم وقد عرفت القومية العربية أصولها فقد عرفت الخير والتعاون ، والحرية والمساواة ، والعدل والسلام ، والتقدم والترقى ، ••• عرفت كل ذلك فلا غرابة أن تسترد مجدها • والقومية العربية هى التى تجعل منا أمة واحدة ، ومجتمعا عربيا واحدا وتشبع نزعات الانسان الدنيوية والأخروية على حد سواء ، فالدين الاسلامى دين الدنيا والآخرة •

فالقومية العربية عقيدة ومبادىء ، هى فكرة لها مبادىء وأصول تاريخية وان كانت هذه الأصول التاريخية لا تجعلها جامدة ، اذ أنها فكرة متطورة حية • والآن قد تم انطلاق القومية العربية من عقالها ، وانبعثت من مرقدها ، موقظة معها مبادئها : الخير والسلام ، والعدل والعلم ، والعمل والمساواة ، والتعاون والوحدة ، والاتحاد والاخاء والفضيلة والكرم والشجاعة والشرف ،

وجدير بمن يحمل هذه المبادىء السامية أن يسود ويملأ الارض، وهكذا يتضح أن القومية العربية ليست بدعة من البدع ، وانما هى فكرة أصلية ظهرت منذ القدم وداعبت رأس كل زعيم عربى ظهر على مسرح السياسة العربية .

الأدب والقومية العربية

لقد كانت حياة الأمة العربية فى العصر الجاهلى تقوم على الخصام والغارات والنهب والسلب ، ولم يكن يجمعها فى هذا العصر الا لغتها المختلفة اللهجات والذى استطاع أن يؤلف بين هذه القبائل المتفرقة هو «الشعر» ؛ فقد كان الشاعر العربى اذا انشد قصيدة حفظها عنه الناس وتداولوها مهما اختلفت لهجاتهم ، وكان الرواة يتناقلونها فى أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية . وهذا الشعر هو الذى وحد الأمة العربية ، وكان وسيلة التفاهم ونقل المشاعر ، ولقد أخذت الأمة العربية تنهض وتعرف واجباتها وتعرف نفسها وحقوقها ، والفضل فى هذا يرجع الى الأدب الذى أنشأ النهضة الحديثة فىأوربا وفى البلاد الغربيه بعد أن اتصل بالغرب وعرف حياة غريبة لم يكن قد عرفها ، لأن الأتراك العثمانيين كانوا قد قطعوا كل صلة بين الأمة العربية وبين العالم الخارجى فلم تتصل بالغرب ، وكادت تنسى ، كما كاد العربى ينسى لغته ، فلما اتصل بأوربا بعد الحملة الفرنسية رأى ألوانا جديدة من الحياة ، وعرف الطباعة التى كانت سببا فى نشر الكتب القديمة ، ثم أخذت الأمة العربية فى ترجمة هذه الكتب ونشرها وتوزيعها على مدى واسع ، وكان هذا كله بفضل الأدباء الذين أحسوا آلام الشعوب وصوروا هذه الآلام ، وأشعروا هذه الشعوب بحقوقها وعلومها وواجباتها ، ورسموا لها طريقها الى المثل العليا . والأدباء والشعراء هم الذين يسبقون الشعوب دائما الى آمالهم وأمانيهم ، فالقومية العربية مدينة بوجودها وقوتها ونموها للأدب العربى ، وهى مدينة بنهضتها وقوتها كذلك الى الأدب العربى الحديث ، وعلى ذلك ينبغى للأدب أن يستمر فى أداء واجبه نحو تقوية القومة العربية ، وتكوين الوحدة العربية التى ورثها العرب عن أجدادهم الأول ، وهذه الوحدة

التي أضاعتها الأحداث والخطوب يجب أن تعود وأن تقوى ، ويجب أن يكون العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا • ولا ينبغي أن يذهبوا هذه المذاهب المتفرقة •

القومية العربية والصهيونية

اننا كعرب أمة وسط بين الناس من حيث المناطق النباتية والمناخية ، ووسط بين المناطق الجغرافيه ، ثم اننا وسط من حيث المواصلات ، فنحن ننقل البضائع من الشرق الى الغرب • واننا أمة تحب الألفة ومعاشرة الناس والاختلاط بغيرنا ، فنحن نخالط الفرس والترك ، ونتزاوج مع العناصر البيضاء في الشمال والزنوج السود ، ونحن أمة كريمة نقدس كرم الضيافة ، وعندنا ايثار وليست أثرة ، وعندما خالط العرب غيرهم أعطوا غيرهم أكثر مما أخذوا ، ولذلك كان شعار الزعيم مصطفى كامل « نحن أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » ونتصف كذلك بصفة النجدة والمروءة نجدة الضعيف والمحتاج وحماية المستجير ، وكذلك نحن أمة شاعرة ومرهفة الحواس ، نقدر المعنويات ولا نعيش للمادة وحدها ، ونؤثر الكرامة على المادة • فالرئيس جمال عبد الناصر عندما رفض المعونة الامريكية كان يصدر عن عروبته ، وعن بداوته الأصيلة الكريمة التي تأبى الذل والمهانة ، نحن أمة لها أصالتها وتعتز بهذه الأصالة التي أظهرت اعتزازنا عندما كنا نحتقر الترك وهم سادة وحكام من الناحية السياسية ، ونعتبر أنفسنا أفضل منهم •

أما اليهود فقد نشئوا فعلا في بيئتنا العربية ، ولكن يهود اليوم لا يمثلون يهود الأمس « لأنهم تشتتوا في العالم ولم يبق لهم الا المظهر الدنيوي من اليهودية • شعروا بانهم قوم مشردون ، فامتلأت نفوسهم بالمرارة والحقد على غيرهم من الناس ،واضطروا الى الانطواء والأثرة ، وأورثهم ذلك صفات مناقضة الصفات الفرد العربي • واشتغلوا بتجارة المال لا بتجارة السلع ••• وتجارة المال تقوم على الاستغلال • والدين اليهودي دين سماوي ما في ذلك شك ، ولكن اصحابه تنكروا لمبادئه ، وقتلوا انبياءه والذين

انتشروا فى الأرض هم اليهود ، وليس الدين اليهودى ، لأنهم لم يجودوا حتى بأفكارهم وبنشر رسالتهم وأحاطوها بالكتمان .

أما القومية العربية فهى قومية المساواة والعدل ، والاخاء والتعاون والمحبة ... لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى .. وهى قومية تنادى بالتضحية فى سبيل الله ومن أجل الجماعة أما اليهودى فلا يضحى فى سبيل الله ولا حتى من أجل ولده ، فاذا كان ولده ينافسه فانه لا يعرف الا نفسه ، ولا يصدر الا عن حبه لذاته وأنانيته المتطرفة .

وهناك فرق ثالث بين القومية العربية والصهيونية : اننا أمة شريفة أصيلة تتمسك بأصولها ولو كانت فقيرة ، ولا تبيع شرفها أبدا ولا تؤجر نفسها ، ولا تتصرف الا بما يمليه عليها ضميرها .. أما اليهود فيستشعرون النقص دائما ولهذا لايعتمدون على أنفسهم ، وانما يعتمدون على أمريكا وانجلترا وفرنسا ، وكلما اعتمدوا على غيرهم دان ذلك فى مصلحتنا ، لأنه طريق ضعفهم ، أما نحن فاننا نعتمد على أنفسنا .

ولقد غرس الاستعمار الصهيونية فى قلب القومية العربية مع ما يعلمه من خطر فى ذلك ومن تناقض ، لأن الصهيونية عنصرية متعصبة ، وقد تسبب اليهود فى اشعال نيران الحرب العالمية ، وعنصرية اليهود عنصرية تقوم على الدين . وعنصرية هتلر كانت تقوم على أساس الجنس ، وكان يقول : ان الجنس الألمانى فوق الاجناس جميعا .

والعنصرية اليهودية متعصبة ، فقد طردت مليون عربى من ديارهم ، وليس هناك علة لمساندة الاستعمار للصهيونية ومناهضته للقومية العربية الا أنه يرى أن القومية العربية خطر عليه .

ونحن ننادى اليوم بضرورة اتحاد العرب لمواجهة المؤامرة الاستعمارية الخبيثة التى تحاول اقامة ركيزة للاستعمار فى وسط العالم العربى ، وخلق شوكة دامية فى ظهر الأمة العربية ، فقد كانت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ثورة ضد الاستعمار ، ومنها

خرج الشعب العربى ســـاخطا على الاستعمار وأذنابه ، يجد فى تطهير صفوفه واستعادة الوطن السليب وكرامته المغتصبة ، فلما جـــاءت ثورة ٢٣ من يوليـــو سنة ١٩٥٢ ، كانت تعبيرا عن ارادة القومية العربية ، وتحقيقا لأمل العرب فى كل جزء من أجزاء العالم العربى ، فحملت لواء القومية العربية التى ظن المستعمرون أنهم أخمدوها ، وانبعثت رياح التحرر العــربى تهب فى كل جنبـــات الوطن العربى الكبير .

وبقيام الثورة انطلق المارد العربى الكبير من عقاله ، وانطلقت القومية العربية تضىء بنورها طريق السعى الى التحرر والوحدة ، وتحرق بنيرانها خصوم هذا التحرر وهذه الوحدة ، وكانت نورا ونارا، نورا أضاء جنبات الوطن العربى فامتلأت بصيحات القومية العربية . وناراكوت رءوس المستعمرين فتخبطوا فى التخلص من حرارتها . وفشل الاستعمار فى نسج هذه المؤامرات . فلم يجد أمامه طريقا يمكنه من تحطيم هذه القومية الصاعدة ، وازهاق هذه الروح المتوثبة فالتجا فى نهاية الشوط الى شريعة الغاب ، ومنطق القوة فى عصر شريعة الحق ومنطق السلام ، وكان الاعتداء الثلاثى على مصر الذى لم يكن ضربة لمصر بقدر ما كان نصرا محققا للقومية العربية . فقد ذهل الاستعمار عندما تجمع ضده العرب من المحيط الى الخليج ومنعوا عنه بتروله ، وانخرط العرب ... كل العرب فى صفوف المقاومة الشعبية للدفاع عن شرف القومية العربية ، وفشل الاستعمار فى القضاء على القومية العربية ، بل على العكس تبين له أن اعتداءه انما زاد القومية العربية اشتعالا وتأججا .

وبعد العدوان الثلاثى على مصر سرى فى العالم العربى تياران : أحدهما تيار القومية العربية الذى نادى بضرورة اتمام الوحدة ، والتيار الآخر هو تيـــار الاستعمار الذى يعمل على عرقلة الوحدة العربية والتحرر العربى والتيار الأول يعتمد على الاحرار الشرفاء ، والآخر يعتمد على الخونة والعملاء ، وكانت الوحدة العربية بين مصر وسورية ثمرة من ثمارالقومية العربية وكذلك كانت ثورة العراق نتيجة من نتائج ظهور الوعى القومى ، ووقفت القومية العربية فى وجــه الاستعمار كالحصن المنيع عندما اشتد عودها ، وما دمنا حريصين

على انتصارنا ، وعلى يقظتنا وحرصنا فستسير هذه الأمة قدما الى الامام فى تحقيق أهدافها ، وهى وحــدة العرب وعزتهم وكرامتهم ولن يتحقق النصر للعرب الا باتحادهم وتمسكهم بقوميتهم .

القومية العربية والاستعمار

حينما نتكلم عن الاستعمار والقومية العربية نجد أمامنـــا شريطا طويلا حافلا بالذكريات والاحداث ، بعضها حلووبعضها مر، صــور قوية تنطق بالانتصارات ، وصــور مهزوزة تشوهها بعض الانكسارات ، فالاستعمار لم يترك هــذه الامة أبدا . كان هنــاك استعمار يروح واستعمار يجيء ... ولون يروح ولون آقتم منه يعاود الكرة ... وعهود طويلة وأحقاب متلاحقة والأمة العربية فى كفاح متصل ونضال مستمر ، سعيا وراء الحرية وتحقيقا لاصالة القومية ، ولكن ماهو السر فى تكالب الذئاب على نهش هــذا الجزء الشاسع المساحة الممتد من المحيط الى الخليج ؟.

اننا اذا نظرنا الى خريطة العالم العربى نجده يتوسط ثلاث قارات : آسيا ، وافريقية ، وأوروبا ، ويشرف على بحرين هامين هما : البحر الاحمر ، والبحر المتوسط ، وهما مفتاح يوصل الشرق بالغرب . لذلك اتجهت اليه أنظار الطامعين ، وتوالت عليه حملات الغزو ، وكانت نظريتهم ، أن من ملك الشرق الاوسط فقــد ملك مفتاح العالم ، ولذلك اتجهت نحوه جحافل المغول وهاجمته موجات التتار ، واتجه اليه الرومان ، وغزاه الاتراك واحتله الانجليز سنة ١٨٨٢ ثم استولى عليه الفرنسيون ، ثم نظر اليه الفاشيون .... كل يحاول أن يضع يده على مصــدر القوى ، وملتقى التيــارات والحضارات ، ومركز المواصلات ... كل يحاول أن يمسك فى يده مفتاح العالم ، وكان الاستعمار يدخل فى وجوه مقنعة ، فتارة يدخل فى مظهر الصديق الناصح الامين ، وتارة يدخل فى زى المنقذ القوى وهدفه من ذلك خداع شعوب هذه الامة ، يسلب اطمئنانها حتى تأنس لوجوده فينال منها مقصده .

والواقع أنه لم يستسلم لهذه الخدع الا الحكام الذين فتنوا بصداقة القوى ، أو الذين طمعوا فى الفوز بما يلقيه الذئب من بقايا

فريسته ، فكانوا خونة وعونا للاستعمار وركائز لاطماعه ، بوساطتهم استطاع أن يتحكم فى الشعوب ، ويربط مصير هؤلاء بمصالحه ، فان خرج من البلاد لم يستطيعوا العيش بين الأحرار ، واذا ظل ففى بقائه عيشهم ولكنه عيش ذليل مستعبد ، كذلك عمل على خلق الفرقة بين الدويلات وخلق الحذر بين الاخوان .

ولقد أخذ الاستعمار فى اثارة العنصريات ، وخاض غمار معارك ثقافية كبرى ، وأخذ فى تثبيت دعائم الاستعمار الفكرى والنفسى ، لايمانه بأن الاستعمار العسكرى لابد أن يزول عاجلا أو آجلا ، وهنا بدأ الاستعماريون ينشئون أجيالا من أبناء الامة العربية يدافعون عن المستعمر بأشد وأحر مما تدافع عساكر الاستعمار عنه . وأوجد الاستعمار أوكارا له مثل كلية فيكتوريا ، حاولوا بها غزو النفوس ومسخ المعانى العربية ، وظهر هذا المسخ فى شكل عدوان على اللغة العربية . وظهر اذ ذاك من يدعو الى اللغة العامية كأصل من أصول حضارتنا . وظهرت مدرسة تدعو الى اللغة الفرعونية واعتبار المصريين قسمين : قسم من أصل عربى ، وقسم من أصل فرعونى .

ونحن لانقصد بالقومية العربية عروبة الدم ، وانما نقصد بالقومية العربية « كل من عاش بيننا واحترم مثلنا ، وتكلم لغتنا ، وصان حريتنا ومصالحنا ، فهو منا ونحن منه » . وكل من تنكر لهذه المعانى فنحن أبرياء منه ، وهو برىء منا ، فالوزن الحقيقى للقومية هو اللغة والعادات والتقاليد والمشاعر والاحاسيس والمصالح المشتركة .

ولكن الاستعمار لم ينجح عن طريق عملائه فى القضاء على الوحدة الاصيلة بين أفراد هذا الوطن ، ولم ينجح فى كبت شعور هذه الامة بقوميتها ذات التراث والحضارة التليدتين ولم يستطع اقناع السورى باختلاف قوميته عن قومية أخيه المصرى . وقامت هنا وهناك ثورات وثورات كلها واجهت الاستعمار وثارت على عملائه ، وكلها كانت تنادى بالحرية والاستقلال حتى يتمكن العرب من خلال هذه الحرية أن يعودوا الى أصلهم وقوتهم وحضارتهم وقوميتهم . وشعور العربى بوحدة الاصل ، وبالقوة وبالحضارة هو

ما يطلق عليه بالقومية العربية ، وعلى هـذا يمكن حصر القومية العربية في ثلاث كلمات : أصل ، وحضارة . وقوة . فهي التي سيرت هذه الثورات ضد الاستعمار . وهي عميقة كل العمق في نفوس العرب . راسخة كل الرسوخ في أذهانهم .

مزايا القومية العربية

قوميتنا لاتسنفل ولا تستعلي على الناس ، فنحن لانقول ان دمنا أطهر الدماء ، وانما نقول : ان من تحدث بلساننا ، واحترم مقاييسنا ، وآمن بحريتنا فهو منا ونحن منه . وهي تسعى الى التخفيف من الفوارق بين الناس ، وتطارد الاستعمار في كل مكان ، وتحارب الاستغلال ، لان الاستعمار يتعارض مع كل المعاني الانسانية والكرامة الانسانية . ونحن أمة اشتراكية ديمقراطية تعاونية في الداخل والخارج .

وقوميتنا تستمد معانيها من هذه المثل ، فهي لاتتنكر للدين ، بل تستلهم معانيها وتستمد مقوماتها من عناصر الدين ومثله ، ولكنها لاتسمح باستغلال الدين ، وترى أن المسلم حين يتمسك تمسكا حقيقيا بدينه فان تدينه يكون خيرا للمجتمع كله ، والمسيحي حين يخلص اخلاصا حقيقيا لدينه فان تدينه يكون خيرا للمجتمع كله كذلك .

والحقيقة أننا مازلنا نحمل رواسب كثيرة خاطئة عن شعبنا العربي ، ذلك لاننا درسناه عن مصادر أجنبية مشحونة بآراء مغرضة حاول الاستعمار بها أن يشيع بيننا الفرقة والانقسام والعنصرية ، وحاول أن ينفي فكرة أننا شعب واحد ، فأرجعنا الى شعوب مختلفة كالبابليين والآشوريين(١) ، والحقيقة أن الآشوريين كانوا يحتفلون بجميع أعياد العرب ، ونشر الاستعمار فكرة أن العرب

---

١ ـ البابليون والآشوريون ينتمون الى الجنس السامي الذي هو أرومة العرب أيضا . (المراجع)

عنصر محدود يمثله البدو في الصحاري ، وبهذا يجب اقصاء كل سكان العالم العربي عن أوطانهم والقائهم في موطنهم الاصلي وهو شبه الجزيرة العربية .

اما الآن فتمتاز القومية العربية بالوعي والنضج الفكري ، ولهذا كشفت عن جميع الخطط الاستعمارية ، وأصبح البرهان على أن الامة العربية أمة واحدة وشعب واحد حقيقة لاتدافع ، ونحن نجد من يرد على هؤلاء المستعمرين من بني جلدتهم ، فمنهم من يقول : « ان التاريخ لم ير فاتحا أرحم من العرب » . وكانت هذه الكلمات وأمثال تلك العبارات قوة في أيدينا نصفع بها هؤلاء المغرضين ، ونقول لهم هذا شاهد عليكم ، وقوميتنا في مقدمة الامم في الكفاية الانتاجية والعدل والمنطق ، وفي الاخذ والعطاء كما أننا أمة في مقدمة الامم كذلك في الكفاية الانتاجية والطاقةالبشرية ، ونعمل لتحقيق خير الانسانية جمعاء . فنحن شعب عريق ذو تاريخ عميق مملوء بالانتاج الحضاري ، والمثل العليا ، شعب يعيش وفي يده الامكانيات المتنوعة من الثروات المعدنية والزراعية والقوى البشرية البالغ عددها ٨٠ مليونا وأكثر .

ولكن على الشباب أن يكملوا الرسالة التي بدأها آباؤهم ، وما عليهم الا الوصول الى النهاية المتجددة بتجددالاجيال والعصور وعليهم أن يستبقوا الزمن ، لان قوتهم الآن تسمح بهذه الوثبة . وتمتاز القومية العربية بأنها حرة متسامحة ، وأنها مفتحة الابواب تمد يد التعاون والصداقة لكل مخلص يحب أن يتعاون معها ، فقد سبق أن قبلت الثقافات الاجنبية في عصورها الاسلاميةالاولى كالهندية والفارسية واليونانية والسامية القديمة ، والمصرية القديمة .. قبلتها وهضمتها وجعلتها عربية ، ثم أخذت تنشر هذا كله في الشرق والغرب ، ولم تبخل به . ثم أثرت بعلومها وفنونها وآدابها في أوربا ، وهي برغم الكوارث والخطوب التي توالت عليها وأصابتها بالخمول والانقسام والضعف ، ظلت محتفظة بقوتها وبلغتها وعقليتها وشعورها ، كما ظلت واحدة في الشعور والتفكير ، وفي الآمال والآلام .

وتمتاز القومية العربية بأنها ليست دعوة فردية أو ذات هدف

شخصى ، وانما هى دعوة كل الجماهير العربية ، هى قوامهم وهى اسلحتهم وهى وقودهم ، فتمتاز بهذا العموم والشمول ، وموطنها هو الوطن العــربى الكبير الممتــد من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى ، وهذا الوطن يمتاز بالتنوع فى الانتاج، وبالتكامل معا . ونحن نجد ان كل اصلاح يجب أن يقوم على أساس معرفة مواطن الضعف فى الوطن العربى وعلاجهــا ، ومواقف القوة وبعثها ، فما زلنا نملك نصف احتياطى البترول العالمى الذى لايزال كامنــا فى ارضنا الطيبة .

وتمتاز القومية العربية بأنها تجمع جميع العرب اخوة أحباء لاتفرق بينهم المكانية ، وتجمعهم وحدة العاطفة والشعور ، ورابطة النسب ، وسدى العقيدة ولحمة اللغة . والمسلمون فى شتى بقاع الارض اخوة ، ولابد أن يتعاون الاخوة فى البأساء والضراء . وتمتاز القومية العــربية بأنها نشــأت فى أرض النبوات ، وأرض النبوات لايمكن أن تنبعث منها دعوة للشر ..

اننا يجب أن نكون كتلة واحدة نؤيد الحق والخير والسلام ، كما يدعونا تراثنا العقلى والخلقى ، وايماننا بالحــرية والكرامة ، وبكل القيم الانسانية الرفيعة .

وتمتاز القومية العربية بأنها تنبع من قلوب العرب . وتمتاز أيضا بأنها تقوم على الحب والايثار ، وترى أن التضامن العربى هو وسيلة تحقيق أهدافها . ولقد كانت معركة بور سعيد أول تجربة تدخلها القومية العربية في العصر الحديث ، ليشترك فيهـــا العرب كلهم ، وأصبح ميدان القتال هو كل البــلاد العربية ، وهــددت مصالح الاستعمار فى كل بلد فانتصرت القومية العربية .

وتمتاز القومية العربية بأنها مرت بعدة مراحل : أولها مرحلة الظهور ، ثم مرحلة الكفاح ضد الاستعمار ، وهى الآن تجتازمرحلة الوحدة ، وستبقى شعلة القومية العربية أبد الدهر ، لأنها تجرى فى دم كل عربى ، وليست فى فرد واحد من أفراد الامة العربية .

وتمتاز القومية العربية بأنها لاتعادى أحــدا ، ولكنها تطلب المزيد من الاصدقاء .. الاصدقاء الاحرار والصداقة المبنية على أساس المساواة صداقة الند للند ، وتتعاون مع العالم وتصادقه ،

كما أنها تهدف الى سلام العالم قاطبة ، كما تمتاز قوميتنا بأنها قومية غير متعصبة ، وغير منحازة ، فلا تنحاز الى الشرق ولا الى الغرب . تنبع من ضميرنا وتعنى بمصالحنا وتتخذ شعارا لها : « لاشرقية ولا غربية » بل حيادية ايجابية . والقومية العربية صمام الامان للامة العربية جمعاء ، فبها نكون جميعا يدا واحدة ضد العدوان وضد التحكم ، وتمتاز القومية العربية بأنها تؤيد كل انتفاضة للحرية فى شتى بقاع الارض .

القومية العربية كواقع ومذهب

ان القومية العربية تنتقل من مرحلة الوجود الواقعى الآن الذى يسانده وعى قومى عاطفى ووجدانى الى مرحلة المذهب . ويوجد هذا الشعور القومى دائما عندما تقف الامة كلها أمام خطر خارجى . ثم يحدث أيضا عند قيام ثورة داخلية ، والقوميةالعربية مذهب يدعو للسلام ، فهى قومية تدعو للسلام ، لا للعدوان كغيرها من القوميات ، وهى تدعو للتعاون والتعايش السلمى بين كل الدول ، وهى تدعو الدول لاحترام حق تقرير المصير ، وهى كمذهب تدعو لاتباع سياسة السلم . ويقول الرئيس جمال عبد الناصر : « اننا سنحارب من أجل أن تتمتع الشعوب الاخرى بحقها فى تقرير مصيرها » وهى مذهب يدعو لاتباع سياسة الحياد الايجابى ، والحياد الايجابى سياسة خارجية تتبعها دولة ما لتتحاشى الصراع الدائر بين دولتين أو أكثر ، ولقد أخرجه الرئيس جمال عبدالناصر من معناه الانعزالى الى معناه الايجابى ، وأصبح يقوم على مبدأين عدم الانحياز ، والصداقة مع الجميع ، فالدولة الحيادية تستطيع أن تخدم السلام العالمى بمشاركتها فى حل المشكلات الدولية حلا حاسما .

ولا تنحاز لاى المعسكرين حتى لاتكون رمادا لحرب يزجها فيها أحد المعسكرين ، ولذلك يقول رئيسنا المحبوب « اننا نعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا » .

وهذا المذهب من الناحية الداخلية يهدف الى خلق المجتمع العربى الذى ترفرف عليه الرفاهية ، ووسيلة ذلك هى بناءالمجتمع

الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الذي يحاول الاستعمار جاهدا القضاء عليه بخلق فكرة الطائفية والنزعات الاقليمية والقوميات المحلية وخلق الزعامات المحلية الداخلية . وقد حاول الاستعمار تنفيذ مآربه هذه حين حاول تتريك العرب وتقسيمهم الى دويلات .

ونحن الآن نسعى لتحقيق هدف العرب ، وهو تكوين دولة واحدة من المحيط الى الخليج « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ونحن اذا أردنا تحليل مفهوم القومية العربية وجدنا أنها تتكون من ثلاث حقائق :

(أ) قوم أو جماعة من الناس لها وجود واقعي .

(ب) هذا الوجود له مقومات كاللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم والمصالح المشتركة .

(جـ) ولهذا الوجود أيضا هدف مشترك ، وتاريخ مشترك ، ووحدة في الآمال والآلام لما يأتي :

أولا : فالامة العربية جماعة من الناس لها وجود واقعي تاريخي ، ويبلغ تعداد هذه الامة نحو ٨٠ مليونا ، يقيمون في هذا الجزء من العالم الذي يحده المحيط الاطلسي غربا ، والخليج العربي شرقا ، وجبال طوروس من الشمال ، والمحيط الهندي والحبشة من الجنوب . فمن البديهي أنه لايمكن انكار وجود هذه الجماعة واقامتها في هذه الرقعة . فالجماعة هي جمع من الناس بين أفرادها تفاعل وأخذ وعطاء وتجاوب . ولاشك أن الكفاح المشترك هو الذي يجمعنا ويقوي من ساعد القومية العربية ، وان الجماعة تميل الى التجمع ، ولذلك يعتبر عزل الافراد عن الجماعة أشد أنواع العقوبات . وهذه الامة ألفت بين قلوبها روابط مشتركة كوحدة الجوار والاصل واللغة والدين والعرف والقيم ، وهناك مقومات مادية كالبيئة الجغرافية والمكان ، كما أن هناك مقومات معنوية كاللغة والدين والعادات والتقاليد .

ونحن اذا ما رجعنا الى الوراء لتتبع الاصول التاريخية

لقوميتنا هذه رأينا أنها موجودة منذ أقدم العصور ، فقد أحس بها أفرادها قبل أن تكون مفهوما واضحا في عقولهم . ومن أهم الروابط بين أبنائها رابطة اللغة . ولم يحدث صدفة ان سكان هذا الوطن الواسع اجتمعوا ، بل حدث في التاريخ أن اختلط سكان هذه البلاد بعضهم ببعض ، وتشابكت مصالحهم الاقتصادية والسياسية والقومية ، وتعرضت لاخطار واحدة ، ولم يتعلموا هذه اللغة في المدارس ، كما نفعل اليوم ، وانما كانت نتيجة الاختلاط والمعيشة في ظل نظام سياسي واحد متشابه وتذوق أدب واحد ، وفن واحد ولهذا نشأ بينهم تعاطف متبادل ، وشعور بأنهم أمة واحدة ، وهذا دليل على وحدة التاريخ في عصور طويلة ، ووحدة الثقافة ووحدة الحياة الاجتماعية، والنظرة الموحدة الى المستقبل .

والثقافة العربية هي تلك التي جاءت من احتكاك العرب بثقافات البلاد المفتوحة التي أثروا فيها وتأثروا بها ، وصارت لها خصائص واحدة وتاريخ واحد ، ومصير واحد ، فكانت اللغة العربية هي أكبر مظاهر هذه الوحدة الثقافية . ولاشك أن اللغة أداة تفاهم ووسيلة نقل الآراء والإخبار ، وهي سرعان ماتنقل المعلومات ، فما يكتبه عربي في شمال العراق سرعان مايقرؤه عربي في شمالي المغرب .

كذلك الامة العربية تسكن بلادا غير منقطعة ، فأراضي الوطن العربي أجزاؤها مستمرة الاتصال لاتفصل بينها المحيطات ، ولا تفرقها شوامخ الجبال ، وكذلك لم توجد في أية حقبة على مر العصور التاريخية دفائن أو دسائس ، ولم يحدث أن استغل قطر منها خيرات قطر آخر . وقد يقول قائل : أن دول الامة العربية بينها بعض الخلافات في أنماط العادات والتقاليد وأساليب السلوك وأنواع الحكم ، ونقول : ان هذه الخلافات بسيطة لابد من وجودها في كل أمة ففي فرنسا بين شماليها وجنوبيها حيث يختلف مايحتفل به سكان كل منطقة من الاعياد القومية والزراعية ، ولقد قيلت مثل هذه الاعتراضات عند نشأة القومية الالمانية والايطالية ، ويجب ألا يعترف العرب بهذه الحدود والفواصل التي يضعها الاستعمار في سبيل قيام دولتهم على شكل دول مستقلة صغيرة ، لان الامة وحدة متكاملة مهما تعاقبت عليها الحكومات ، ومهما تناولتها الايدي

بالتجزئة والتقسيم بفعل الاستعمار أو بدافع الاطماع الشخصية.

وإذا ما انتقلنا الى التاريخ الحديث رأينا أن أسرة محمدعلى عندما أرادت قطع صلة مصر بالدولة العثمانية التى يتمتع المصريون فيها بكيان خاص دون بقية البلاد العربية ، وكان تاريخ مصر فى تلك الاوقات ينبش عنه تحت الرمال ، وتنشر أخباره وتعالج آثاره ؛ فتأثر المصريون بذلك واعتزوا بتلك الحضارة القديمة . ولما كانت روح العصر هي روح القوميات فقد مالوا للانتساب الى هذه القومية المصرية القديمة ، ولما خضعت مصر بعد ذلك للاحتلال الانجليزى شجع الانجليز هذا الاتجاه لابعاد مصر عن الدولة العثمانية وعن بقية الدول العربية .

وهكذا ظهر الاتجاه نحو القومية الفرعونية بمصر ، ولكن هذا الشعور كان شائعا بين المثقفين فقط ، أما بقية الشعب فكان يشعر شعورا غامضا بعروبته ، ونجد هذا الشعور واضحا فى قول قائد جيش مصر الذى فتح الشام : « انه سيقف حيث ينتهى المتكلمون باللغة العربية » .

ولكن الحكام والمستعمرين لم يزكوا هذا الشعور ، بل طمسوه حرصا على مصالحهم .

والآن نستطيع أن نقول انه لايوجد مايربط بين المصرى الحديث والمصرى القديم ، فلا الدم ولا الجنس يمكن الاحتفاظ بنقائهما كل هذه الحقب الطويلة . أما اللغة فلا يوجد واحد بيننا يستطيع أن يتكلم الهيروغليفية القديمة ، وأما الدين فما من مصرى الآن يعبد ايزيس واوزوريس وغيرهما من آلهة القدماء ؛ وحتى العادات والتقاليد تختلف اختلافا كبيرا فما من مصرى اليوم يتزوج أخته ، وانما نرتبط جميعا بمن نعيش معه ونتكلم لغته ونؤمن بمثله ونشاركه ثقافته ونمارس عاداته وتقاليده نفسها ونصارع معه أخطار العدوان ونربط مصيرنا بمصيره ونفتديه بأرواحنا كما يفتدى الاخ أخاه .

ان القومية العربية هى رباط مقدس قائم مستمر يربط مصر بباقى أجزاء الامة العربية الكبيرة ، ولايمكن أن تدعى أمة

عربية أنها من جنس فوق مستوى البشر ، ولاتدعى التفوق على غيرها من الامم أو أنها من طينة غير طينة البشر ، وانما هي كائن اجتماعى حى كغيرها من الكائنات الاجتماعية .. تأخذ وتعطى .. تتأثر بالحضارات وتؤثر فيها ، وهى عضو فى المجموعة الانسانية ولا تخرج عنها ، وتتعاون مع الجميع وتعمل على أن تكون المجموعة الانسانية أسرة واحدة يسودها السلام والعدالة ، ويجب أن نزيد فى قوة الانتساب الى القومية العربية ، وأن نخلص أنفسنا من سموم الدعاية . ولن تعيش أمة لا تدافع عن كيانها ، ولا يؤمن أفرادها بانتسابهم اليها ، ويجب أن نؤمن بالله ، ونؤمن بأنفسنا ، وندرك مدى قوتنا وحيويتنا وان نعى وعيا دائبا مستنيرا مايراد منا . ويجب أن نؤمن بالوحدة ، وأن نؤمن بالتعاون حتى نقف كتفا الى كتف ، وقلبا الى قلب ، ويدا الى يد فى كل معركة ، وان نستعد للبذل والتضحية ، وان نؤمن بفضيلة العمل الايجابى المستمر لاستغلال كل مانملكه من قوى بشرية وثروة طبيعية .

القومية العربية قوة جديدة فى المحيط العالمى

ان القومية العربية أصبحت قوة جديدة بالرغم من أنها قديمة ، والقومية العربية عقيدة وعاطفة ورسالة ، ولقد كان العرب أصحاب حضارة راقية ، ولكن هناك من يهاجم العرب بقوله : انهم كانوا نقلة للعلوم لاغير ، ولكن : هل يستطاع نقل العلوم دون فهم . الحقيقة أن العرب لم يستقوا من منبع واحد حتى ينقلوا عنه نقلا حرفيا ، بل ورثوا عن اليونان والفرس والهند والصين ، وجميع ماورثوه صهروه فى بوتقة واحدة ، ونتجت عن ذلك حضارة خصبة كانت النور الذى هدى الحضارة الغربية فى نشأتها وتطورها ، ولقد كانت القومية العربية غير عنصرية ، فدخل فيها غير العرب ، فلم نقل : ان عنصرا واحدا هو الجدير بالفضل والزهو والفخر . تلك القومية التى هيأت للجميع فرص العمل فى التجارة والصناعة والزراعة والفنون والعلوم والآداب والمال . سمحت لكل المسلمين

ولغير العرب بالانضمام اليها ». ولذلك يجب أن نكون كما كان آباؤنا .

ولما اندثرت الامة العربية والقومية أصبح اسم العربى أو « أولاد العرب » وصمة يوصم بها العربى ، فى حين كان هذا الاسم فى صدر الدولة الاسلامية العظمى هو انها « خير أمة اخرجت للناس » .

ان للقومية العربية دورا هاما فى المحيط العالمى ، وأحسن ماتؤديه هو ان تكون قوية ؛ فالضعيف لا يجنى على نفسه فحسب، بل يجنى على الآخرين . والعرب الاقوياء لن يسمحوا بأن تتخذ من أوطانهم قواعد للاعتداء على الغير ، ويكاد يكون اتحاد العرب مسألة حياة أو موت ، ولا سبيل الى القوة الا بالايمان والعمل والعلم . وتمتاز قوميتنا بعدة امتيازات منها أنها من أقدم القوميات فى العالم ثم انها ظلت محتفظة بشخصيتها بعكس القومية الفارسية والقومية التركية ، فالقومية العربية لها ميزة الامتداد الزمنى الطولى الى جانب ميزة الامتداد العرضى فى مساحة واسعة من العالم ، ولقد تعرضت القومية العربية لمقاومة الدولة الرومانية الشرقية آمادا طويلة ولكنها لم تنهزم ؛ واستمر الاصطدام حتى تجمعت شعوب أوربا كلها على القومية العربية باسم الحروب الصليبية ؛ ثم تجدد هذا الهجوم على شكل الاستعمار الاوربى .

وتمتاز القومية العربية بأنها تتمتع بتاريخ واحد مشترك ؛ فتاريخها هو سلسلة طويلة من التفاعلات ، وهو السجل الذى يحوى الحقائق والاحداث التى عاشتها الامة العربية فى حياتها ؛ وهو الذى يسجل مراحل التطور ودرجات النمو والتقدم ، وفيه صور للانتصارات ، كما أن فيه معالم للخطوب التى حاقت بالامة العربية . ويمتاز التاريخ العربى عن غيره بأنه وحدة سياسية تاريخية مترابطة ، وأنه يؤلف بين وحدة اجتماعية عربية . انه سلسلة متصلة .الحلقات مهدت كل حلقة منها لمجىء الحلقة الاخرى فكل مرحلة من مراحل التاريخ مهدت للمرحلة التالية لها ، وكان هناك دائما ترابط وجدانى وفكرى وثقافى ولغوى بين أجزاء الوطن العربى .

الآمال والآلام والذكريات المشتركة

وهذه بمثابة اداة للتفاعل الفكرى والاجتماعى بين أفرادالامة فالتقاليد تدخل فى تكوين الامة العربية .

أما من حيث الوحدة الجغرافية ، فان الوطن العربى يكون وحدة جغرافية متصلة لاتكاد تفصل بين أجزائه فواصل طبيعية ، بل ان الفواصل الطبيعية فى كل جزء عربى تكاد تكون واحدة سهولا وصحارى وجبالا ، وقد انعكست آثار البيئة الجغرافية على النواحى الاقتصادية ، فجعلت بين البلاد العربية تكاملا اقتصاديا ووحدة اقتصادية .

وبدأت آثار هذا التكامل تظهر فى التشريع الموحد ، والتنظيم المتكامل فى الاتفاقيات الثنائية ، وفى مؤسسة الانماء العربى ومجلسها الاقتصادى .

أما وحدة المصالح : فان القومية العربية لها مصالح تمس مشاعر كل فرد من أفراد الامة العربية ، وتأخذ دورها البارز فى بناء القومية العربية .

الجنس والدين : لايوجد اثر يذكر لعامل الجنس فى نشأة القومية العربية لانه كما يقول علماء الاجناس : لايمكن أن يحتفظ جنس بخصائصه نقية دون أن يختلط بغيره من الاجناس .

أما عامل الدين فالحقيقة أن البلاد العربية كانت منبعا للاديان السماوية كلها . هذا ويوجد الوعى القومى ، وهو تعاطف فطرى يشعر به العربى باعتباره عضوا فى المجتمع العربى ، والهدف الذى نسعى اليه هو أن يصبح العرب أمة واحدة ، ودولة عربية واحدة ، وشعبا عربيا واحدا ، لان هناك فرقا بين الامة والشعب ، فالشعب كالشعب المصرى أو السورى أو العراقى ، أما الامة فانها كالامة العربية التى تتكون منهم جميعا . أما الدولة فهى شكل الحكم وقد تضم أكثر من شعب واحد ، كالدولة السوفيتية ، كما أن الأمة قد تقع تحت حكم أكثر من دولة واحدة كما هو الحال فى الامة العربية

العدل والقومية العربية

لقد كان موطن العرب الاول هو شبه الجزيرة العربية ، ولاسباب متعددة حدثت موجات هجرة قبل الاسلام وبعده للبلاد المجاورة ، وقامت الامة العربية بعبء نشر الدعوة الاسلامية خير قيام في شبه الجزيرة العربية ، والعراق ، والشام ، وفارس ، ومصر وشمالي افريقية وغيرها . ولما كان القرآن الكريم هو الجامع لأحكام الاسلام ولسانه المبين ، ورسالته للناس كافة ؛ كان قرآنا عربيا غير ذي عوج ، وقد نبغ من الاعاجم علماء وفطاحل في علوم الدين وعلوم الدنيا كالطب والفلسفة والفلك والرياضيات حتى علوم اللغة العربية نفسها كالصرف والنحو والبيان والبلاغة والشعر . والاسلام في حد ذاته كان تعريبا كما كان تهذيبا وهداية لان عماده لغة القرآن التي هي لغة العرب ، ولما انتشر العرب في البلاد المجاورة في القارة الافريقية والآسيوية حملوا الى تلك الاقطار دينهم ولغتهم وثقافتهم ، وسرعان ماتقبل أهل تلك الاقطار الدين الجديد ، ودخلوا فيه أفواجا ، وتبوأت اللغة العربية مكانتها السامية بين تلك الاقوام من المحيط الى حدود الصين .

ولما اجتاحت الموجة المغولية والتتارية أقطار أواسط آسيا وغربيها حاملة اليها الخراب والدمار ، أصيبت الحضارة العربية الاسلامية بنكسة شديدة في الجناح الشرقي من ربوعها ، وتلا ذلك ظهور السلاجقة من الاتراك العثمانيين في آسيا الصغرى . وقد أدت سيطرة الاتراك على البلاد العربية الى ضياع سلطان العرب السياسي ، وهذا أدى الى انكماش العرب حينا من الدهر ، ولما أتت الغزوات الصليبية المتتابعة على الشرق اتخذت طابعها الديني المعروف ، وكان لابد لمقاومتها من عصبية دينية متكاتفة من العناصر المسلمة التي زخر بها الشرق العربي في ذلك الحين لدفع الخطر الاوربي الذي أخذ يجتاح أقطاره في شكل غزوات صليبية ، وقد ظل هذا الطابع الاسلامي واضحا بعد انحسار الموجة الصليبية خلال عهد السلطنة العثمانية من الناحية الدينية واللغوية ، واخذ الاستعمار بعد ذلك في خلق تفرقة بين العثمانيين الاتراك ، وبين العرب ، وشجع تمسك كل عنصر منهما بقوميته حتى يسهل عليه شطر

العالم العربى والقضاء عليه . ولما قامت الحرب العالمية الاولى وعد الانجليز العرب بالاستقلال عن الدولة العثمانية نظير مساعدة العرب لهم ، ولكنهم من ناحية أخرى أعطوا وغدا سريا لليهود بأن يقوم فى فلسطين وطن قومى لهم ، ومن جهة ثالثة عقدوا مع فرنسا معاهدة سرية تقتسم بمقتضاها الاجزاء العربية التى ستنتزع من السلطنة العثمانية ، وهى العراق وسورية وفلسطين ولبنان ، وهكذا أصبحت الدولة العربية أشلاء ممزقة ، وأقطارا متباعدة ، وفى أوائل القرن العشرين اخذت فكرة القومية تتغلغل فى النفوس من المحيط الى الخليج هادفة الى اعادة تكوين هذه الامة العظيمة وكان لابد لها لتحقيق هذه الغاية من تطهير نفسها من رواسب الاستعمار . ولذلك قامت الثورات التحررية والحروب الاستقلالية فى البلاد العربية .

فالقومية العربية فى تاريخها الطويل لم تكن عدوانية ، وانما كانت تدافع عن نفسها وتنشد العدل .

رسالة العرب ومسئولية الشباب نحو تحقيقها

يعتبر هذا الجيل على موعد مع القدر ، لانه عاصر الانتصارات العظيمة التى كان ينشدها أجدادنا الاوائل ، وبذلوا فى سبيلها الارواح والانفس ، ولهذا تقع عليه مسئولية ضخمة هى المحافظة على هذه الانتصارات والمكاسب ، والسير بها الى طريق الكمال .

فاذا توافر لدى مجموعة بشرية الاشتراك فى عنصر معنوى كالدين أو اللغة أو العادات والتقاليد أو التاريخ أو الكفاح المشترك تكونت عندئذ قومية معينة تحدد عناصرها هذه العوامل وتفصلها عن سائر القوميات البشرية الاخرى ، واذا اتفق لمجموعة بشرية اشتراكها فى عنصر مادى كالجنس أو المصالح المادية المشتركة تكونت عندئذ قومية معينة . واذا نظرنا مليا فى جميع القوميات فاننا لانكاد نجد هذه العناصر توافرت بالصورة التى توافرت بها القومية العربية ، فنحن الامة الوحيدة فى العالم التى اجتمعت فيها

كل عناصر القومية المعنوية والمادية ، وقوميتنا تملى علينا وحدتنا السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية ، ولقد كان العرب أيام وحدتهم وازدهار قوميتهم سادة أعزاء أقوياء ، فحقيقةالوحدة والحاجة اليها ليست بنت اليوم ، وانما هى قائمة منذ قام تاريخنا العربى ، وليست عملا عدوانيا أو بربريا أو همجيا ، لانها قائمة على أسس حضارية راقية : هى أسس الحضارة الاسلامية . لقد كنا أصحاب رسالة سامية من قديم الزمان ، بل كنا متحدين فعلا قبل أن تتحد ألمانيا وايطاليا ، وكنا أمة واحدة قوية الشوكة مرهوبة الجانب ، وكنا نتمسك بالاخلاق ونقتدى بالرسول عليه السلام فى أخلاقه التى وصفها الله جل شأنه : « وانك لعلى خلق عظيم » . ولقد أمرنا الله تعالى بالاخلاق الكريمة ، وبالجهاد ، وبوحدة الصف ، والجهاد فى سبيله ، والدفاع عن الاوطان بكل قوة والايثار ، والوفاء بالعهد ، والبر بالوالدين ، وبالكرم ؛ والشجاعة ؛ والتواضع والصدق فى القول والعمل ، والعفو عند المقدرة ، واغاثة الملهوف ، وحماية المستجير واطعام المساكين ، والحياء من الله والخوف منه ، والصبر والكفاح ، والعمل والقناعة ، وقول الحق ، والنزاهة والاستقامة ، والشرف والعدل ، والرحمة وتوقير الكبير منا والاشفاق على الصغير فينا .

وهذه هى أخلاق العرب الأصيلة التى تمسك بها العرب الاولون وكونوا قوميتهم على أساسها . وهذه الاخلاق الفردية هى أساس الاخلاق الاجتماعية للامة بأسرها . ولما تخلى العرب أفرادا وجماعات عن هذه المثل الاخلاقية تخلى عنهم مجدهم السياسى ، وعندما أمسى حالنا هكذا تناثرت صفوفنا وتفرقت وحدتناوانفض جمعنا ، فاستضعفنا أعداؤنا واعتدوا علينا ، وأذلونا وشتتونا شيعا ، كل شيعة فى واد ، ولاسبيل للعودة الى مجدنا الا بالعودة الى أخلاقنا الاصيلة ، ويجب أن نتمسك بالاخلاق وخاصة خلق الشجاعة فى ادراك واقعنا ، والقوة التى تؤثر فى سير ركبنا ، والشجاعة فى ادراك المسئولية الواقعة على كواهلنا . ويجب أن نتحد ونتضامن ؛ لان الاستعمار لم يدخل بلادنا ونحن أقوياء ، وانما دخلها ونحن متفرقون كالغنم كل قطيع فى مرعى . وهذه مسئولية الشباب قبل أن تكون رسالة القادة والمفكرين .

رسائل تعبئة الشعور القومى

تربط العربى بأخيه العربى روابط مشتركة كاللغة والدين والتاريخ المشترك ، والمصير المشترك ، والمصالح المشتركة ، والتجانس العقلى والروحى ، والتعاطف والمشاركة الوجدانية . ان فكرة القومية لم تظهر بمعناها الشعبى فى العصور القديمة ، ولا فى العصور الوسطى ، لان الوجود الانسانى كان وجودا اقطاعيا . واذا كان قد حدث تكتل شعبى فانه كان قائما على أساس الدولة والحكم ، فلم تكن هناك أمة سيدة نفسها ، وشعب يتصرف حرا لمصلحته ، وانما كان ينفذ رغبة الحكام ، واذا حدث أن كانت هناك قومية فانها كانت ترمى الى مصلحة الامراء والملوك والحكام ورجال الاقطاع حتى جاء القرن التاسع عشر فظهر الانقلاب الصناعى واستغلال الراسماليين وتحكم الاقطاع ، ووجد من رجال الفكر من يدعو الى الاستبداد أمثال « نيتشه » الذى كان يرى أن الحق هو القوة ، والقوة هى الحق ، وقامت قوميات القرن التاسع عشر على أساس هذه الفلسفة ، فكانت قوميات تعصبية عنصريةمتعالية ليس فيها من الروح الانسانى أو مذهب التعايش السلمى اية ذرة ، ولهذا نبتت فى خيال الدولة الالمانية فكرة التفوق الآرى .

فاللغة المشتركة الواحدة ، والتاريخ المشترك الواحد ، والمصير المشترك ، والاحداث المشتركة ، والاهداف المشتركة والمصالح المادية المشتركة كلها مقومات للقومية العربية .

ولقد ظهر الوعى بالقومية العربية يوم جاء النبى عليه السلام بدعوته الى المحبة والسلام والتعاون والرفاهية والعلم والعمل ، واستطاعت هذه القومية أن تقف فى وجه الصليبيين سنة ١١٤٤ م فانتصر عليهم عماد الدين زنكى فى آمارة الرها ، وانتصر عليهم صلاح الدين الايوبى فى موقعة حطين ، واستطاعت القومية العربية أن تقف فى وجه التتار فى عين جالوت ، ولما احتل الترك البلاد العربية أصيبت القومية العربية بالضعف وقام الحكم التركى العثمانى على أساس تفتيت الامة العربية وتقسيمها ، ولما ضعفت الدولة العثمانية أخذت الدول الاستعمارية فى تصفية أملاك «الرجل المريض » وأخذت فى العمل على تمزيق شعوب الدول العربية .

ان قوميتنا تهدف الى تحقيق المبادىء الآتية :

١ ـ السلام العالمى .

٢ ـ التعاون مع كل الدول وتحقيق التعايش السلمى .

٣ ـ تحقيق حق تقرير المصير .

٤ ـ الحياد الايجابى .

ومن الناحية الداخلية تهدف قوميتنا الى تحقيق الاشتراكية الديمقراطية التعاونية

أما الوسائل التى تحقق الشعور القومى المتدفق فهى :

(أ) عمليات التحصين :

ونقصد بها عملية تحصين المواطنين فى مختلف مراحل نموهم ومستوياتهم المختلفة بقوميتنا وفلسفتها ومذهبها النابع من تاريخنا وظروفنا وديننا .. ويجب أن نوجه المواطنين نحو مقاومة الغزو الفكرى والدعائى الذى يوجه الينا من جهات كثيرة ، وتبدأ هذه العملية حين يبدأ الطفل هضم العقائد ، وهى عملية دائمة مستمرة تلازم الفرد طول عمره . وتحتاج الى رائد صالح واع مؤمن بقوميته ، كما تحتاج الى مواد والى أفكار تناسب كل مستوى وكل مرحلة ، والوسائل والادوات التى تساعد على تلقين هذه المعلومات وتشمل هذه المقاومة ، المنهج الدراسى ، والكتاب والصحيفة ، والاذاعة والأندية ، والمتاحف ، والمعارض والتربية الفعلية والخلقية لتكوين المواطن الذى لا تخدعه الاباطيل ، وشحن المناهج الدراسية بالشرارة القومية ، مع عقد المؤتمرات والقاء المحاضرات والندوات وغيرها .

(ب) عمليات التطهير :

يقصد بها تطهير الجو الذى يعيش فيه المواطن من الوقوع فى الحفر التى تتجمع فيها الجراثيم الوافدة ، وبذلك نمنع تسربها الى الأصحاء ، وتنقية الفكر والروح من مخلفات الفكر القديم ورواسب الماضى ، وتنقية الجو من السموم التى تحملها الدعايات الخارجية التى يطلقها أعداء العروبة . فلا نحتقر العمل اليدوى ،

ولا نقر استغلال قلة من الناس للأغلبية الساحقة ، بنبذ التفاخر والمباهاة والتظاهر والتعاظم ، كما يجب تطوير عقليات الشباب بما يتفق مع تطورات العالم الحديث .

(جـ) الوقاية :

الوقاية من الأسلحة الفكرية والدعائية الفتاكة الخادعة ، ويتطلب ذلك نشر الأحداث المحلية والعالمية ، وتبصير المواطنين بمواطن الحق والباطل فيها .

ووقاية الشباب من الانحراف المغرض الذى تموله وتسهر على تشجيعه فئة من الرجعيين .

الحياد الايجابي والتعايش السلمي

(أ) مفهوم الحياد الايجابي :

معنى الحياد : ان يكون الانسان غير متصل بالشيء لاعن قرب ولا عن بعد ، ولذلك كان العرب يقولون : « سار فلان على حيد الطريق » أي على جانبه ، وليس على الطريق نفسه ، ومنه حاد عن الطريق آي مال عنه وعدل .... وهذا المعنى اللغوى صار اصطلاحا سياسيا فيما بعد بمعنى عدم الانحياز الى جانب من الجوانب أو الاستقلال والسير على طور مخصوص لا يميل الى هنا ولا ينحاز الى هناك .

أما معنى الايجابى : وهي صفة الحياد العربى فهو انه ليس سلبيا حتى لا يكون معنى الحياد الانفصال حين تكون هناك معركة بين اثنين ، أو بين جماعتين فيلتزم ثالث أو جماعة ما حيادا في هذا العراك ، وهم اما أن يكونوا حياديين سلبيين يرقبون العراك أو لا يرقبونه ، يقظين أو نائمين ، ولكنهم لا يقومون بأى عمل ، وهنا يكون حيادهم سلبيا ، فهم لا يؤثرون في العراك ولا يتأثرون به ، وهذا النوع من الحياد رذيلة ، لأنه الغاء لوجود الحياة بما فيها من فكر وارادة ، وينقل صاحبه الى عالم الجماد ؛ ولذلك يوصف حيادنا بأنه ايجابى تنزيها له عن ذلك الحياد . وهو يعني عدم الانحياز لأى طرف من الأطراف المتشاحنة مع التزام خطة ليس فيها تأييد لهذا أو لذاك ، وليس فيها معاداة للطرفين معا .

فحيادنا مصحوب بعمل وخطة ورأى ، وهو بذلك حياد غير صامت . حياد بناء متحرك ان موقعنا الوسط يجعلنا ننظر الى الشرق والى الغرب ، فنرى قوى تتحرك وتتصارع ، ونرى هنا خطة ومذهبا .. نرى الشيوعية في ناحية والراسمالية في

الناحية الأخرى ، والشيوعية والرأسمالية هما القوتان اللتان تتحكمان في مصائر العالم اليوم .

ونحن اذا رجعنا الى التاريخ القديم والحديث ، وأنعمنا النظر في حوادثها نجد أن معاركنا كانت دائما دفاعية ، حتى الغزوات التى قام بها الرسول وصحبه كانت دفاعيـة ، لانهم كانوا قوما مستبعدين من ديارهم ، محرومين من أموالهم وأراضيهم وأهليهم ، فهاجروا من بلد الى آخر لا أهل ولا مال فيه ، ولذلك كان لا بد لهم أن يعودوا ثانية الى وطنهم كما هو الشأن فى حالة اللاجئين العرب الآن ، الذين شردهم اليهود ، فاذا تمكن العرب في يوم ما ــ وسوف يأتى هذا اليوم قريبا ــ ان شاء الله ، وحاربوا اليهود حتى استردوا أراضيهم السليبة ، فان هذه الحرب لاشك ستكون حربا دفاعية ، أما غير ذلك من الحروب التى وقعت مع الروم والفرس والصليبيين والمغول والتتار فقد كانت كلها معارك دفاعية أيضا لصد غارات هؤلاء الغزاة . واذا كان المعسكر الشيوعى قد أيدنا فى العصر الحديث فى بعض مواقفنا ، فان تأييده لنا لا يمكن أن يكون اخلاصا أبديا يفرض علينا أن نكون فى معسكره . لقد كانوا أصدقاء لنا ، وكنا أصدقاء لهم ولكننا أصدقاء فقط ، وكل منا يسير فى طريقه الخاص ، وطريقنا هو الحيدة ، وكل من يمشى معنا فهو صديقنا ، واذا انحرف فليس منا ولسنا منه .

والحقيقة أن الخلاف بين المعسكرين هو خلاف ثقافى ، ففى الشرق نجد الثقافة الشيوعيـة التى لاتؤمن بالملك الخاص ، وفى الغرب نجد الثقافة الرأسمالية التى تؤمن بالحرية الاقتصادية . ولسنا فى حاجة لأن نأخذ فلسفة من أحد ، لا من الشرق ولا من الغرب ، لأن لدينا ما يكفينا من الثقافة ، لدينا الثقافة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية النابعة من ظروفنا ومن تاريخنا ومن ديننا ، ونحن حين نسعى للسلام العالمى انما نستوحى هذه الفكرة من ديننا الحنيف الذى ينادى بالحب والسلام والتسامح والتعاطف والتعاون والاخاء والمساواة والعدل وتكافؤ الفرص ، فالاسلام يدعو الى التسامح مع العدوان « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .. ولذلك أخذنا طريقا مستقيما ، لنا طريق ، ولنا هدف ، ولنا صورة نريدها للبشرية وللعالم :

ولا ينبغي أن ننحرف عنها يمينا أو شمالا ، ولا نلتفت الى غير طريقنا ، ومن يسيرون على يميننا يلتقون معنا على هذا الطريق فهم أخوة لنا حتى نفترق ، والذين على يسارنا قد يلتقون معنا على هذا الطريق أيضا ، فهم فيه معنا أخوة حتى نفترق ، نحن أصدقاؤهم حين نلتقي ، وحين ينصرفون عنا ليذهب كل واحد منهم الى حيث يشاء ، ومتى يشاء ، لن نفتقد الذى كان على يسارنا ولن نخسر الذى كان على يميننا ، ومعنى حيادنا أننا سائرون لوجهتنا . وايجاب هذا الحياد يقضى بأن نمضى فى خطتنا بلا وقوف ولا جمود ، لأننا سائرون الى حيث أراد الله لانشاء المجتمع الكريم الذى يريده الله ، فان التقوا معنا فأهلا بهم ، وان افترقوا عنا فلا هم أهل ولا أعداء .

وهذا هو معنى قول الرئيس جمال عبد الناصر : « نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا » ونحن لا نبالى اذا لم يكن لنا صديق أو عدو .

وهذا الحياد موجود فى القرآن بمدلوله لا بألفاظه ، فتقول الآية الكريمة : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » ومعنى ذلك أن عليك نفسك ، الزم نفسك ، والزم حدك ، وواجبك ، لا يؤثر فيك كافر عن اليمين ولا كافر عن الشمال ولا يجعلك تغير خطتك ، فاسلك طريقك الى هدفك والى غايتك فان مشى معك من مشى فأنت وهو رفيقان والا فأنت ونفسك ، ولا يعنيك أن يلحق بك أو لا يلحق بك . هى دعوة الى الحياد الايجابى لاتنحاز ، لان الذين يريدوننا أن ننحاز لهم يريدوننا كما يتمنون هم لا كما نريد نحن .

فالحياد الايجابى دين وقومية واكتشاف جديد فى فلسفة حياتنا المعاصرة ، واتباعنا لسياسة الحياد الايجابى هو الذى سيحقق وصف الله تعالى لنا بأننا أمة وسط ، وسيحقق الحقيقة الجغرافية اننا أمة وسط ، وهذا المذهب الذى تتعلق به آمال البشرية كلها لمستقبل آمن سالم ، حين يتصارع الشرق مع الغرب صراعا قد يفنى فيه الشرق وقد يفنى فيه الغرب ، وقد يفنى فيه الطرفان معا ، وعلى ذلك يكون هذا المذهب نواة لحياة جديدة ،

ولا ينبغى أن تكون غاية كفاح الأجيال المعاصرة أن ينتصر الشرق أو أن ينتصر الغرب .

فلا غرابة أن يكون محور سياسة الجمهورية العربية المتحدة التمسك بمبدأ الحياد الايجابى الذى اعتنقته عن ايمان وبصيرة : ايمان بالاعتزاز بالكرامة والسيادة ، فلا يعتدى عليها معتد الا ردته على أعقابه مدحورا . والعرب عامل من عوامل السلام ، وتخفيف حدة التوتر العالمى ، ولقد توصلنا الى هذه السياسة من صميم الأحداث التى مرت بنا ، والأخطار التى تهددنا ، والقوى الاستعمارية المدمرة التى تحاول استنزاف موارد هذه المنطقة الغنية بالثروات الزراعية والمعدنية .

ولقد استفدنا من تجاربنا مع المستعمر ، وقاسينا كثيرا من أكاذيبه ووعوده فى الحرب العالمية الاولى ، والحرب العالمية الثانية ، وحرب فلسطين ، وكيف كان يستغل العرب ثم يغدر بهم ، ولذلك اتخذنا موقف الحذر منه والحيدة عنه .

ويهدف الحياد الايجابى — الى جانب حمايتنا من أن نكون رمادا لحرب تجرنا فيها احدى الدول الكبرى — انه ينشد التعايش السلمى والتعاون الدولى ، ويعتبر الرئيس جمال عبد الناصر داعية هذا المذهب ، ولذلك يحاول المستعمر أن يزحزحه عنه باستخدام أساليب دنسة كالحرب العدوانية التى وقعت فى سنة ١٩٥٦ ، والحصار الاقتصادى ، والحرب الدعائية النفسية المسمومة ، ولكن هذه المؤامرات فشلت أمام الايمان الراسخ ، والبصيرة النافذة .

ويؤكد الرئيس هذا المعنى بقوله : انتا أصبحنا دولة مستقلة ، ذات شخصية مستقلة ، فما نريده نوافق عليه ، وما لا نريده لا نوافق عليه ، وليس لأية دولة أجنبية سيطرة علينا أو توجيه لسياستنا ، وأصبحنا ضد الاستعمار والعبودية ، نعمل للحرية ، ونساعد كل دولة تنشد الحرية والاستقلال لتقرير مصيرها ، ونعمل على أن يسود السلام فى هذه الأرض التى تتسع لجميع البشر ، ونحارب الاحلاف العسكرية ، لأنها دعوة الى الحروب والخراب . وسياستنا الخارجية تقوم على أساس حق الشعوب

فى تقرير مصيرها بنفسها ؛ ونطالب الدول الكبرى بالتزام مبادىء ميثاق هيئة الأمم المتحدة التى قطعته على نفسها ، كما أننا نؤمن بالنظام الدولى الذى رسمه ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ونحن نطالب به كعقيدة وروح ، بصرف النظر عما تحققه هيئة الأمم من انتصار ، كما أننا نسعى سعيا متصلا لتوسيع دائرة التعاون بين دول الكتلة الآسيوية والافويقية ؛ حتى نتمكن من القيام بدور هام فى تخفيف حدة التوتر الدولى ، وفى تدعيم الرخاء والسلام العالميين .

اننا لم نحصل على هذا الحياد بطريقة سهلة ميسورة وانما خضنا المعارك الكبيرة، فقد أغدق الاستعمار الأسلحة على اسرائيل، وحرمنا اياها ، واستخدم معنا كل وسائل الضغط حتى نحيد عن الحياد ؛ وننقاد الى معسكره المدمر ، وكان رفض تمويل مشروع السد العالى وسيلة من وسائل الضغط علينا ، ثم كان العدوان الثلاثى على مصر قمة الضغط السياسى علينا ؛ ولكنا وقد ذقنا ويلات التحيز والتبعية والخضوع لمناطق النفوذ لا يمكن أن ننحاز لها مرة ثانية . لقد ناضلنا وكافحنا مرارا حتى وصلنا الى هذه الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، التى لن نفرط فيها؛ ولن نلدغ من جحر مرتين .

ويهاجم الاستعمار الحياد بقوله : انه يمنح فرصة للنفوذ السياسى الشيوعى لكى يتغلغل فى الشرق ، ولكننا نهدف الى الاستقلال الكامل فى سياستنا ؛ فنسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ، لأننا نريد أن نعيش فى سلام وأن يعيش غيرنا كذلك فى سلام .

ونحن لا نقبل أن يملى علينا غيرنا سياستنا ، لأن سياستنا تنبع من ضميرنا ، ومن ظروفنا ، ونحن على أهبة الاستعداد للتعاون مع الجميع ، ومد يد الصداقة للجميع على أساس الند للند والنظير للنظير ، ونتيجة لاتباع هذه السياسة الاستقلالية الحيادية أصبح لنا وزن ، وأصبحت لنا قيمة فى المحيط الدولى ، وأصبح صوت رئيسنا يدوى بالسلام فى مؤتمرات السلام ، فى باندونج ، ونيروبى ، وحاربنا كل تدخل خارجى ، وكل اعتداء على سياسة الدول وحريتها .

ولكى نتمكن من صيانة حريتنا واستقلالنا وحيادنا أنشأنا جيشنا الوطنى القوى فحققنا الهدف الخامس من أهداف ثورتنا المباركة حتى يكون الدرع الواقية لنا ضد غزوات المستعمر .

ان سياستنا تنبع من ظروفنا وتقرر هنا فى القاهرة لا فى موسكو ، ولا فى لندن ... سياسة تستهدف مصلحتنا وليست مصلحة غيرنا ... اننا نعمل جاهدين لتحقيق السلام العالمى .

ونحن نستوحى سياستنا فى الحياد من مشاعر الانسانية جمعاء ، فنحن ننادى بتحريم أسلحة القتل والتدمير الجماعى ، ونطالب بالأخذ بمقترحات هيئة الأمم المتحدة لتنظيم وتحديد القوات المسلحة ومنع سباق التسلح ، ثم اننا نحترم ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ونعتبر كل قرار يصدر مخالفا لقراراتها باطلا . كما أننا نطالب هيئة الأمم بقرار عادل يحسم مسألة فلسطين العربية ، ونطالب أيضا بضرورة احترام كل دولة لالتزاماتها الدولية فى النطاق الذى يحدده ميثاق هيئة الأمم .

ونطالب كذلك بأن تكف الدول الكبرى عن اتخاذ الدول الصغرى وسيلة لتحقيق أغراضها ، وأن تكف الدول الكبرى عن سياستها العدوانية على الدول الصغرى وبخاصة تلك التى تعمل على عزل هذه الدول عن غيرها من الدول ، كى تظل فريسة سهلة فى أيدى الدولة الكبيرة المسيطرة عليها ، وذلك ايمانا منا بأنه من حق هذه الدول الصغيرة أن تنهض بدورها فى تحسين العلاقات وتخفيف حدة التوتر الدولى ، كما اننا نطالب بتصفية الاستعمار الذى كان دائما مصدر التصادم ومبعث القلق والتوتر .

ولقد اتخذنا من الحرب الباردة التى نشبت بين المعسكرين موقفا ايجابيا يقوم على أساس عدم السير فى سياسة من شأنها توسيع الهوة بين المعسكرين ، أو ازدياد حدة التوتر الدولى ، فكانت سياسة عدم الانحياز وسيلتنا الى ذلك ، وسياسة عدم الانحياز أدعى الى تدعيم السلام الدولى، بل لقد أصبحت هذه السياسة ناجحة واقتنع بها الكثيرون .

ولقد كان من نتائج اتخاذنا لسياسة الحياد الايجابى أن

الزدهرت روح القومية العربية ، واشـتد ساعدها ، وهب الشعب العربى فى الجزائر وغيرها يكافح ضد الاستعمار .

وتطبيقا لسياسـتنا الحيادية الحرة هـذه رفضنا كل حلول الاستعمار لمشكلة فلسطين ، وطالبنا باعادة العرب اللاجئين الى وطنهم السليب .

وصداقتنا لكل من الدول الشرقية والدول الغربية لا تمنع حيادنا ، فنحن نصادق من يصادقنا من المعسكرين بعيدا عن كل معنى مذهبى ، ولذلك اتخذنا شعارا لنا هو « لا شرقية ولا غربية » على أن طريق الحياد ليس سهلا ميسورا ، لأننا نريد أن نكون أحرارا فى بلادنا ، وأن تكون تصرفاتنا صـادرة عن ذات أنفسنا ، ولا نكون منطقة نفوذ لأحد ، ونحن الذين نتولى الدفاع عن أنفسنا وعن أراضينا ولا نقبل أن يدافع عنا غيرنا . وبهذا نقاوم النفوذ كما قاومناه فى شكل حلف بغداد ، لأنه لم يكن الا قاعدة للهجوم علينا وعلى باقى البلاد العربية ، ولذلك يجب أن تكون خطة الدفاع عن البـلاد العربية « عربية » لا يدخل فيها أجنبى ، ولقد تعرضنا فى تاريخنا الحديث لمحاولات أرادت أن تجر مصر الى الاحلاف العسكرية مع دول كبرى ، ورفضنا لأن السيادة ستكون للدولة الكبيرة .

ولقد قاسينا كثيرا حتى حصلنا على الاستقلال ، ولذلك لن نفرط فيه كليا أو جزئيا ، والدفاع يجب أن يكون صادرا من هـذه المنطقة ذاتها ، وليس من خارجها ، ولما تبنت الجمهورية العربية هذه الدعوة تربص لها الاستعمار ، وحاول نشر الدعاية ضدها ، كمـا حاول نصرة اليهود علينا ، ولكننا على اسـتعداد لان نبذل الروح والجهد والمـال فى سبيل مساعدة كل دولة تسعى الى الحـرية والاستقلال . ان من بين مفاهيم القومية العربية ، التى هى عقيدتنا ، تحقيق سياسة الحياد الايجابى .

ان العالم أجمع ينادى الآن بسياسة السلام ، وتطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة لابعاد شبح الحرب ، وتأييد سياسة التعايش السلمى ، ونحن حين ننادى بالسلام لا نقصد بذلك الاستسلام ، لأن هناك فرقا بين السلام والاستسلام ، وان كان غيرنا يريد لنا

الاستسلام ، ولكننا نريد السلام ، اننا نريد أن نعيش عيشة كريمة حرة ، ويمتاز مذهب الحياد الايجابى بالاجماع عليه ، فان كل فرد من أفراد الامة العربية يؤمن به ويسعى الى تحقيقه •

* * *

الاعلان العالمى لحقوق الانسان :

هو الاعلان الذى ننادى باحترام نصوصه وفى مقدمتها حقوق الانسان ، وقد صدر هذا الاعلان فى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٤٨ لكفالة العدالة والحرية • ذلك لأن اغفال حقوق الانسان أنتج أعمالا وحشية أثارت سخط الضمير الانسانى ، ولأن أسمى ما يصبو الانسان اليه هو حرية العقيدة والرأى والتحرر من العوز والحاجة ، فان صيانة حقوق الانسان خير ضمان للأمان حتى لايدفعه يأسه الى الثورة على الطغيان ، كما اتفقت الأمم المتحدة على العمل لزيادة التقدم الاجتماعى ، ورفع مستوى المعيشة ، وهذا أيضا ما تهدف اليه حكومتنا الحالية ، وقد صدر هذا الاعلان ليكون المثل الأعلى لجميع الأمم تسعى الى بلوغه • ولقد تضمن هذا الاعلان ، « الناس احرار متساوون فى الكرامة والحقوق ، وينبغى أن يعاملوا على أساس الحرية والمساواة بصرف النظر عن جنس الفرد أو لغته أو دينه أو طبقته الاجتماعية ، » ونحن لذلك نقاوم سياسة التفرقة العنصرية •

كما انه يحرم الرق ويمنح الانسان حق الحياة ، ولكل فرد الحق فى أن يحميه القانون ، ولهذا نطالب الأمم المتحدة بأن تحمى بقانونها عرب فلسطين المشردين •

ولقد احتوى هذا الاعلان على أنواع الحريات المختلفة التى ينبغى أن تتوافر للانسان ، كحرية الدين ، والعمل ، والاقامة ، والزواج ، وحرية الرأى ، وضرورة كفالة حقوق الانسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، والجمهورية العربية المتحدة تسير على هدى من هذه المبادىء الانسانية فى سياستها الخارجية والداخلية •

دعوتنا الى السلام والتعاون :

نحن ندعو للسلام ، ونعمل على ازالة حدة التوتر الدولى بين المعسكرين المتصارعين ، ونطالب بتحريم استخدام الأسلحة النووية الفتاكة ، ولذلك يقول الرئيس جمال عبد الناصر : « نحن ضد الحرب ·· ونحن مع السلام ·· ويجب أن نعمل على أن يسود السلام هذه الأرض ·· لأن هذه الأرض فيها متسع للجميع » · ثم يقول في مقام آخر : « ليس معنى السلم مجرد انعدام الحرب ، بل ان السلم يستلزم جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية » ·

وهنا نلمس معنى الايجابية في سياستنا ، اننا أصحاب دعوة الى السلام ، ورفع مستوى معيشة الشعوب الى جانب اننا حياديون·

ولقد تمخض مؤتمر باندونج الذى عقد سنة ١٩٥٥ عن مبدأ تدعيم السلام العالمى واحترام سيادة الدول واستقلالها ، وتأييد حق الشعوب ، التى ما زالت تكتوى بسياط المستعمر – فى تقرير مصيرها ، وتحريم استخدام اتفاقات الدفاع الجماعى لخدمة دولة كبيرة على حساب دولة صغيرة ·

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج : « ان بلادى وهى مخلصة لمبادىء الأمم المتحدة أيدت دائما جميع الجهود التي تهدف الى التعاون الدولى والوفاق العالمى فى سبيل تلك المبادىء ولهذا وقفت مخلصة للدفاع عن المبادىء التى يعتبر احترامها السبيل الوحيد الى سلام وطيد دائم » ··

وبذلك يكون الرئيس جمال عبد الناصر قد خرج بمعنى الحياد من مجرد كلام أجوف الى معنى ايجابى فعال شامل للنهوض الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ·

وتوكيدا لهذا المبدأ يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى الخطاب الذى ألقاه على أعضاء الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ : « انكم تعلمون أيها السادة ان الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بسياسة عدم الانحياز وتتخذ دائما ميزانا لا يحيد ولا يتحيز،

ولقد بذلت الكثير من الجهود في سبيل المحافظة على عدم الانحياز ، ايمانا منها بأن ذلك ادعى الى استقلالها من ناحية ، والى صيانة السلام الحقيقى من ناحية أخرى ٠٠٠ لقد رفضنا برغم كل المؤثرات ان نكون من أدوات الحرب الباردة ، وكذلك جاهدنا ما وسعنا ، وواتتنا الظروف لاطراح هذه السياسة ادراكا منا بأن السلام لا يتوافر بانقسام العالم الى أجزاء متخاصمة أو كتل متباعدة لا صلة فيها غير الخنادق والأسلاك الشائكة تربض وراءها معدات العدوان وأسلحة القتل والتدمير وانما يتوافر السلام بأن تتسع جبهة الاخاء بين الشعوب ، وأن يجرى بينها الاتصال المنتج والتفاعل الخلاق على أوسع نطاق ممكن ٠

ولقد كان مؤتمر باندونج الذى دعيت اليه الشعوب الأفريقية والآسيوية ذروة من ذروات كفاحنا الوطنى فى الدعوة الايجابية الى مبادئها ٠

ثم يقول الرئيس : « ان الحرب والسلام ملك لجميع الشعوب، وعلى ذلك فان الدول الكبرى لا تملك وحدها كلمة الحرب والسلام ، لأنها ملك للجنس البشرى كله ، وعلى ذلك فاننا بالنسبة للسلام ننحاز له ولا ننحاز للحرب ٠ اننا ننحاز للسلام وننحاز ضد الحرب ٠

وهكذا لأن الدول غير المنحازة تقوم على الدعوة من أجل السلام، وتسعى لوصول الأطراف المتباعدة الى التعايش السلمى بين الدول ذات العقائد والمبادىء الاجتماعية المختلفة ، وتساعد على ازالة حدة التوتر ، فتشيع الطمأنينه فى النفوس ٠ ثم اننا ننادى بازالة القواعد العسكرية ، ونطالب بوقف التجارب الذرية ، والتخلص من المخزون المكدس منها ، وننادى بخفض مستمر للتسلح ، ودعم التعاون الدولى ، واستخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية .

ويقول أعداء فكرة التعايش السلمى انها خديعة يروجها الدعاة لها ، كسبا للوقت والسمعة ، وسترا للحذر والاستعداد من الجانبين ولكن قبل هذه الدعوة وجدت دعوات أخرى كان يقال فيها مثل ما يقال فى دعوة التعايش السلمى ، كدعوة تحرير الرقيق ، وحق تقرير المصير ، وانصاف الضعفاء ، والحذر ووجوده بين الداعين الى التعايش

السلمي لا يعني عدم صدق الدعوة ، فان معسكر الشيوعية لا يؤمن وجوده مع وجود الرأسمالية ، لايمان كلا الطرفين بفكرة التعايش السلمي ، ولا شك أن عقيدة التعايش السلمي ستنتصر وستقنع الناس فترجح كفة السلم على الحرب ٠

ويتحقق التعايش السلمي بمعرفة جميع الحقائق والأباطيل ، والوقوف على الموانع والعقبات ، والعلم بطبيعة هذه الموانع التى تقف فى وجه سلام العالم ٠

ان السياسه الخارجية للجمهوزيه العربية هى انعكاس أمين لامال الوطن وظروفه ، وتقوم على ثلاث دعامات هى :

١ ـ الحرب ضد الاستعمار ومقاومة كل سيطرة ، وكشف أقنعة الاستعمار ومحاربته فى أوكاره الداخليه والخارجية ٠

٢ ـ العمل من أجل تحقيق السلام العالمى ، لأن جو السلام هو الذى يمنحنا فرص التقدم الوطنى ٠

٣ ـ تحقيق التعاون الدولى من أجل تحقيق الرخاء والرفاهية للمجتمع البشرى ، ولقد قاوم شعبنا على مر التاريخ ثلاث امبراطوريات : العثمانية ، والفرنسة ، والانجليزية وقاوم غزوها وانتصر عليها ، ولن نسمح بقيام الاستعمار فى أى شكل من أشكاله ٠

ثم سياستنا تقوم على أساس محاربة التفرقة العنصرية ، لأنها انتهاك لكرامة الانسانيه ، واسترقاق فى عصر انعدم فيه الرق. كما نطالب بتحريم استخدام الأسلحة الذرية فى جميع مؤتمرات السلام ، وفى هيئة الأمم المتحدة ، ونطالب بنزع السلاح تحقيقا للسلام الذى هو طريقنا نحو تطوير مجتمعنا ٠

ولذلك كان شعارنا بحق « عدم الانحياز والحياد الايجابى » والسلام لا الاستسلام ، فنحن نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ، ولكن لا نستسلم ، والتعاون الدولى يقضى بطرح الأسرار العلمية والاختراعات أمام الجميع فان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية ، كما يقضى باستخدام الذرة فى الأغراض

السلمية حتى تخدم التطور البشرى ، وتضىء جوانب التخلف المظلم، والتبشير بتوجيه المبالغ الطائلة التى تنفقها الدول على التسلح فى محاولة خدمة الحياة ، بدلا من أن تتربص بها ، وتقضى على التكتلات الاقتصادية ؛ هذا التعاون الدولى الذى نؤمن به نقدمه للدول الأخرى مقرونا بالعمل الايجابى ٠

تلخيص مبادىء سياستنا الخارجية

١ ـ الحياد الايجابى والتعايش السلمى وعدم الانحياز لأى من المعسكرين المتصارعين ٠

٢ ـ التعاون الدولى لتحقيق الرخاء والرفاهية لجميع شعوب الأرض ٠

٣ ـ تحريم استخدام الأسلحة الذرية الفتاكة ، ومنع التجارب الذرية وتصريف المكدس منها ٠

٤ ـ الدعوة الى استخدام الذرة فى الأغراض السلمية خدمة للتطور البشرى ٠

٥ ـ محاربة التكتلات العسكرية والحصارات الاقتصادية ، ومقاومة الأحلاف العسكريه ٠

٦ ـ الدعوة الى تحقيق السلام العالمى حتى يسهل على الانسانية أن تنهض وتحقق سعادة البشر ٠

٧ ـ محاربة الاستعمار بجميع صوره وألوانه فى كل مكان ، ومساعدة الشعوب المتطلعة للحرية على بلوغ ما تصبو اليه ٠

٨ ـ المطالبة بحق تقرير المصير للدول الصغيرة ٠

٩ ـ دعوة الدول لاحترام ميثاق هيئة الأمم المتحدة ٠

١٠ ـ الدعوة الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة ٠

١١ ـ دعوة الدول الآسيوية والافريقية للتضامن ٠

١٢ ـ التعامل الاقتصادى مع مختلف دول العالم ٠

دور التربية في تحقيق الايديولوجية العربية

لا شك أن التربية فى كل زمان ومكان هى أداة المجتمع ووسيلة لتحقيق أهدافه وآماله ، لأنها عدته فى اعداد الافراد الذين يقومون بالخدمات والانتاج الذى يتطلبه المجتمع ، والتربية بحق هى عملية صناعة المواطنين ، فالمؤسسات التربويه تعدهم ليضطلعوا بأعباء الحياة الاجتماعية ، وتساعدهم على أن يكونوا مواطنين صالحين للمعيشة فى هذا المجتمع بالذات ، وتزودهم بوسائل المعيشة فى البيئة الطبيعية والاجتماعية ، فالتربية تخرج المواطن المنتج المؤمن بحقوقه وواجباته ٠

وهدف التربية هو خلق جيل واع مستنير مؤمن بالله وبوطنه، ويملك ارادة النضال المشترك ، والتربية تستمد مقوماتها وموجهاتها وأهدافها ووسائلها من المجتمع وحاجاته ، ومهنه وظروفه ، وقيمه وحرفه وآداب السلوك ومعايير الحق والخير والجمال فيه ، ولذلك وجدنا لكل مجتمع فى كل عصر نوعا معينا من التربية ، فالتربية التى تصلح لمجتمع شيوعى لا تصلح لمجتمع رأسمالى ، وتلك التى تصلح لمجتمع ديمقراطى لا تصلح لمجتمع دكتاتورى استبدادى ٠

والتربية فى العصور الحديثة خضعت للدولة حتى تكون فى خدمة المجتمع ، وفى خدمة الشعب ، لا فى مصلحة فئة معينة ، أو طائفة معينة كرجال الدين ، أو طبقة الأغنياء أو غير ذلك من الجماعات والطوائف ٠ وتقوم التربية بنشر عناصر الثقافة بين أفراد الجماعة ، كما تساهم التربية فى تحقيق التطور والتقدم للجماعة عن طريق ترقية ثقافتها فتعمل على تخليصها مما بها من شوائب ، وحل ما يوجد بها من مشكلات ٠ والعنصر الثقافى الجديد الذى لا يدخل ضمن مناهج التربية والتعليم لا يكتب له البقاء ٠

ونحن اذا نظرنا عبر التاريخ وجدنا أن وظيفة التربية كانت

تحقيق أغراض الجماعه • ففي العصــــور البدائية كانت وظيفة التربية هي مساعدة البدائي في المعيشة على البيئة الطبيعية ، ومع الناس عن طريق تعليمه طرق الصيد والزراعة ، وفي العصــــور الوسطى كانت وظيفة التربية نقل التراث الثقافي والمحافظة عليه كما هو ، لأنه كان من مصلحة المجتمع الاقطاعي المحافظة على هـذا التراث وعلى هذه النظم • وفي العصر الحديث عندما ظهرت فكرة القوميات وأصبح من أهداف المجتمع تحقيـــق التماسك الاجتماعي أصبحت وظيفة التربية تحقيق هـذا التماسك الاجتماعي عن طريق تنمية الحساسية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع الواحد ، وعن طريق تنمية الشعور الوطني القومي ، وعن طريق صقل شخصيات المواطنين بصورة واحدة بوساطة تزويدهم بثقافة موحدة ، وبذلك عملت التربية على تحقيق التماسك الاجتماعي الذي هو هدف من أهداف الجماعة المعاصرة •

والتربية في المجتمـــع العربي لا بد أن تكون وسيلة المجتمع لتحقيق أهدافه الديمقراطية، ورفع مستوى المعيشة وتشجيع حركة التصنيع ، وتحقيق المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعــــاوني المتحرر من العوز والفاقة والفقر والحرمان ، المجتمع الذي ترفرف عليه الرفاهية ويسوده الوئام والانسجام والتماسك • ومن أهدافها أيضا تحقيق الوحدة الشاملة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية المتجلية في عدالة توزيع الثروة على جميــــع أفراد الأمة كل بحسب عمله وبحسب انتاجه ، ثم من أهدافه كذلك المساهمة في تقرير السلام العالمي ومنع شبح الحرب ، وتحريم اســـــتخدام الاسلحة الذرية والمناداة بحق تقرير المصير ، وحرية الشعوب ، أي أنها تدين بمبدأ الحياد الايجابي والتعايش السلمي ، وتقف موقفا حياديا بين الكتلتين المتصارعتين: الشرقية والغربية اللتين تصطرعان من أجل السيطرة على العالم وبسط نفوذهما ، باستخدام أساليب الضغط والارهاب ، ولهذا اتجهت التربية في جمهوريتنا الفتية نحو الحياد الايجـــابي والتعايش السلمي في الاتجاه السياسي والاقتصادي للدولة مع ما تنادي به من الوقوف ضد الاحلاف العسكرية ، والعمل على منع الحرب الباردة ، ومساعدة الدول المتطلعة للحرية والسلام •

هذه هي أهداف الجمهـــورية العربية المتـــحدة في الداخل

والخارج ، وهذه هى فلسفتها ، وهذه هى صورتها المثالية المرتقبة: ولا شك أن للتربية دورا فعالا ايجابيا فى تحقيق هذه الصـــورة للمجتمع المنشود .

التربية والاشـتراكية

تعتمد الاشتراكية فى ناحيتها العملية الواقعية على ســلوك المواطنين وشخصياتهم، فقوام الاشتراكية هى الشخصية الانسانية، الشخصية التى تقبل فكرة المشاركة ، وتعتقد فى فلسفة المشاركة . وتستطيع أن تسلك فى الحياة سلوكا قائما على الأخذ والعطاء ، وعلى النظر الى مصالح المجموع ككل قبل أن تنظر الى المصــلحة الفردية الذاتية ... وهذا النوع من الشخصية هو اساس نجاح النظـام الاشتراكى ، ويجب أن يكون جميع المواطنين من هذا الطراز حتى تستطيع الاشتراكية أن تضرب بجذورها فى الجمـــاعة ، وأن تنظم الحياة اليومية التى هى مجموع حياة المواطنين . واذا كانت الاشتراكية تقوم على شخصية الفرد الى هذا الحد ، فان قضية اقرار الاشتراكية هى فى النهاية قضية تربوية ، لان هذه الشخصيات التى تعمل بوحى من العقيدة الاشتراكية لا بد لتكوينها من عملية تربوية .

والذى تستطيع المدرسة أن تعمله هو ان تعــالج شخصيات التلاميذ وتؤثر فيهم تأثيرا اشتراكيا ، ففى المقام الاول نجـد أن الاشتراكية تقوم على مفاهيم ومبادىء، وهذه المفاهيم يجب أن يتعلمها التلاميذ ، وأن يكون تعلمها قائما على الفهم والاقتنـــاع ، ووقوف التلميذ على دقائق هذه المفاهيم ومعرفة الفروق الدقيقة التى تميز النظام الاشتراكى عن غيره من النظم الاقتصــادية والاجتماعيـــة كالرأسمالية مثلا ، ثم معرفة الفروق بين اشتراكيتنا العربية وغيرها من الاشتراكيات . ويجب أن يعرف التلميذ مقومات النظام الاشتراكى ويعرف لماذا أخذنا بالنظام الاشتراكى ، وما القيم التى يســـعى اليها النظام الاشتراكى ؟ وما الظروف التى كانت سائدة قبـل أخذنا بهذا النظام ؟ .

كل هذه الحقائق يجب أن تزود المدرسة التلميذ بها ، وأن تدور جميع المواد الدراســـية نحو تحقيق هذه الفكرة ، حتى فى

مسائل الحســـاب يمكن أن تستخدم لتوضيح الفرق بين الملكية الرأسمالية والملكية الاشتراكية ، وبين مستوى المعيشة فى مجتمع رأسمالى ومجتمع اشتراكى •

ان الاشــتراكية هي ســلوك وأخلاق ومثــل عليا ، فدافع العمل فى النظام الرأسمالى هو الأنانية والأثرة والجشع ، والرغبة فى احتكار المنافع ، والسبق حتى ولو سار الانسان على رقاب غيره من الناس • أما دافع العمل والانتاج عند الفرد فى الاشتراكية فهو لذة العمل ، ولذة الانتاج ولذة الاضافة الى مصلحة الجمـــاعة ، ولذة التقدم فى مجموعة .

فبالتربية نستطيع أن ننشىء جيلا يقوم سلوكه واتجاهه على قيم الايثار والأخذ والعطاء والقدرة على اســتخلاص اللذة من سرور الناس •

ولكى تستطيع النفس أن تقهر نزعات الأنانية وأن تســمو الى سماء الجماعة والايثار لا بد من تربية الارادة وتقويتها حتى تنتصر فى هذه المعركة •

أما وسائل المدرسة فى تحقيق هذا فهى :

١ ـ المواد الدراسية وهى الادوات الاولى التى يملكها المعلم ، وتساعده على تحقيق أهدافه •

٢ ـ الحياة المدرسية وتنظيمها ، وهندسة المواقف التعليمية بها بحيث تستقر فيها هذه القيم ، وبحيث يجد التلميذ نفسه فى دائرة لا يمكنه الا أن يسلك السلوك الاشتراكى فيها •

فنبدأ أولا من عملية الضبط الاجتماعى ، ثم يتحول هــذا الضبط الاجتماعى الى ضبط داخلى ذاتى منبعث من العقيدة والايمان، ومن تعود الانسان على النمط السلوكى الاشتراكى •

وبعبارة أخرى ان الاشتراكية يجب أن تعلم فى المدرســة عن طريق الممارسة الفعلية •

٣ - استغلال الحوادث الجارية من المشروعات والخطط والاعمال والحوادث التى تقع فى المجتمع لتوضيح دلالة المفهوم الاشتراكى ، وتحليل الحياة العامة فى ضوء الفلسفة الاشتراكية .

هذا من ناحية المدرسة ، أما من ناحية الدولة والسلطات التربوية العليا فان الاشتراكية تستلزم تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص لجميع أبناء الامة ، ثم تعميم التعليم الالزامى بحيث يجد كل طفل مكانا فيه ، ويتطلب هذا رفع مستوى التعليم ، لان الاشتراكية معناها الانتاج ، والانتاج محتاج الى تعليم ، ونقصد بالانتاج هنا السلوك الايجابى فى حياة الجماعة .

وضرورة العناية بالتعليم الانتاجى الزراعى والصناعى والتجارى ، لأن الاشتراكية هى فلسفة الانتاج ، فهى تسعى الى رفع مستوى المعيشة ، والانتاج يحتاج الى تعليم فنى راق متعدد المستويات ، وليس معنى العناية بالتعليم الانتاجى اهمال النواحى الثقافية لان الزارع والصانع فى المجتمع الاشتراكى يجب أن يكون مثقفا ، اذ أن الامر فى الاشتراكية ليس أمر انتاج مادى بقدر ما هو توجيه اجتماعى لهذا الانتاج ، وهذا يقتضى اقتران المهارات الصناعية بالثقافة .

وفى المجتمع الاشتراكى تتحتم العناية بالعلوم الطبيعية سواء منها النظرية أو التطبيقية . والانتاج فى المجتمع الاشتراكى قوامه العلم الطبيعى والاختراع والابتكار ، ومن ثم لا تستطيع دولة اشتراكية أن تضن بالمال على البحوث العلمية والمخترعات فى ميدان العلم والتكنولوجيا .

تاريخ التربية فى مصر قبل الثورة :

لقد كان التعليم فى مصر قديما معتمدا على الكتاتيب والازهر الذى اهتم بالناحية الدينية وعلومها ، وكانت التربية تقوم على أساس تنمية ملكة الحفظ الآلى لما جاء فى متون الكتب القديمة ، ولما جاء محمد على الى مصر كانت سياسته التعليمية ترمى الى سد النقص فى الجيش والمصانع الحكومية من الضباط والمهندسين ، ففتح المدارس المختلفة بأعداد ضئيلة من الطلاب ، وأوفد البعثات الى الخارج ، وألحق هذه المدارس بالجيش ليتمكن من توسيع رقعة أملاكه فى الخارج ،

وصيانة مركزه في الداخل ولما انتهت آمال محمد على انتهت معهـــا مدارسه ·

ولما احتلت بريطانيا البلاد سنة ۱۸۸۲ أصبح هدف التربية تخريج موظفين لملء دواوين الحكومة ، فكانت تكثر المدارس تبعـــا لحاجة الحكومة الى الموظفين ، واستمر التعليم يخدم أغراض الاقطاع والرأسماليين ، وتحتكره القلة الضئيلة من أبناء الاغنياء حتى تذمر الشعب قبل قيام الثورة ، وأرغم الحكومة على تقرير مجانية التعليم حتى المرحلة الثانوية ، ولقد كانت الاخلاق منهارة ، والمثل العليـــا لا وجود لها في نفوس الشباب ، وضعف الاقبال على الاعمال الحرة وقل الاقبال على تحصيل العلم والمعرفة ·

ويمكن تلخيص مساوى النظم التعليمية فيما قبل الثورة فيما يلى :

١ ـ كان هناك ثلاثة أنواع من التعليم : تعليم حديث للاغنياء، وتعليم دينى للفقراء ، وتعليم أجنبى للارستقراطيين · ومن شأن وجود هذه الانواع المختلفة من التعليم تخريج شخصيات مختلفة تؤدى الى تفكك المجتمع وعدم تماسكه ·

٢ ـ ثم لم يكن هناك هدف واضح للتربية في ذهن الافراد ، وفي ذهن المجتمع ·

٣ ـ كما لم يكن هنـــاك تخطيط شـــــامل يرمى الى تحقيق أغراض المجتمع ويحقق التناسق بين جميع مراحل التعليم المختلفة ·

٤ ـ ولم يكن هناك تكافؤ للفرص التعليمية ، فكان التعليم حكرا على القادرين فقط ·

٥ ـ ومن مساوى النظم التعليمية ازدواج التعليم في المرحلة الاولى ، أو وجود ثنائية : وهى نوع مغلق لايؤدى الى مرحلة أعلى منه، ونوع آخر مفتوح الى آفاق أعلى من التعليم ·

٦ ـ من سمات التعليم قبل الثورة امتهان مقومات القومية العربية ، والحط من شأن كل ما هو عربي واحترامه ، وتقديس كل ما هو أجنبى · ولهذا امتهنت اللغة العربية وارتبطت بالفقـــراء من أبناء الشعب ·

٧ ـ ولقد تغلغل التعليم الاجنبى فى البـلاد وأدى الى تخريج شباب مائع يتحدثون برطانة أعجمية ، ولا يتحمسون لوطنهم ، ويحتقرون مظاهر قوميتهم وعروبتهم ويعدونها ضربا من التأخر والرجعية ٠

٨ ـ ومن مساوى النظم التعليمية قبل الثورة العناية بالتعليم النظرى ، واهمال شأن التعليم الفنى ، وبعد هذا التعليم النظرى عن الحياة بعد أن تغيرت من حوله وبقى هو جامدا يعيش فى عصر مضى . ولم تهتم الدولة بالتعليم الفنى الذى تقوم الصناعة على أساسه ، فلم تعن بخريجى هذه المدارس حتى اضطروا الى العمل فى ميادين أخرى ، ولم ترفع من شانهم ، ولا من شأن معلمى هذه المرحلة ، ولم تزود المدارس بالآلات والماكينات فكانت مدارس فنية نظرية فقط ٠

٩ ـ ومن مساوى الانظمة التعليمية أيضا خضوع التعليم لمركزية صارمة ، وهذا أدى الى التواكل وموت روح الابتكار والابتداع واهمال الاهالى لشئون التعليم وتأخر تنفيذ الاجراءات ٠

١٠ ـ ونتج عن هذا ان ضعف ميل التلاميذ الى التحصيل والبحث والقراءة والاطلاع ، وانصرفوا الى ألوان من مظاهر النشاط التخريبى ، والقيام بالمظاهرات العدائية المغرضة التى كانت تسخرهم فيها الاحزاب السياسية الموالية للاستعمار ٠

ولما تولت الثورة المباركة أمر البلاد قامت بعدة اصلاحات فى التعليم :

اصلاحات الثورة فى ميدان التربية والتعليم

يمكن تلخيص الاتجاهات الحديثة التى أدخلتها الثـورة على ميدان التربية والتعليم فيما يلى :

١ ـ الجمع بين التربية والتعليم فى اطار واحـد ليتكون المواطنون تكوينا سليما من النواحى العقلية والجسمية والروحية والاجتماعية والقومية ٠

٢ ـ تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص لجميع أبناء وبنات المواطنين على السواء فى الحصول على قدر مناسب من التربية والتعليم .

٣ ـ تحقيق التفاعل بين البيئة المدرسية ومشاركة المدرسة فى خدمة البيئة ودخول البيئة الى المدرسة .

٤ ـ احترام العمل اليدوى والزيادة المطردة فى التعليم الفنى والمهنى لسد حاجة الصناعة .

٥ ـ تدعيم التعليم الفنى العالى لسد حاجة البلاد من القادة والرواد المنفذين للمشروعات .

٦ ـ الاعتزاز بالوطن العربى باعتبارنا جزءا منه ، والاعتزاز بالقومية العربية وباللغة العربية .

٧ ـ العناية بالعلوم الطبيعية والفنون والآداب والافادة من نتائج العلم ومخترعاته .

٨ ـ التعاون الثقافى مع دول العالم العربى والدول الآسيوية والإفريقية .

٩ ـ العناية بالتعليم الابتدائى وتعميمه والنهوض بمستوى معلميه .

١٠ ـ الافادة من بحوث علم النفس وتطبيقها فى الميدان التربوى وخاصة علم النفس التربوى .

١١ ـ تحقيق اللامركزية المعتدلة فى الادارة التعليمية ، واشراك القائمين بالعمل فى توجيهها .

١٢ ـ توحيد التعليم الابتدائى والقضاء على الثنائية التى كان يعانى منها .

١٣ ـ تطبيق الادارة الديمقراطية فى المدرسة وتحسين العلاقة بين المدرس والتلميذ الى حد كبير .

١٤ ـ تطور فكرة التفتيش الفنى ولهذا تحولت من التسلط والقفش الى التوجيه والارشاد والنصح .

١٥ ـ ادخال مواد جديدة كالمجتمع العربي لتدريب الطلاب على حل مشكلات مجتمعهم والتعرف عليه •

١٦ ـ ادخال التربية العسكرية ضمن المناهج الدراسية لخلق جيل قوى يؤمن بالوطن •

١٧ ـ العناية باعداد المعلمين على مختلف مستوياتهم ، ورفع الكفاية الانتاجية والفنية للمعلمين •

١٨ ـ في العيد العاشر للثورة المباركة أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تقرير مجانية التعليم في جميع مراحله حتى التعليم العالى ، وفي هذا تحقيق لاشتراكية التعليم ، وتحقيق لمبدأ تكافؤ الفرص ، حتى لا يكون التعليم مقصورا على القادرين على دفع الرسوم والمصاريف ، وحتى يمكن للأمة أن تفيد من مواهب وقدرات وذكاء أبنائها الذين قد يطويهم الفقر تحت طياته (فقد كنا نعلم الاغنياء ما داموا أغنياء ونحرم الاذكياء ما داموا فقراء) •

١٩ ـ توفير الكتب والمطبوعات لتنمية ثقافة التلميذ وميوله للاطلاع •

ان فكرة المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني تمثل ملامح المستقبل الذى نعمل جميعا لايجاده ، وعلى التربية أن تقوم بتدعيم هذه المبادىء والايمان بها وتحديد مفاهيم هذه الاصطلاحات الثلاثة ، فالاشتراكية تتمثل في ناحيتين : ناحية سلبية تتمثل في القضاء على آثار الماضي البغيض ، ونبذ نظام الاقطاع واستغلال النفوذ والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وناحية ايجابية تتضمن العمل على تحقيق التنمية الاقتصادية وزيادة الانتاج المادى والفكرى ، وتوفير العدالة الاجتماعية ، ورفع مستوى المعيشة ، وتهيئة فرص الحياة الكريمة لجميع المواطنين ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص وتوزيع الثروة توزيعا عادلا •

أما الديمقراطية فانها تعنى مشاورة أفراد الجماعة في الأمور التي تهمهم والمساهمة في حل مشكلاتهم ، ويدخل في ذلك عمل المناقشات التي تسير على نهج علمي ، بحيث تعلو مصلحة الاغلبية على

الاقلية ، وبحيث يكون كل فرد مسئولا • ومن أجل تحقيق هـــذه المشاركة وتلك الايجابية أنشأت الدولة الاتحاد القومى لتحقيق حكم الشعب نفسه بنفسه والعمل على تنمية وعى القاعدة الشعبية .

أما التعاون ، فانه يعنى اشتراك مجموعة معينة من الناس فى أداء عمل معين ذى هدف محدود . ويجب أن يكون التعاون قائما على وعى الافراد وايمانهم ، ويتطلب أن يبذل كل فرد أقصى جهده لتحقيق هدف الجماعة ويتضمن معنى التعاون : التآزر والتساند والتكامل .

وينبغى أن نشير الى أن أركان مجتمعنا الاشتراكى الديمقراطى التعاونى هى هذه الاركان الثلاثة مترابطة متماسكة متكاملة :

دور التربية فى تحقيق الاشتراكية الديمقراطية التعاونية

لا شك أن التربية عملية اجتماعية تهدف الى اعداد الأفراد للحياة فى المجتمع الذى ننشده • وينقسم دور التربية فى هـــذه العملية الى جانبين : جانب تعليم الكبار ، وجانب تعليم الصغار •

فدور المدرســـة فى تعليم الكبار يتضح فى أن الاشتراكية الديمقراطية التعاونية لا يكون لها وجود حقيقى ما لم تتضح معالمها فى أذهان الناس ، وما لم تتغلغل فى نفوسهم ، وتصبح جزءا من عقيدتهم وكيانهم ، وتظهر فى سلوكهم وتصرفهم • وهذا يلقى تبعات على المؤسسات التربوية على اختلاف مستوياتها ، فعليها يقع عبء تبصير المواطن بمعنى الاشتراكية الديمقراطية التعاونية حتى لا تصبح مجرد عبارة يرددها الفرد أو الجماعة ترديدا أجوف ، وانما تكون ذات مغزى ويكون سلوكهم نحوها عن وعى وبصيرة • ويتم ذلك عن طريق الندوات والمحـــاضرات والمطبوعات ، والاستعانة بوسائل نشر الثقافة من اذاعة وتليفزيون وخيالة وصحف ومجلات ودور عبادة حتى تصل الدعوة الى أعماق الريف والمدن بالتبسيط والدقة والكفاية اللازمة •

ويسير العمل على تزويد الأفراد بالمهـــارات والكفايات التى تمكنهم من أن يعيشوا فى مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى جنبا الى جنب مع نشر الثقافة حتى يكون الناس بالفعل لبنات أساسية

فى بنائه ، بحيث يتحولون من سلبيين الى ايجابيين ، ومن انانيين الى متعاونين ، ومن متواكلين الى مستعدين لتحمل المسئولية ، ومن أشخاص يساقون الى العمل ويتهربون منه الى افراد مزودين بالدافع الذاتى للعمل ، والقدرة على توجيه نشاطهم نحو غايات محدودة ، ومن أشخاص مستسلمين الى أشخاص مفكرين يؤمنون بقيمة العلم والتفكير العلمى فى حل مشكلاتهم ومشكلات مجتمعهم ، ومن أشخاص يحتقرون العمل اليدوى والصناعة الى أشخاص يقدرون قيمة هذا العمل ويحرصون على تطوير مجتمعهم نحو التصنيع والانتاج .. ، ومن أشخاص يرضون من مستوى المعيشة بحد الكفاف الى أشخاص طموحين .. يعملون على رفع مستوى معيشتهم ومستوى انتاجهم ، أشخاص يحسنون الاسهام فى المناقشة المنظمة بتبادل الرأى وتقبل النقد ، أشخاص يحسنون طرق استخدام التفكير العلمى ، ولا يتم هذا الا اذا حطمت المدرسة الحواجز التى تفصلها عن المجتمعات المحلية ، ووضعت امكانياتها فى خدمة البيئة المحلية ، ويتحقق هذا التعاون عن طريق مجلس الآباء والمجالس الاستشارية التعليمية ، وبرامج خدمة البيئة ، والاتصال بالمؤسسات الصناعية والتجارية والاجتماعية والثقافية فى البيئة ، والتعاون معها على رفع مستواها ، وتبادل الخبرات ، كما يجب أن تقوم المدرسة بدور هام فى محو الأمية بين الكبار والتعبئة القومية ومحو الأمية الاجتماعية .

أما ددر المدرسة فى اعداد النشء فانه يتطلب اعداد النشء للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى بالاتجاه نحو تخطيط التعليم ، وتحقيق توثيق الصلة بين السياسة التعليمية والتخطيط الاجتماعى والاقتصادى . ويجب أن تتضمن برامج المدرسة وأوجه النشاط فيها وطرق التدريس بها ممارسة التلميذالفعلية لأساليب التعاون ، وتشرب المبادىء الديمقراطية الاشتراكية التعاونية ، بشرط ألا يكتفى بالشكل دون الجوهر ، أو بالتخطيط دون التنفيذ ، مع مراعاة أن تعليم التعاون لا يتأتى الا عن طريق الممارسة الفعلية لأساليب التعاون والعمل التعاونى الفعلى الذى يقوم به التلاميذعن طريق النشاط الجمعى ، والعمل بالجمعية التعاونية المدرسية والجماعات المدرسية المختلفة ، والقيام بالمشروعات المختلفة فى نظام

الأسر ، كما يجب أن يشترك التلاميذ في تخطيط أوجه النشــاط وتدريبهم على أساليب الحكم الذاتي ، وتهيئة الفرص للتعبير عن آرائهم والادلاء بأصواتهم في حرية تامة في الشئون التي تهمهم ، كما يجب أن تنشيء المدرسة التلاميذ على أساس الحرية في التفكير والابتكار ، وتدريبهم على التفكير العلمي والبحث العلمي والكشف عن الحقائق وبث روح التجريب في نفوسهم ، والاهتمام بالعمل اليدوي واكسابه الصيغة العلمية ، كما يجب أن تشجع المدرسة تلاميذها على الاقبال على التعليم الفني الذي يتناسب مع مواهبهم واستعداداتهم ٠

ويجب أن توجه الدولة عنايتها الفائقة الى اعــــداد المعلم وتدريبه ، والعمل على رفع كفايته العلمية والفنية ، وتزويد المدرسة بجميع ما يلزمها من الادوات والمهمات ٠

اهمية التخطيط التربوى

فى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى

لاشك أن المدرسة عنصر أساسي في عملية النهوض الاجتماعي ، والتخطيط التربوي يجب أن يهــدف الى تعميم التعليم الابتدائي والعناية ببرامج اعداد المعلمين ، والعمل على رفع مســتوى مهنة التدريس اجتماعيا واقتصاديا ، كما يجب العمل على أن تكــون جميع مراحل التعليم مترابطة ، والعلاقات بين كل مرحلة والمرحلة التي تليها متنافسة ، مع العمل على رفع سن الالزام لأطفال المجتمع ، والمجتمع العربي بالذات في أشد الحاجة الى التخطيط التربوي ، ولو اتبعنا سياســـة التخطيط في التربية لتوافرت لدينا مبالغ طائلة تساعد على التوسع في التعليم ٠

والتخطيط يعني حصر الامكانيات والموارد والحاجات ، ثم تحديد الأهداف ووضع الخطط والوسائل التي تحقق هذه الأهداف ، اذ لابد لكل عملية من هدف تسعى للوصول اليه ، ولا بد من تحديد الوسائل التي تستخدم لبلوغ هذه الأهداف .

التربية والدفع الثورى

يجب أن نعرف نحن المعلمين أننا نعيش فى ثورة اجتماعية ، وهذه الثورة بدأت في ٢٣ من يوليو عام ١٩٥٢ ، وأن نعرف أيضا أن طريق الوصول الى الهدف الشعبى ليس سهلا ، لانه ليس مفروشا بالورود ، وأن قطاع طريق الموكب الشعبى سرعان ما ينقضون عليه ويعرقلون سيره ، وعلينا أن نعمل على المحافظة على مكاسبنا الثورية التى حققناها كالاستقلال والاصلاح الزراعى واشتراك العمال فى أرباح انتاجهم ، والعدالة الاجتماعية والاراضى التى استصلحت والمصانع الكبيرة التى أقيمت ، والمحصولات التى تكاثرت ، والمكاسب التشريعية المختلفة العظيمة التى صدرت بها قرارات جمهورية ،

وهذه المكاسب الثورية استقطعت من جيوب الاقطاعيين والاحتكاريين ، ولذلك ليس بعيدا أن يحاولوا أخذ الشعب على غرة : فيستولون على مكاسبه وقوته ، كما حدث فى الحركة الانفصالية بدمشق التى سلبت العمال المكاسب التى حققها الشعب •

ومن الناحية التربوية نجد أن هذه النكسة حدثت لأن الشعب السورى لم يكن من اليقظة بدرجة كافية تمكنه من أن يرى العاصفة قبل أن تقترب ويقف فى وجهها ولا يتزحزح • ولو كان الشعب على درجة عالية من الروح المعنوية لظل مستمرا فى كفاحه ، ولما وجد الانتهازى فرصة واحدة ينتهزها لسلب حقوق الشعب، فعلينا أن نحمى ما فى أيدينا من مكاسب ، وأن نعمل على أن نحصل على المزيد من تلك المكاسب ، ويجب أن نقوم بتنشئة فلذات اكبادنا ، ونهيىء الأجيال الصاعدة لمسايرة ركب الحضارة وركب الثورة ، ونلم بشتى أسباب الرقى والتقدم . ويجب الا نقنع بما حققنا ولا ننخدع فننام عن حمايته ، وعن مواصلة بذل الجهد باستمرار لحمايته والحصول على المزيد من الرقى والتقدم ، كما يجب بث الوعى فى نفس كل فرد بطريقة العمل والوصول الى الهدف •

فلسفة التربية الثورية وبرنامجها :

ان أساس الاندفاع الثورى هو العلم والاقتناع • ولا شك أن العاطفة دافع للسلوك ، ولكنها دافع غير مستمر للابقاء على السلوك ، اذ لا بد من تزايد التيار العاطفى والا خبا السلوك وزال . وهناك دافع آخر للسلوك هو المعرفة والاقتناع بجميع زوايا الموضوع وجوانبه .

ويمتاز هذا النوع من السلوك بأنه دائم ومستمر ، لان الفكرة باقية والعقيدة ثابتة ، والقاعدة تقول : ان العقيدة القائمة على العلم والمعرفة كالتيار الكهربى المستمر يظل ثابتا وراء السلوك فلا يتذبذب ولا يتوقف حتى يصل الى نهايته • والفرق بين السلوك القائم على العاطفة وحدها والسلوك القائم على المعرفة والعقيدة هو الفرق بين الدعاية والتربية ، فالدعاية تعتمد على اثارة الانفعال وتأجيج العاطفة واثارة الحماس ، ولكن التربية تعتمد على الحقائق والعلم والاستدلال والعقيدة ، فأداتها الفكر والعقيدة وتوليد قدر معقول من العاطفة وسلوك الانسان دائما مرتبط بدافع من هذه العقيدة التى يؤمن بها • ولذلك كانت آثار العقيدة دائما أقوى ودوافعها أدوم ، وهى تحدث أثرا يبقى مع الانسان طول حياته ، فهو يتخرج من المدرسة وتنقطع صلته بالمدرسين ، ولكن الحقيقة والعقيدة تذهبان معه أينما ذهب . أما الدعاية فآثارها مؤقتة وفى حاجة الى أن تواصل الحاحها ليلا ونهارا ، لانها تعلم أن آثارها ستتلاشى حيث تعوزها العقيدة الراسخة والحقيقة الخالدة •

هذا هو أساس الاندفاع الثورى ، وفلسفة التربية الثورية هى فى قيام الاندفاع وقيام العمل على اسأس الدراسة والمعرفة والعلم بعناصر الموقف وحقائقه ، وهذا هو معنى كلمة التوعية الثورية التى أشار اليها الرئيس جمال عبد الناصر عندماأكد وجوب توعية الشعب كمقدمة للعمل الثورى •

برنامج التربية الاشتراكية :

يجب أن يقوم برنامج التربية الاشتراكية على أساس الابتعاد عن وسائل الدعاية واستخدام وسائل التربية ، أى العلم والمعرفة

والاقتناع ... العلم بحقائق ما قبل الثورة من استبداد واستغلال ، واستعمار واسترقاق ، ورشوة ومحسوبية ، وجهل ومرض وفقر ، وتفكك اجتماعي وصراع طبقي ، وانهيار اقتصادى واستهتار خلقى .. ثم العلم بحقائق الثورة عندما حطمت بنيان الماضى الفاسد من ملكية واحتكار واستبداد واقطاع ..... والعلم بتوجيه جهود الشعب المتحررة من قيود المعوقات كالاستعمار لمحاربته والقضاء عليه .. والعلم بحقائق الثورة الاجتماعية التى بزغ نورها فى يوليو سنة ١٩٦١ ، . والعلم بحقائق الرجعية التى لم تقبل اصلاحات الثورة ، والعلم بما يجب أن يواجه به هؤلاء الرجعيون ماديا وفكريا .

ومتى استقرت هذه الحقائق فى أذهان التلاميذ كونت عقيدته الثورية التى هى الدافع الفعال نحو العمل الثورى . ويجب أن يعرفها كحقائق مستندة الى الواقع والأمثلة والأدلة والأرقام والوثائق ، لا على أساس الصور (واليفط) والأمثال والمواعظ ، لأن هذه وسائل دعائية سرعان ما يخبو أثرها اذا لم تسبقها وتدعمها وسائل العلم والحقيقة .

ويجب أن نجلو فى أذهان التلاميذ حقائق المصطلحات التى تقوم عليها حياتنا الاجتماعية كمفهوم الديمقراطية بمعناها السياسى الدستورى والاجتماعى والشعبى ، وأن الاشتراكية تعنى مبدأ الشعبية فى الثورة ، وأن خيرات الوطن سواء أكانت ظاهرة فوق سطحه أم غائرة فى أعماقه أم سابحة فى مياهه أم طائرة فى أجوائه هى ملك الشعب كله ... لا لفئة قليلة من هذا الشعب مهما أتاها الله من ذكاء وحصافة ، لان الله لم يكتب لهم وثيقة تمليك خيرات هذه الأمة دون سواهم ، ويجب أن يعرف التلميذ خصائص التعاون كمصطلح اجتماعى يعنى أولا تطبيق مبدأ الشعبية فى ميدان العلاقات ، ويعنى بالطاقات الضعيفة حتى تصبح طاقات قوية ، وتجميع القروش القليلة حتى تصبح رأس مال كبير يملكه الجميع ، وتجميع الجهود الهزيلة حتى تصبح خدمات جبارة . ويجب أن تكون هذه المفاهيم واضحة فى أذهان المعلمين والتلاميذ على حد سواء ، وأن تتضح لدينا أولا ، نحن المعلمين ، ومنا تنتقل الى تلاميذنا . ويجب أن يحاط التلاميذ علما بالفروق الكبيرة والصغيرة

بين اشـــــتراكيتنا وانواع الاشـــتراكيات الأخرى ، وكذلك أنواع الديمقراطيات وصور التعاون المختلفة ، ويجب أن نبصر التلاميذ بخصائص الطبيعة العربية حتى لا تغريهم الألفاظ ولا تخـــدعهم الدعايات ، فشتان بين ديمقراطيتنا العربية التى يشترك فيهــــا الفلاح والعامل اشتراكا فعليا ، وبين الديمقراطية الشيوعية التى تنفرد فيها شرذمة قليلة بالحكم باسم العمال الذين ليست لهم حرية الانتقال من مصنع الى آخر ٠

وشتان بين اشتراكيتنا العربية التى تؤمن بالملكية الخاصـــة وتوسع من قاعدتها الشعبية كقيمة من قيمنا الثقافية والدينية ، وبين الاشتراكية الشـــيوعية التى ملكت الدولة الأرض والمصنع والفلاح والعامل ٠

وشتان بين تعاوننا العربى الذى يقوم على أســـــباس تجميع الجهود وتحويل الكل المتجمع من الأشتات الى قوة تنظيمية وانتاجية هائلة تعود بمزاياها على كل فرد من أعضاء المؤسسة التعـــاونية، وبين تعاون الشيوعية التى تملك الحقل والمصنع للدولة ، وتربط العمال والفلاحين بها وتسخرهم فيها ، وشتان بين تعاوننا العربى وتعاون الرأسمالية الذى يتخذ الصفة الاستهلاكية البحتة ، كمـا يجب أن نتعمق مع تلاميذنا فى فهم هذه النظم ، وهذه المصطلحات المتفقة الأسماء ، المختلفة الأهداف ، ولن يتحقق هذا الفهم الواعى الا بالمناقشة والشرح ، ويجب أن نربط الايديولوجية العـــــربية بوسائل تحقيقها حتى تتضح أمام التلاميذ ، فمثلا لا يفهم معنى التخطيط الا فى ضوء الفهم الصحيح الواعى للديمقراطية الاشتراكية التعاونية ، والا اذا نظر اليه كوسيلة من وسائل هذه الفكرية ، وأنه تخطيط لنشاط وتوجيه هذا النشاط نحو الأهداف ، ورسم لطريقة الانتفاع بالانتاج المترتب على هذا النشـــــاط بما يتفق مع المصالح المرسلة لعامة الشعب ، واقفال الأبواب على الاســتغلال والانتهازية ، فاذا لم يفهم التلاميذ ذلك انجرفوا الى آراء الرجعية ، ونظروا الى التخطيط على أنه تدخل فى الحريات وسلب للحقوق ، وهذا الطريق الثورى يعتمد على العقل ، لا على العـــــاطفة ، وعلى الفهم ، لا على الانفعال ، وعلى العقيدة الفكرية المتطورة والطموح لا على السلبية والجمود

والتوعية الثورية من صميم عمل المدرس ، والمدرسة تكاد تكون المكان الوحيد الذى يستطيع أن يقوم بهذه المهمة • وهذه المهمة مستمرة لا تنتهى ، وهى على قدر طاقة كل مرحلة من مراحل التعليم التى تحتاج كل منها الى مستوى معين من التوعية ومن الفهم، ومن الاستعداد للاندفاع الثورى • والعملية كلها مستمرة •• لان الثورة مستمرة ، والتطور الاجتماعى والتغيير الاجتماعى من حولها يعطيها معانى جديدة تحتاج الى النشر والتوصيل الى عقول الصغار والكبار على السواء •

ويقوم مجتمعنا على أساس الحرية والوحدة ، وقد آمن الشعب بهذه الاهداف وعمل على تحقيقها ، ففى سبيل الوحدة العربية نادى الرئيس جمال عبد الناصر بفكرة القومية العربية وعمل لها ، لانها تعنى تحرر الوطن تحررا نهائيا ، والتخلص من النفوذ الاجنبى المباشر والمقنع ، وتعنى تكامل الوطن العربى ، ويجب أن نقوم ، نحن المعلمين ، بالدعوة الى الاشتراكية والاستنارة بما حققته الثورة لهذا الشعب وضرب الامثال بالعلم والعمل والانتاج والاخلاص والتضحية •

لقد حملنا أمانة التعليم والهداية ، ووضعنا الله فى مكان الريادة والقيادة ، وأحلتنا الدولة فى الطليعة ، واقتضت رسالتنا أن نتصل بجميع أفراد الامة فى المستويات المتعددة ، وفى جميع ربوع الوطن من قرى ومدن ، وعلى ذلك وجب علينا أن نعمل على نشر التوعية الثورية فى المدرسة ، وفى المنزل ، وفى الحفلات القومية ، وفى المساجد والكنائس وفى الاندية وفى غيرها •

ان التربية فى الاندفاع الثورى هى عملية توضيح مفاهيم تتصل بطريقة الحياة التى نريد أن نطور مجتمعنا اليها ، وذلك لان الاندفاع الثورى عمل ، وكل عمل لا بد له من خطة والا كان عملا عشوائيا لا يؤدى بالضرورة الى غاية مرتقبة • وسلوك الانسان فى موقف ليس الا اختيارا لعدة أنواع من العمل ممكنة فيه ، وأساس الاختيار هو توقع النتائج المترتبة على كل عمل من هذه الاعمال الممكنة ، فالعمل الذى يؤدى الى النتائج المرغوبة يكون موضع احتمال اختيار الانسان له أكثر من غيره • فالسلوك

السوى نتيجة للاختيار الحسن ، والسلوك المنحرف هو نتيجة للاختيار السيىء ٠ ومن هنا يأتى توضيح المفاهيم لأنها أساس صالح لعملية الاختيار . والاختيار القائم على غير فهم قد يؤدى الى هلاك الجماعة أو الفرد . ولكى يكون الاختيار سليما لابد أن تتوافر له قضايا سليمة وواضحة ومحدودة .

والاندفاع الثورى عمل وسلوك وتحقيق لأهداف قومية ، فلابد اذن من توضيح المفاهيم المتعلقة به . وعلى هذا الأساس يجب أن يكون نظرنا ، نحن رجال التعليم ، الى الاندفاع الثورى ، لأن صناعتنا ليست الا محاولة تعديل سلوك المواطنين ، أو على الأقل امدادهم بالأسس التى تساعدهم على الاعتماد على أنفسهم فى تعديل سلوكهم . وعلى ذلك فان واجبنا هو أن نوضح للتلاميذ أونساعدهم على أن يوضحوا لأنفسهم المفاهيم الثورية ، فمثلا شرح مفهوم التعاون لا يكفى لممارسته ، ثم ان هذا لا يحمى التلميذ من السموم التى ينفثها أعداء الشعب ، وبذلك يتحتم أن نحاول ابعاد الشوائب التى يمكن أن يضيفها الى مفاهيمنا أعداء الشعب عن التعاون والحرية والاشتراكية وحق الارث ، على أن نتعمق فى هذه المعانى ونعمقها فى نفوس تلاميذنا ، وأن نبث فى قلب التلميذ أنه يقع علينا واجب تطوير الجماعة وان مقدساتنا الثقافية تتسع لكل حق ولكل خير ولكل جمال٠وتوضيح هذه المفاهيم يتم بطرق ثلاث هى :

١ ـ عرض ظلال المفهوم الواحد مهما كان الفرق بين هذه الظلال صغيرا ، فمثلا نعرض أنواع الاشتراكيات ، واشتراكيتنا العربية والفرق بينهما .

٢ ـ الا تساق هذه المفاهيم مطلقة أمام التلاميذ ، بل يجب تحديد الاطار القومى والاجتماعى الذى نعمل فيه ، ثم شرح المفاهيم وظلالها بالقياس الى ذلك الاطار ، ويجب أن نشير الى التعاون مثلا فى ظل التعاونية الاشتراكية الديمقراطية الذى يقوم على أساس الانتاج وعدالة التوزيع .

٣ ـ ألا تساق المفاهيم منعزلة فردية ، بل نسوقها مترابطة حتى يتبين التلميذ أنها وحدات فى كل ٥ هو أيديولوجية الجماعة أو طريقة الحياة التى ارتضتها لنفسها ، ويجب أن يتم هذا عن طريق التفكير المتكامل ، وعن طريق احساس التلميذ بالموقف ،

وبحث لجميع زواياه فى مســـتوى التلميذ العقلى ، وبحث لجميع النظريات والحقائق العلمية التى تؤيده فى بناء فكره وعقيدته .. على كل هذه الأسس ، ومعنى هذا اقامة التربية على أســـاس المعرفة الهادفة التى تتخذ التفكير والاستدلال وسيلة لها ، وفى سياقها تأتى الوسائل الأخرى كالرسم ، والصورة ، والتمثال ، والنشيد كأداة مساعدة لا غير .

والطريقة الثانية أن تطبق هذه المفاهيم فى حياة المدرسة ، وبذلك يلمس التلاميذ تعريفاتها الاجرائية ، ويفرقون بينها وبين غيرها عن طريق النتائج والآثار .

ثم هناك نقطة أخرى هى تحويل العلم الى عمل . وتحويل التربية الى سلوك ذكى يذهب الى ما وراء المعرفة المجردة أو الاقتناع الفكرى ، وتحويل الشعارات الى مفاهيم ، والمفاهيم الى عقيدة ، والعقيدة الى سلوك ، اى تحويل الاندفاع الثورى الى عمل ثورى ، وتحويل الأمنيات الشعبية الى انتصارات قومية .

التربية والتوعية القومية

التوعية القومية عملية متكاملة ووحدة فكرية وعملية تتضمن جميع مقومات الحياة ، وترتبط بجميع أفراد هذا الوطن ، ومن ثم كان من الواجب أن تترابط جميع العناصر التى تشملها ، وجميع الذين يهمهم الأمر فيها . ذلك لأن المكاسب الشعبية التى حققتها الثورة لابد أن يساندها ويدعمها تطور اجتمـاعى شامل ، يؤمن بتلك المكاسب ويدافع عنها دائما أبدا .

والايمـان بضرورة الثورة يسـتلزم وقوف النـاس جميعاً على خصائص مجتمعهم وادراكهم لمدى الأهمية العسكرية التى يحظى بها وطننا من امتيـــاز موقعنا الجغرافى ، ومن وفرة ثرواتنا المعدنية والزراعية والمائية ، وهذه الميزات جعلت وطننا محط أنظار الطامعين، ولهذا وجب أن نقوى أنفسنا عسكريا واقتصاديا وثقافيا وخلقيا حتى نستطيع أن نقف أحرارا وسط المعسكرين المتصـارعين ، ويجب أن

يصاحب ارادتنا فى هذه الثورة الاجتماعية وقوفنـــا مع أغراضها ومراحلها ، وأن نلم بشعاراتهـا وأنماطها ووسائلهـا ، حتى ندافع عنها بعقولنا وقلوبنا ودمائنا ٠

ونجاح هذه الثورة الاجتماعية يتطلب وحدة الفكر أو وجود رأى عام موحد . وهذا بدوره يتطلب نوعا من التوجيه والتوعية بمطالبنا واتجاهاتنا وشعاراتنا ، والتوعية تحتاج الى قائد أمين يؤمن بالفكرة ويفهم معنى مايقود اليه ، وان يكون هذا القائد واسع الصدر يتقبل النقد بلا حرج ، ويجب أن نخلص عقول التلاميذ مما بها من رواسب ماضية خلفتها الرجعية والاستغلال والاحتكار والانتهازية ٠ ويجب عزل الذين يقفون فى وجه اصلاحاتنا الاجتماعية ، واذن كيف نبدأ هذه التوعية الثورية ؟ يجب أن نبدأها بأنفسنا نحن المعلمين فنفهم الرسالة التى سنعمل من أجلها ، ونؤمن بها ثم نبدأ بتزويد النفوس بالطمأنينة ، لانها هى المدخل الصحيح الى التوجيه السليم ، ثم نأخذ فى ازالة الشعارات الزائفة من عقول التلاميذ ، ونقضى على السلبية فى التفكير واللامبالاة فى مواجهة المواقف والاستهتار ٠

وعن طريق المناقشة والمدارسة نقنع كل من نتصل به بحقائق وضعنا الاجتماعى ٠ ويجـب أن نكافىء المنتج على انتاجه ، ونعاقب المهمل على اهماله ، ونشجع المجد ، ويجب أن يكون تطور مجتمعنـا مبنيا على بناء النفوس البشرية وبناء الافراد بناء متكاملا من النواحى القومية والخلقية والعقلية والجسمية حتى يكون شـعار كل فرد من أفراد الامة هو العمل والبناء لمصلحة الفرد والجماعة ٠ ويجب أن نقوم نحن المعلمين بعرض أهدافنـا والمبررات التى تدعو لهـا وفلسفتنـا ومميزاتها عن طريق المناقشات والندوات التى تتيح فرص حرية التفكير وحرية التعبير ٠

ومسئولية رجال التعليم فى هذا المجال خطيرة ، لانهم بحـكم رسالتهم طليعة هذا الزحف المقدس ، وهم الذين يصنعون المستقبل ، وهم الذين يعـدون أفراد المجتمع على اختـلاف مهنهم وتخصصاتهم للحياة فى المجتمع ، ولذلك تحتاج هذه الرسالة الى ضمير واع حى والى امانة عميقة متغلغلة فى النفس ، والى قدرة على فهم المسئولية وتحملها ، وقدرة على التعامل والتجاوب ، لأن مبادئنا الاجتماعيـة

ليست نظاما مكتوبا بقدر ما هى أساليب للحياة تبـــدأ بالعقيدة وتنتهي بالعمل والانتاج .

ولا شك أن المدرسة هيالبيئة التربوية التى يجب ان تبدأ منها التوعية القومية ، لأنها صانعة المستقبل لهذه الأمة ، ولأن بها القادة والقدوة ، ولأنها مصدر الاشعاع الفـكرى للمجتمع ، ومن واجب المدرسة أن تتعهد تلك البراعم الصـغيرة بالرعاية والتدريب والاعداد ، وأن تسمح لهم بالقيام بالتجارب وحرية الفكر والنقاش، وتتيح لهم فرصة الاسهام فى الحياة المدرسية حتى تبعث فى نفوسهم الثقة وتبصرهم بمجتمعهم ووطنهم .

ويمكن تحويل كل موضوع من موضـوعات المنهج الى وجهة قومية ، ويجب أن يكون المنهج فرصة طيبة لتحقيق ايجابية التلميذ . ويجب أن ندرب التلاميذ على طرق التفكير فى حل المشكلات الفردية والجماعية ، وأن تقوم الادارة المدرسية على أساس المناقشـة والأخذ والعطاء بروح الديمقراطية ، ويجب أن نطلق النشـــــاط المدرسى حتى يتخطى أسوار المدرسة الى المجتمع الخارجى ، وأن تفتح المدرسة أبوابها لطوائف الشعب ، كما يجب أن تخرج المدرسة الى المجتمع الخارجى ، ويجب تشــــجيع مجالس الآباء على مزاولة مهمتها بعيدة عن الاستجداء المادى وبعيدة عن الصورة الشكلية .

وعلى الجملة يجب على المدرسة أن تنقل أهداف ثورتنا الاجتماعية التى نؤمن بها الى أبناء هذا المجتمع حتى نكون الفكر المشترك ، ونعمل نحو هدف موحد ، ونصبح كالبنيان المرصـوص . وتحقيقا لمبادىء الاشتراكية تعمل الدولة على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، فلكل فرد أن يرتقى فى مراحـل التعـليم الى أقصى ما تؤهـله له قدراته واستعداداته ، ومواهبه الفعلية ، بصرف النظر عن دينه وطبقتـه الاجتماعية . وهـذا يؤدى الى اذابة الفوارق بين الطبقـات . ومن مظاهر تحقيق هذا المبدأ تقرير مجانية التعليم فى جميع مراحله حتى لا يقف العجز المادى حائلا بين بعض أفراد المجتمع وتحصيل العلم ، وحتى لا يكون العجز المادى سببا فى حرمان المجتمع مما قد يوجد به من عباقرة وموهوبين .

وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر : انه يجب أن تقوم عندنا

ثورة ثقافية ندعم بها ثورتنا السياسية والاشتراكية والاجتماعية ، وتكون انعكاسا للنظام الجديد المتحرر من جميع مظاهر الاستغلال • والمعلمون بحكم رسالتهم هم الدعاية لهذه الثورة الثقافية وعليهم مهمة التنوير والتبصير فى المجالات المتعددة حتى تصبح المبادىء الاشتراكية حقيقة خالدة وعقيدة راسخة فى نفوس الشعب ، يؤمن بها ويدافع عنها ، وفى قيام المدرسة بالقاء كلمة فى صباح كل يوم توضح فيها مغزى الأحداث الجارية نوع من التوعية القومية واحتفالها بالمناسبات الوطنية والاعياد القومية كذلك يعتبر توعية قومية كما أنها تعد الكتب والمنشورات والمطبوعات والصحف المدرسية وكلها حافلة بالدعوة الى القومية •

ويجب أن نقوم بترجمة هذه المبادىء الاشتراكية الى سلوك اجتماعى يؤتى أكله الطيبة •

التربية والقومية العربية :

يجب أن يكون هناك تخطيط عام لنظم التعليم ومراحله يراعى فيه التنسيق بين جميع فروعه ومراحله ، طبقا لأهداف وحاجات المجتمع • ولم يكن فى مصر هذا التنسيق بين مراحل التعليم المختلفة، وكان التعليم الأولى الالزامى فى واد ورياض الاطفال والمعاهد الدينية والكتاتيب فى واد ، ولم يكن هناك ارتباط بين هذه المؤسسات .

ولم يكن هناك تنسيق بين المرحلة الأولى وما يليها من المراحل، وانما كان ينشأ كل نوع من التعليم نشأة شيطانية ، وينتهى حيث ينتهى نهاية عشوائية لا ضابط لها ولا يمكن أن تتلاقى أنظمة التعليم ان لم يكن لها هدف عام موحد تسعى جميعا الى تحقيقه، وهذا الهدف يستمد قوامه من فلسفة الجماعة بالقومية • والتربية لا تعمل فى الفراغ ، وانما تتصل اتصالا وثيقا بالمجتمع الذى تكون فيه . ولتحقيق فكرة القومية والتماسك الاجتماعى ينبغى أن يتحقق التشابه العقلى لافراد المجتمع ؛ وكلما زاد التشابه العقلى بين أفراد المجتمع كان هذا المجتمع أكثر تماسكا ، وكلما نقص أصاب المجتمع التفكك والانحلال ويجب أن تقوم التربية على أساس الحفاظ على مقومات القومية العربية لكى يؤمن بها أفراد المجتمع ويتفهموها ويدينوا لها

بالولاء ، فيجب أن نعمل على المحافظة على تراثنا الاجتماعى والثقافى مع قابلية تطوير هذا التراث والمضى به قدما ، ويجب أن نبصر التلاميذ بمقومات التربية العربية من وحدة اللغة والدين والعادات والتقاليد والآمال والآلام ، ووحدة المصالح المشتركة ووحدة التاريخ المشترك ، والوحدة الجغرافية والتكامل الاقتصادى ، ثم تبصيرهم بالحركات الشعوبية التى استهدفت تقويض دعائم القومية العربيه ومحاولات المستشرقين فى العصر الحديث ، والاباطيل الاستعمارية التى يذيعونها من أن القومية العربية تعصب ، وانها دعوة فردية ، ودحض مايرمون به العقلية السامية من أنها عقلية واحدة لاتقوى على الابتكار والابتداع والاختراع ، وان العرب ما هم الا نقلة للعلوم ٠

ولا بد من تبصير التلاميذ بالعراقيل التى وضعها الاستعمار فى سبيل تطور القومية العربية وابراز مظاهر كفاح العرب نحو تدعيم قوميتهم بضرب أمثلة من التاريخ توضح انتصارات العرب أيام وحدتهم وتضامنهم ، وانهزامهم أيام انقسامهم وتفككهم ، وخطر الصهيونية ، والفرق بين قوميتنا والقوميات الأخرى العدوانية المتعصبة ٠ ويجب أن تعنى المناهج عناية كبرى باللغة القومية ، لأنها أداة التفاهم وأداة الربط بين أبناء الأمة العربية والتاريخ القومى ، مع الاشادة بالخلق العربى الأصيل والخصائص العربية من كرم وشجاعة واغاثة للملهوف وحب للتعاون ، واكرام للجار ، والتمسك بالشرف والمروءة والامانة والتمسك بالعهود والوفاء بها حتى يتخلق التلاميذ بأخلاق أجدادهم العرب ٠ ويجب العمل على توحيد المناهج الدراسية فى مختلف البلاد العربية بحيث يمكن خلق أجيال عربية تتحد فى العقلية وفى العاطفة وفى القيم وفى المعايير والعادات والتقاليد ، وتؤمن ايمانا راسخا بالقومية العربية ، وتعتز بالعروبة وتفخر بتاريخنا وبأمجادنا التاريخية وتقدس فكرة الوحدة ٠ كما يجب توسيع نطاق التعاون الثقافى بين جميع الدول العربية عن طريق تبادل الاساتذة والمدرسين والخبراء والطلاب والكتب وغيرها .

ويمكن أن نلخص الواجبات التى تفرضها القومية العربية نحو أفرادها فيما يلى : يجب أن يكون المواطن مدركا لما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وان يسهم فى بناء كيان أمته ، وأن يكون

لديه وعى فكرى لأنه أساس كل نهضة ، وان يحمل رسالة أمته ، وأن يحصن ضد التضليل والتزييف ، وأن يحاط علما بالمعلومات الحقيقية العلمية المبسطة لحل المشكلات التي تواجهه • ويجب العمل للكشف عن القوى الموجودة فى باطن الوطن والافادة منها ، والعمل على تفتح قوى الابداع والابتكار لدى الفرد العربى ، واثارة حماسته نحو قوميته وعروبته ، وأن يكون المواطن متحررا من الخوف ومن القلق ، وأن نخلصه من الصراعات والمؤثرات النفسية ، وأن نهيىء فرص العمل الايجابى أمام التلاميذ ، ونعنى بجسم التلميذ وبعقله وتكوين اتجاهات المحبة والتعاون وبث روح القومية فى نفسه •

ويجب التوسط فى معاملة الطفل ، فلا القسوة المفرطة ولا اللين المفرط ، كما يجب أن نشجع فى المواطن العربى عادة الاعتماد على النفس ، وننمى فيه عادة التعاون والشجاعة والاقدام وأن نهيىء جوا عربيا يربطه بماضيه وحاضره ومستقبله وأن نعنى باللغة القومية لأنها هى التى تحمل ماضينا وأخلاقنا وتراثنا ، وهى الرابطة التى تربط بين أبناء الأمة العربية الكبيرة ، وأن ننمى فيه تذوق الحياة العربية ، ونعنى باللغة الفصحى وننبذ العامية • واحياء التراث العربى واجب مقدس على رجال التربية ، ويجب أن نوجه العناية الى التعليم الفنى ، وتنمية عاطفة الولاء للوطن ، وتعريف المواطن بأمجاد العرب وانتصاراتهم وبث روح الثقة فى الحكومة بنفوس المواطنين ، وتعويدهم على التعاون معها فى تنفيذ مشروعاتها ، وتقبل خدماتها ، وتكوين عاطفة احترام القانون والتعليم شرط أساسى لتقدم المجتمع فلا غرو اذا كانت الثقافة هى اللبنة الأولى فى بناء صرح المجتمع المتقدم ، ولذلك كان لا بد لكل من يحاول اصلاح المجتمع أن يدعو الى نوع معين من التربية والتهذيب يتلاءم مع أهداف المجتمع •

ووظيفة التربية فى كل عصر هى تحقيق أهداف المجتمع ، وأهداف مجتمعنا العربى هى :

(أ) رفع المستوى الاقتصادى لجميع المواطنين والمستوى الصحى ، وتنمية الشعور الوطنى •

(ب) بث روح الديمقراطية وغرس روح الفضيلة والقومية ،

واحترام الحق والواجب فى نفوس الافراد وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتنمية الضمير الحي والشعور بالمسئولية ونبذ الاستهتار والتواكل . ولقد عملت الحكومة لمحاولة ايجاد مكان لكل طفل فى سن الالزام بالمرحلة الأولى .

(جـ) العناية بالتعليم الفنى ، ويظهر هذا فى زيادة ما تصرفه على طالب المدرسة الثانوية الفنية عن زميله فى التعليم العام . ثم العناية بتعليم الموهوبين وتشجيع المتفوقين بمنحهم جوائز مالية ، كذلك تقوم ببناء المؤسسات التعليمية المختلفة ، كما تقوم باعداد المعلم الصالح لتنشئة المواطن الصالح .

(د) مكافحة الأمية : تعمل الدولة على مكافحة الأمية بتعميم التعليم فى المرحلة الأولى ، وتعليم الكبار فى مدارس الشعب وتعنى الدولة بتقديم وجبة غذاء للتلاميذ وتوفير الوقاية والعلاج ، ونشر وسائل التثقيف الصحي بين التلاميذ . وتعنى بجسم التلميذ وتوفر له مختلف أوجه النشاط الرياضى والترويحى .

أما واجبنا ، نحن المعلمين ، فهو أن نعالج التاريخ من زاوية القضايا العربية والمشكلات العربية ، ونختار من التاريخ ما يبرز هذه الأمجاد التاريخية العربية ، واظهار معالم السياسة العربية ، وتكوين اتجاه عربى لدى التلاميذ .

ويجب أن تتصل المدرسة اتصالا وثيقا بالبيئة المحلية المحيطة بها ، ويمكن لها ذلك عن طريق تشجيع أولياء الأمور على زيارة المدرسة لمناقشة مشكلات أبنائهم والتعرف على مستوياتهم ثم دعوتهم الى حضور الحفلات الثقافية والقومية ، ودعوة المتخصصين من أولياء الأمور الى القاء محاضرات على التلاميذ فى ميدان تخصصاتهم ، ثم زيارة التلاميذ للمؤسسات القائمة فى المنطقة المحلية ، وتدريب التلاميذ على أوجه نشاطهم ، والقيام بالرحلات والزيارات العلمية المختلفة ، وكتابة التقارير عن هذه الرحلات . ويجب أن تكون المواد مترابطة متماسكة فيما بينها وفيما بينها وبين الحياة من ناحية أخرى . ويجب تعريف العامل والصانع بحقوقه وواجباته ، كما يجب أن تفتح المدرسة أبوابها لتعليم الكبار حتى تزيد من كفايتهم الانتاجية ، كما يجب أن تعمل المدرسة على تتبع

خريجيها بعد تخرجهم الى ميدان العمل فى المجتمع الخارجى ، وأن يكون هناك ارتباط بين مختلف المؤسسات وبين المدرسة ، ويجب أن تخرج ما يلزم لهذه المؤسسات من الفنيين والعمال المهرة .

دور العلم فى تحقيق المجتمع الاشتراكى

لقد خدم العلم الطب باختراع الميكرسكوب والكهربا والأشعة واكتشاف الذرة والتلغراف ، والتليفون ، واللاسلكى ، والراديو ، والتليفزيون وكشف عن الميكروبات ، وأوجد الأسمدة واكتشف أمراض الانسان والحيوان والنبات . ولا شك أن عصرنا هو عصر العلم ، وللعلم دور فعال ايجابى فى تحقيق المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى . وبالعلم وبالمخترعات تيسرت سبل الحياة وانخفضت أسعار السلع والخدمات من ملابس ومأكولات وأدوات وآنية ، وأصبحت هذه السلع والخدمات فى متناول يد الملايين ، فالعلم من وسائل تحقيق المساواة بين الأفراد ، كما أنه مصعد اجتماعى يرتقيه الأفراد للانتقال من طبقة دنيا الى طبقة عليا كطبقة العلماء أو الموظفين . ولقد سوى العلم بين الغنى والفقير فى التعليم ، فلم تعد الكتب من مقتنيات الملوك والأمراء والنبلاء والأثرياء ورجال الدين ، فالمطابع الحديثة جعلت ثمن الكتاب قروشا معدودات ، وبذلك لم يعد ينسخ بخط اليد . وتقوم الأمة الآن ببناء المدارس بمعدل مدرستين كل ثلاثة أيام وفتحت قصور الثقافة لنشر الثقافة العامة بين الراغبين ، كما فتحت فى المدارس مراكز للخدمات العامة ، وفتحت العديد من الفصول المسائية لمدارس الشعب لمحو الأمية بالمجان ، وكل هذا من أجل تحقيق اشتراكية نور العلم والمعرفة ، وشجعت الدولة تأليف الكتب وترجمتها ونشرها بأرخص الأثمان .

ولقد كان العلم فى العصور القديمة مقصورا على الخاصة من الكهنة ورجال الدين والنبلاء ، وكان ارستقراطيا ، أما فى عصرنا فقد أصبح العلم اشتراكيا شعبيا ، ولقد شجعت الدولة البحث العلمى

وأنشأت وزارة للبحث العلمي وأنشأت المجلس الأعلى للعلوم والمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وأنشأت لجنة للطاقة الذرية ، وأنشأت وزارة للصناعة ، ووزارة للتعليم العالى ، وشجعت أيضا ايفاد البعثات العلمية الى الخارج ، وأقامت احتفالا سنويا بعيد العلم يكرم فيه العلم والعلماء ويمنحون جوائز تقديرية ٠

وبفضل العلم وتطبيقاته تتفتح آفاق جديدة للعمل باقامة المشروعات والمصانع ٠ أما السلوك الاشتراكى الذى تتحقق به الاتجاهات الاشتراكية بصورة واقعية ، فينبغى أن ينتقل الى نفوس الناس ، ويصبح عقيدة راسخة لديهم تظهر فى سلوكهم بمختلف مواقف الحياة ويعمل المجتمع على الافادة بأقصى درجة ممكنة من مواهب أفراده حتى يصل الى أقصى درجة من الانتاج وتنمية الثروة البشرية ، لأن القرن العشرين هو بحق قرن الثروات البشرية ٠ ويقضى النظام الاشتراكى على الانفصالية والانفرادية ، والانقسام والتنافر ، والتكتلات الحزبية ٠

والاشتراكية ليست ألفاظا تقال ولكنها أسلوب حياة ، أى أنها نمط من أنماط السلوك الفردى والاجتماعى ، فالسلوك الفردى يعنى تخلص الفرد من الأنانية والغرور والأثرة ، بحيث ينظر الفرد الى نفسه على أنه جزء من المجتمع الذى يعيش فيه ، ويجب أن يقوم كل فرد بدوره الايجابى فى الأسرة لتحقيق سعادتها ، فلا يستأثر أحدهم بميزة دون بقية أفراد الأسرة ، ولا يستبد بالآخرين ويتيح لهم فرص الاشتراك والتعبير عن الرأى ٠

ويقتضى السلوك الاشتراكى فى ميدان العمل أن تحدد مسئولية كل فرد ، وأن ترسم خطوط سير العمليات كما يقتضى أن يكون شعور كل فرد بأنه يعمل للجماعة وليس تابعا لرئيس معين وعلاقة الرئيس بالمرءوس يجب أن تكون علاقة تعاونية ، ويتطلب السلوك الاشتراكى فى المجتمع العام توفير الحياة الكريمة لكل فرد فى المجتمع ، بحيث تتقارب الطبقات ، وأن تتاح للجميع فرص التفكير والانتاج والاستهلاك وفرص الحكم ٠

والمدرسة هى المؤسسة الاجتماعية التى تعد الفرد للحياة

في المجتمع المنشود • ويجب أن تشعر المدرسة والقائمون على العمل فيها أنها جزء من المجتمع الاشتراكي الذى نقيمه • ومن مظاهر تحقيق الاشتراكية أن نظمت المدرسة المجتمع المدرسى واتحادات مجالس الطلبة ، وأخذت تهتم بالخدمات التعليمية ووفرت لطلابها الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية والتربية العسكرية ، ويجب أن تقوم العلاقة بين المدرس والمفتش على أساس أن عملية التوجيه الفنى عملية تعاون ونصح وتوجيه ، كما هى عليه الآن ، وليست عملية تسلط وتصيد هنات ، كما كانت عليه فى الماضى •

ويجب أن تشجع المدرسة روح العمل الجمعي وتعاون جميع أفراد هيئة المدرسة والمجتمع المدرسي • ان عملية التنشئة فى المجتمع الاشتراكي تعتبر عملية تغيير فى الاتجاهات السلوكية والنفسية لا يتهيأ لها الاكتمال الا عن طريق القدوة والممارسة الفعلية . وتقديرا للعلم والمؤسسات التربوية يقول السيد الرئيس جمال عبد الناصر : « ان بناء المصانع سهل وبناء المستشفيات سهل ممكن أما بناء الرجال فهو الصعب العسير » وقد كنا قديما نعلم الأغنياء ماداموا أغنياء ، ونحرم الأذكياء ماداموا فقراء • ولا شك أننا اذا أردنا أن نبنى الوطن فلا بد أن نهيىء له المواطن الحر ، واذا أردنا تكوين المواطن الحر فلا بد أن نهيىء المعلم الحر ، لأن المعلم الحر هو الذى ينشىء الأجيال الصاعدة على الحرية والكرامة • لقد كانت أجهزة اعداد المعلم فى الماضى تنظر الى الجسد ولا تنظر الى الروح ، فما كان يكتب فى تخطيط المناهج سرعان ما كان يتلاشى عند التطبيق • وينبغى عند اختيار هيئات التدريس غربلتها وانتقاء أجودها وأرقاها وأنقاها لتعليم المعلمين فى المرحلة الأولى ، فلا نفرح بالكم وبآلاف المعلمين الذين نخرجهم كل عام ، ويجب أن تشتمل المناهج على ابراز مقومات قوميتنا العربية وموقعنا الجغرافى وتمجيد تراثنا الاسلامى العربى ، ومكانتنا الآسيوية الافريقية ، وثورتنا التى قوضت دعائم الفساد ، وأقامت العدل والخير والسلام والحرية على أساس مثلنا وديننا ، ويجب أن ننظر لمستوى المعلمين ماديا واجتماعيا ، وأن يحصلوا على جزاء ما يؤدونه من أعمال • وليست مهمة المدرسة هى تعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب وبعض العلوم والمعارف حتى ليمكن أن تقوم بعض

الأجهزة بهذه الحركات ، والا تساوى المعلم مع الجهاز ولسهلت عملية التربية .

لقد مضى الزمن الذى كان فيه المدرس يسعى ليعلم التلاميذ شراذم من المعلومات ينقلها من هنا وهناك ، فقد أصبحت حيـــاة التلميذ وشخصيته هامة وفى حاجة ماسة للتكامل . ولمـا كان المواطن محروما من حقوقه ، ولم يكن مطلوبا منه أن يفكر لنفســه ولغيره ، وأن يشارك فى الحياة الاجتماعية ولذلك صار سلبيا ، أمـا الآن فاننا نعيش فى عصر اشتراكى ، ومن خصائص هذا العصر أن تقوم الحياة على أكتاف المواطنين جميعا ، ويتحتم على كل مواطن أن يفكر لنفسه ولغيره ، ويتعاون مع هذا الغير ، وأن يقوم بالنقد البناء والتوجيه الرشيد ، حتى يستطيع كل فرد القيام بدوره فى بناء هذا المجتمع ، والفرد فى هذا المجتمع الاشتراكى لا يستطيع أن ينعزل ولا أن يقبع فى عقر داره ، والمواطن فى هذا العصر الاشتراكى مضطر الى أن يحسن التفكير ، ويحكم الوعى بالشئون العامة والاتجاهات القومية والقضايا العربية ، وأن يخلص لطريقة الحياة التى ارتضتها الجماعة ، وأن يكون تام الولاء للوطن ، وأن يشعر بالمسئولية ، وأن يتدرب على النقد السليم البنـــاء بحيث لا يقع فى شباك الدعاية المغرضة المسمومة التى يشيعها الأعداء .

ويجب أن تكون علاقة المدرس بالآباء طيبة فى المحيط المدرسى، وأن يتعرف على الآباء ، وأن تكون العلاقة بينه وبين تلاميذه مبنيه على أساس الفهم، ومعاملتهم بالحسنى بلا تمييز أو تفريق لأية علة أو سبب ، وأن يكون المدرس صديقا لتلاميذه ، فيعمل بجد حتى يكتسب اعجابهم وتقديرهم ، وأن يعلم التلاميذ آداب السلوك فى المجتمع ، وكيفية الاستذكار الجيد ، وأن يكون قدوة حسنة لتلاميذه فى تمسكه بالقيم الروحية والأخلاقية والدينية والقومية والوطنية .

الوظيفة الاجتماعية للمدرسة :

لقد كان المعروف قديما أن وظيفة المدرسة محصورة فى تعليم النشء ولكن ثبت أن تعليم العلوم والمعارف بمعزل عن الخبرة العلمية والتجربة الواقعية والحياة اليومية فى البيئة المحلية لا يســـاعد

المدرسة على تحقيق وظيفتها على النحو المنشـــود ، ويتطلب وضعنا الحالى أن تقوم المدرسة بأعمال أوسع نطاقا حتى نخلص المواطن من مخلفات المـــاضى والعهود البائدة ··· عهود الاقطاع ، وعليها أن تعوض ما فاتنا لنلحق بركب الحضـــارة وتنشئة المواطن تنشـــئة اجتماعية صالحة · ولقد خصت الثورة التربية بقســـط وافر من العناية ، من بينها زيادة عدد المدارس والمدرسين والطلبة ، وزيادة ميزانية التعليم ، ولذلك اتسعت مهمة المدرسة فى العهد الاشتراكى لاعداد النشء اجتماعيا وثقافيا وجسميا ·

ويمتد ميدان المدرســـة فيشمل البيئة المحلية لنشر الفلسفة الجديدة والاتجاهات الوطنية والنهوض بالبيئة المحلية والمســـاهمة الفعالة فى مشروعات الخدمة العامة للبيئة المحلية ، ويجب أن تكون المدرسة بحق مركزا فعالا لاشعاع الثقافة ، ولدى المدرسة امكانيات مادية وبشرية تساعدها فى ذلك من مبنـــان ومدرجات ، ومعامل ، وأفنية ، ومدرسين ، ومتخصصين فى مختلف العلوم والفنون . ويجب أن تستغل هذه الامكانيات فى أوقات الفراغ لخدمة أغراض البيئة المحلية ، وأن تســـاهم فى حل مشكلات المنطقة · كما يجب أن تكون مواد الدراسة مرتبطة بمواقف الحياة ، وأن تتعاون المدرسة مع غيرها من المؤسسات الموجودة فى البيئة ، وان تقوم بنشر الوعى القومى بين أفراد المواطنين ، وتوضيح القضايا العربية ، وتوضيح مبادئنا القومية كالحيـــاد الايجـــابى والتعايش السلمى والوحدة واتجاهاتنا نحو التصنيع والعمران ، ورفع مستوى المعيشة وزيادة الانتاج والدخل القومى ، وخلق مجالات جديدة للعمل ، وعقيدتنا فى تحقيق السلام العالمى ، ومقاومة النزعات الاستعمارية والتفرقة العنصرية ، ومقاومة تدخل الدول الكبرى فى شئون الدول الصغرى ومن الوظائف الاجتماعية للمدرسة أيضـــا المحافظة على التراث الثقافى والاجتماعى ونقله الى المواطنين ، لأن الثقافة لا يكتب لهـــا البقاء الا فى أذهان أصحابها وشخصياتها · وكذلك عليها واجب نحو الثقافة الاجتماعية الى جانب المحافظة عليهـــا ، وهو واجب تخليص هذه الثقافة الاجتماعية مما بها من شوائب ، وحل ما قد يوجد بها من مشكلات أو متناقضـــات ، ثم تطوير هذه الثقـــافة والنهوض بها نحو الكمال ، ونحو تحقيق أهداف المجتمع المتطور ،

لأن التطور والتغير الاجتماعى ضرورة لا مناص منها ، وعلى التربية أن ترصد اتجاه هذا التغير وأن تتحكم فيه ، وأن توجهه الوجهة السليمة التى تحترم أغراض الجماعة ، لأن الأمور الاجتماعية من شأنها ألا تسكن على حال ، اذ أنها تميل دائما اما أن ترتفع الى أعلى واما أن تنحدر الى أسفل .

تطور التربية والتعليم فى مصر بما يتلاءم مع الأيديولوجية العربية الجديدة

لقد تطورت التربية فى المجتمع العربى تبعا للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى طرأت عليه بعد قيام الثورة ، فأصبحت التربية تعنى بجميع جوانب شخصية التلميذ من النواحى العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والروحية والقومية .

فالتربية الجسمية : ضرورية لأن سلامة المجتمع فى سلامة أبنائه وقوة أجسامهم وعقولهم ، ولا شك أن المواطن السليم المعافى يكون أكثر انتاجا من المواطن الضعيف المريض ، كذلك الطالب القوى جسميا يكون اقدر على التحصيل مما لو كان هو نفسه مريضا . وان سلامة الجسم والعقل عامل أساسى فى تحقيق سعادة الفرد ورضاه ، ولذلك يقول الرئيس جمال عبد الناصر : « اننى أريد لكل طفل فى الجمهورية العربية المتحدة حياة أفضل ، قوامها صحة البدن ، واستقرار النفس ، والقدرة على الانتاج » .

أما وسائل المدرسة فى التربية الجسمية فتقوم على أساس الاهتمام بدروس التربية الرياضية ، وتوفير الملاعب والادوات ، واقامة معسكرات الفتوة ، وتنظيم الرحلات ، ثم توفير الفحص الطبى الشامل ، وعمل بطاقات السجلات الصحية للتلاميذ ، وتقديم الوجبات الغذائية الصحية لهم ، وتنظيم زيارات الطلاب لمكاتب الصحة والمستشفيات ، ولتوفير العلاج أنشئت مستشفيات للطلبة ، ووحدات علاجية عدا ما توفره الدولة من المجالات والمواقف التى يتوافر للطالب فيها ممارسة العادات الصحية

السليمة ، ويتزود بكل ما يندرج تحت اسم التثقيف الصحي ، فتجعل من تلاميذها بذلك دعاة لنشر الوعي الصحي والثقافة الصحية ، كما تجعل منهم حربا على الخرافات والعادات السيئة. فينتقل أثر المدرسة الى المجتمع الخارجي .

أما التربية العقلية : فان المدرسة تزود الطالب بالمعلومات والمعارف والحقائق التي توسع أفقه وتنمي ادراكه وتمكنه من أن يفهم جوانب المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليكون مواطنا عربيا مستنيرا منتجا . ولقد كانت المدرسة الأولى لا تهتم الا بحشو أذهان التلاميذ بالمعلومات البعيدة عن خبرات التلاميذ وعن ميولهم وعن الحياة الواقعية . أما الآن فانها تزودهم بالمهارات التي تساعدهم على أن يحصلوا العلم بأنفسهم . وتعنى المدرسة بتنمية قدرة التلاميذ على التفكير العلمي الذي يتمثل في الاحساس بالمشكلة وتحديدها ، وجمع البيانات والأدلة والشواهد عليها ، ثم فرض الفروض أو وضع الاحتمالات المختلفة للحل ، ثم غربلة هذه الفروض والتحقق من صحتها باجراء التجارب عليها ، ثم اصدار الحكم النهائي القائم على البصيرة والفهم والدرس والبحث والتنقيب .

وتكوين عادة التثبت قبل الحكم أو التريث ، وعدم التسرع في اصداره قبل التيقن من صحته ، وتشجيعا للمتفوقين تعقد مسابقات بين أوائل الطلبة وتمنح الممتازين الجوائز التقديرية .

أما فيما يتعلق بالتربية الخلقية والروحية : فان المدرسة العربية تهتم بالجانب الروحي والخلقي ، ويتم ذلك عن طريق تزويد الطالب بمبادىء الدين وتعاليمه حتى تقوى الروح الدينية في نفسه ، ويكتسب القيم والاتجاهات الروحية التي توجه سلوكه في الحياة ، وتنظم علاقاته بالآخرين ومعاملته لهم . وتسعى المدرسة الى تنشئة الطلبة على الايمان بالله ورسله ، وحب الخير والتعاون ، والشجاعة في ابداء الرأي ، والصدق في القول والعمل ، ونصرة المظلوم ، ورعاية الجار وصيانة حقوق الغير ، كما تقوم بتطهير شخصية الطالب من القيم والاتجاهات البالية التي لم تعد تتمشى مع روح العصر ، واكسابه القيم الجديدة التي تساير موكب الحياة في المجتمع الجديد .

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عد نبد - روض الفرج

تليفون { ٤٠٢٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

تطرح هيئة قناة السويس فى مناقصة عامة عملية تقوية الرصيف الشرقى والغربى للحوض الأوسط بالترسانة ببور فؤاد وتطلب الشروط والرسومات بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالاسماعيلية (التخطيط والأبحاث) وذلك نظير دفع مبلغ خمسة جنيهات مصرية . وتقدم العطاءات باسم السيد/ رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والأبحاث) فى ميعاد اقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الأربعاء ٢٢ مايو سنة ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ستمائة جنيه .

ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد هذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين الابتدائى المطلوب .

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عتبة - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤

العدد ٢٣٨ الثمن ١٢ قرشا